يا أهل الكتاب

تعالوا إلى كلمة سواء...؟

دراسة مقارنة للمسيحية

دكتور رؤوف شلبي

المدرس بكلية أصول الدين

الجزء الأول

الطبعة الأولى

الناشر

مكتبة الأزهر

أمام جامعة الأزهر بالدراسة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

جامعة الأزهر
كلية أصـــول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

يا أهل الكتاب

تعالوا إلى كلمة سواء ...؟

« دراســـة مقارنة للمسيحية »

دكتور رؤوف شلبي
المدرس بكلية أصول الدين

ل

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الناشر
مكتبة الأزهر

http://kotob.has.it

دار الاتحاد العربي للطباعة
لصاحبها : محمد عبد الرازق
١٩ كنيسة الأرمن ش الجيش
تليفون ٩٣٤٠٩٨

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

١ - التدين والفطرة .

٢ - دين الله ... الإسلام .

٣ - اضطراب الفكر الأوربى فى مقارنة الأديان .

٤ - المصطلحات الثلاثة :

- الدين - الملة - النحلة .

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا – التدين والفطرة

ظاهرة التدين فى سلوك الإنسان ظاهرة محيرة لكتاب الغرب الذين يشتغلون بدراسات علمهم المسمى مقارنة الأديان .

فبينما يرى الدكتور (ماكس نوردوه) أن الشعور الدينى إحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدين ، كما يجده أعلى الناس تفكيراً وأعظمهم حدساً .

ويرى . . أن الديانات ستبقى ما بقيت الإنسانية وأنها ستتجاوب مع درجة الثقافة العقلية التى تبلغها الجماعة .

نرى فى القرن السالف – الثامن عشر – فيلسوف فرنسا فولتير يفسر ظاهرة التدين أنها اختراع دهاة ماكرين من القساوسة والكهنة الذين وجدوا لفيفاً من الحمق والسخفاء يصدقونهم ويذعنون لخرافاتهم ، ويساير ركب فولتير أخلاؤه مثل جان جاك روسو الذى يرى أن ظاهرة التدين فى المجتمع نتيجة جشع الذين سبقوا فوضعوا أيديهم على مساحات الأرض الواسعة ثم خدعوا الجمهور بما افتعلوه من قانون أو نظام دين ...

وهذا الاتجاه الفولتيرى امتداد للسفسطة اليونانية القديمة التى روجها السفسطائيون بفلسفتهم القائمة على التشكيك والمغالطات التى زينت، فكرة : أن القوانين والديانات فى تصويرهم ما هى إلا ضرورة سياسية ماهرة تهدف إلى علاج أمراض المجتمع . . .

وقد روج هذا الاتجاه فى أوربا عاملان :

http://kotob.has.it

الأول : الانحلال الخلقى الذى اشتهر به رجال الكنيسة .

الثانى : ظلم القوانين الوضعية وسيطرة الأشراف والبلاد على الأرض وسيطرة الكنيسة على الفكر والحكم .

ولم ينته القرن الثامن عشر حتى كان اتجاه ماكس نوردوه هو التصحيح للفكرة الخاطئة للفولتيرية السفسطائية القديمة ، واكتشفت حقائق دينية فى خارج المجتمعات الأوربية تبين من مقارنتها أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل عنها أمة من الأمم فى القديم والحديث ، رغم تفاوت المجتمعات فى مدارج التمدين والرقى ودركات الهمجية والجاهلية .

يقول بارتلمى سانت هيلبير . هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا . ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ... كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ... الخ . هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولا جيدة أو رديئة مقبولة أو سخيفة ثابتة أو متحولة ... ويقول « شاشاوان » : مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر ... فإن عقلنا فى أوقات الهدوء والراحة والسكون — عظماء كنا أو متواضعين خياراً كنا أو أشراراً — يعود إلى التأمل فى المسائل الأزلية .

ويقول « هنرى برجسون » : لقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير دين ...

وقد صارت هذه النزعة مادة علمية فى معجم « لاروس » للقرن العشرين فقد ذكر فيه : أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية ، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية .

http://kotob.has.it

إن هذه الغريزة الدينية لا تختفى بل لا تضعف ولا تذبل إلا فى فترات الإسراف فى الحضارة وعند قليل جداً من الأفراد .

ويؤكد استمرار هذه الظاهرة الأستاذ محمد بك فريد وجدى فى دائرة معارفه يقول فى مادة : دين : نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لأنها أرقى فى ميول النفس وأكرم عواطفها ... ففطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه .

يقول « أرنست رينان » يمكن أن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحى التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى ...

مظاهر التدين وعللها

وإذا كان كتاب الغرب المشتغلون بمقارنة الأديان قد حيرتهم ظاهرة التدين فقد حيرهم كذلك تفسير مظهر هذا التدين لقد اشتطوا فى تفسير ظاهرة التدين بالسبب الدافع .

١ — عبادة الطبيعة :

علل بعضهم ظاهرة التدين فى عبادة الطبيعة بأن الإنسان الأول لم يكن يفهم دنياه التى يعيش فيها . لقد كان الكثير من عالم الأرض والكون محجوباً عنه لا يقدر على تصور وجوده فاستشعر الخوف من الطبيعة ، ولما لم يستطع أن يعلل كثيراً من ظاهراتها المحيطة به اعتبرها ذات حياة مثله ثم شعر بأنها أشد منه قوة فكان طبيعياً أن يسترضيها حتى يحصل على المعونة منها أو تمنع أذاها عنه .

ومن ثم أخذ الإنسان الأول فى عبادة ظاهرات الطبيعة ثم تنوع مظهر المعبود من عالم الطبيعة فتارة تكون الشمس إذا كانت حياة الإنسان

http://kotob.has.it

في بلاد تستحب فيها أشعة الشمس .

وتارة يكون المعبود مسقط ماء أو بركان إذا كان أحدهما ذا تأثير خاص في حياة الناس الذين يعيشون في محيطه .

وتارة يكون المعبود بقرة أو جاموسة أو حيواناً آخر إذا كان ذلك الحيوان مما يعول عليه في بقاء حياة ذلك الإنسان .

٢ ـ عبادة الروح والأسلاف :

وقد يكون المعبود الروح والأسلاف نتيجة عدم إدراك الإنسان الأول لمعنى الموت والحياة وظنهم أن الذي يموت سوف تعود روحه ، ولعل الرؤى والأحلام قد سيطرت على بعض الناس كتفسير لظاهرة التناسخ فعبدوا الأرواح ، وهذا الرأي الذي يراه سبنسر يبدو غريباً في رأي جروف ساول دوو ولكنه منطقياً إلى حد كبير لشيوع ظاهرة اعتقاد حياة الروح بعد فناء الجسد .

وعلى أساس هذه النظرية نشأت عبادة الأسلاف إذ أنها مؤسسة على الشعور بأن روح السلف تحوم حول الناس ، وتبعاً لهذا نشأت فكرة انتقال الأرواح : دخول روح شخص ميت في جسد من الأجساد المعبودة ...

٣ ـ عبادة النصب :

يفسرون عبادة النصب بأنها خليط من الديانتين السالفتين : عبادة الطبيعة وعبادة الأرواح غير أنها عبادة متوجهة إلى التشبيه بالإله أو بما يعتبر معبوداً ، وقد يحمل هـذا الشيء الشبيه من مكان إلى مكان على أنه طلسم وكثيراً مايسمى صنما وما الأصنام إلا نصباً « فتشية » .

٤ ـ عبادة كائن أعلى :

يقول جروف : إن عبادة كائن أعلى مهيمن على كل شيء أمر متأخر الحدوث عادة ولكنها وجدت في بعض الأحيان بين الناس الأوليين ،

http://kotob.has.it

وكانت فى مبدئها تتناول عبادة آلهة شتى ثم تحولت بالتدريج إلى التوحيد باستيعاب الآلهة الصغرى الأقل خطراً . وظل هذا الاعتقاد يرق وينق شيئاً فشيئاً حتى كان أرق أشكال الدين الذى عندنا اليوم .

غير أن هذه الملل التى نقلها إلينا جروف فى كتابه : المجتمع ومشاكله لا تقترب من آراء المبشرين التى جمعها ليفى بريل فى كتابه « العقلية البدائية » فهم يرون : أن البدائيين يهملون البحث عن الأسباب والملل للظواهر الطبيعية ويرون أن القوى الغيبية هى التى تفعل كل ما يشاهدونه من بركان ورعد وبرق ... الخ .

يذكر القس جون فليب أن الأفريقيين يجهلون الأسباب الطبيعية ويستبدلون بها تأثيرات غير مرئية .

ويضطرب المبشرون فى تفسير هـذا المنطق للعقلية البدائية . فبعضهم يرده إلى البلادة والغباء والبعض الآخر ينفى هذه البلادة لأن أطفالهم يفهمون العلوم الحديثة مثلما يفهمه أطفال الإنجليز والفرنسيين تماماً بل فى بعض الأحايين يظهرون كثيراً من الفطنة والذكاء مما يدل على أن نفور البدائيين من عمليات الاستدلال المنطقى لا يرجع إلى نقص فى تكوينهم بل إلى مجموعة العادات التى تتحكم فيهم .

وإذا كان الفكر الأوربى قد أفلس فى تفسير ظاهرة التدين وأنواع سلوكه فى المجتمع البدائى .

فإن عالمنا الأزهرى الرصين المرحوم الدكتور حب الله يقدم لهم مع فروضهم المطروحة فرضاً آخر ليس من العسير قبوله وليس من السهل رده يقول : « يذهب كثير من علماء الأديان إلى أن العقائد الدينية تطورت عن الأساطير والقصص والخرافات .

http://kotob.has.it

ويرى آخرون أن السحر قد وجد قبل الدين .

ويذهب آخرون إلى أن الفيتيشية FETICHISM هى أصل العقائد ، وهى أسبقها[١] .

ويرى آخرون أن منشأ الاعتقاد هو الإحساس بروعة المجهول .

ويرى آخرون أنه الشعور بالضعف وبالحاجة إلى ظهير . . .

بيد أن ذلك كله لا يعدو أن يكون فروضاً قد يكون لها ما يسمح بافتراضها ، فلا شك أن هناك حالات كثيرة ذكرها العلماء قد تشهد لبعض العقائد ولكن ليس هناك ما يمكن أن يدل على صحة التعميم . . . فهى كلها فروض . . . ولابد وأن تظل كذلك ، وهى على الرغم من هذا فروض غير حاضرة . . إذ قد بقى أن يقال إن العقيدة وحى إلهى ، ولست أدرى ما الذى يمنعنا — من وجهة منطقية محضة — أو من جهة البحث العلمى أو من جهة تاريخية محضة من قبول هذا الفرض الأخير فنقول : إن العقائد الدينية الصحيحة كانت وحياً إلهياً من أول الأمر جاء إلى الإنسان منذ وجوده فوافق ميوله النفسية فقبله وآمن به ؟

وإذن فإن التدين كما يقول العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز شوق غريزى إلى الأزلى الأبدى وهو الطلب الحثيث للكلى النهائى ، وهو عنصر ضرورى لتكميل القوة النظرية فى الإنسان ، وهو فوق ذلك عنصر ضرورى لتكميل قوة الوُجدان ، فالعواطف النبيلة من الحب ، والشوق ، والشكر ، والتواضع ، والحياء ، والأمل ... الخ . إذا لم تجد ضالتها المنشودة فى الأشياء ولا فى الناس وجدت فى موضوع الدين مجالا لاتدرك غايته ومنهلا لاينفد معينه .

---

(١) الفيتشية : اعتقاد أن لكل مادة روح تحل بها وأن الاستحواذ على تلك المادة يمكن الانسان من استخدام روحها والانتفاع بها .

http://kotob.has.it

وأخيراً فالتدين هو العنصر الضرورى لتكميل قوة الإرادة يمدها بأعظم البواعث والدوافع ويدرعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط ومبعث هذا التدين ليس الخوف من الطبيعة ولا اعتقاد حلول الأرواح ، ولا الفيتشية كما فسر ذلك علماء أوربا ، ولكنه الوحى الإلهى على حد ما وضحه العلامة المرحوم الدكتور محمود حب الله فى كتابه « الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية » .

التفسير القرآنى لظاهرة التدين:

ولئن كان الغرب قد عجز عن التوصل إلى الحق فى تفسير ظاهرة التدين كما يقول جروف Grove : « يصعب جداً أن يرد الإنسان نشوء الدين إلى نظام معين ، ولا بد فى استعراض شىء من هذا القبيل أن يتجاوز الكاتب عن كثير مما يصادفه من الشواذ والاستثناءات وأن يكتفى بتحديد القليل من التواريخ والعهود الزمنية .

فإن القرآن الكريم قد وضح ذلك فى عديد من آياته :

١ — « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، شهدنا » .

٢ — « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(٣٠ — الروم)

ففى الآية الأولى (رقم ٧٢ — الأعراف) يعرض القرآن حقيقة الباعث على التدين فى نفس الإنسان ، فقد استخرج الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم التى سوف توجد جيلا بعد جيل فى قرن بعد قرن وسألهم : ألست بربكم ؟ فأجابوا جميعاً : بلى شهدنا . . . وبهذه الشهادة فقد سقطت تعلاتهم يوم القيامة :

http://kotob.has.it

١ — أن يقولوا إنا كنا عن التوحيد غافلين .

٢ — أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا على آثارهم مقتدين .

وفى الحديث فى صحيح الإمام مسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله : إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم .

ويقوى هذا الحديث ما روى فى الصحيحين : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد على الفطرة — وفى رواية : على هذه الملة — فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء .

وروى ابن كثير فى تفسيرها : قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير — يعنى : ابن حازم — عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا - إلى قوله - المبطلون . وقد روى هذا الحديث النسائى فى كتاب التفسير من سننه .

وعن ابن عباس فى تفسيرها :

إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم فى صلبه ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق

http://kotob.has.it

الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة .

ومن العرض السالف تتضح لنا عدة حقائق .

الحقيقة الأولى : أن التدين مرتبط بعليته الأساسية المركوزة فى فطرة الإنسان وهى الميثاق الأول الذى أخذه الله سبحانه وتعالى على البشر عامة فى عالم الذر .

الحقيقة الثانية : أن كل من حضر الميثاق الأول لا بد من وجوده فى عالم الحياة ، وهنا تبدو محاولة تحديد النسل أو تنظيمه خرافة سول بها الشيطان باسم العلم أو التنسيق الاقتصادى فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بالرزق والخلق معاً . . .

الحقيقة الثالثة : أن يوم الحج الأكبر يوم عرفات لأنه ميقات الميثاق الأول يوم أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم بأنه ربهم فقالوا بلى شهدنا . . . وقد جعله الله الركن الأكبر فى الحج لأنه مكان العهد والميثاق الذى قطعته البشرية على نفسها فى عالم الغيب .

وبيت القصيد فى عرضنا لهذه الآية ما قاله ابن كثير : « . . . ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد » .

وهو الذى تدعو إليه آية سورة الروم رقم ٣٠ « ... فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ... ذلك الدين القيم » .

قال ابن كثير : الدين والفطرة الإسلام ، واستشهد لذلك بالحديث الشريف : حدثنا عبد الله أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهرى أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

http://kotob.has.it

« ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول : فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .

وإذا ملنا إلى تفسير الفطرة بالإسلام مباشرة فما معنى لا تبديل لخلق الله وقد دل الحديث على أن الأبوين يهودان الطفل أو ينصرانه أو يمجسانه ..؟؟

قال العلماء :

يكون معنى الجملة الطلب في صورة الإخبار يعني : لا تبدلوا خلق الله .

او يكون معنى الجملة الخبر على الحقيقة ويكون المفهوم : أن الله جلت قدرته خلق الخلق جميعاً على الجبلة المستقيمة التي لا يمكن تبديلها ولا يولد ولد إلا وهو مجبول على الدين الحنيف . ولا يغير الله خلقه ... وإنما الذي يحاول التغيير هو الأب والأم ... ففيه تهديد وتحميل للمسئولية على إرادة التغيير يشهد لهذا المعنى الحديث الآخر : إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم .

يقول المرحوم الدكتور محمد أحمد الغمراوي :

فهذا الحديث الشريف ـ يعني كل مولود... ـ نص في تفسير الآية الكريمة فطرة الله التي فطر الناس عليها ... وهما معاً متظاهران على أن الإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شيء واحد وأن مبادىء الإسلام مطابقة تماماً لسنن الفطرة وأن ما يعتور الناس من عوج إنما هو أمر طارىء راجع إلى الخروج عن التربية الإسلامية الصحيحة أي إلى عدم تنشئة النشء على أصول الإسلام وأخلاقه وأعماله .

يقول الأستاذ المرحوم سيد قطب تفسيراً لهذا ..

http://kotob.has.it

إن حقيقة التوحيد مركوزة فى فطرة الإنسان كما أنها مركوزة فى فطرة هذا الوجود من حوله فما الفطرة البشرية إلا قطاع من فطرة الوجود كله ..

وإذا كان القرآن الكريم يوضح لنا علل التدين فى الإنسان، وإذا كانت السنة توضح أن الانحراف عن التدين الصحيح مرجعه إلى النشئة والبيئة فإن القرآن يجلى لنا هذا الباعث فى صورتين :

(ا) صورة الضعف التى لابد وأن تلحق الإنسان يوماً إذا مسه الضر أو أحاط به الخطر .

(ب) صورة التحرر من ربقة المواريث الاجتماعية التى تشغل عقله بشيطانية التقاليد والعادات .

وحول هذا يحدثنا الأستاذ البهى الخولى فى كتابه : آدم عليه السلام ؛ يقول :

ومن الغرائز الأصيلة فى الإنسان غريزة التدين ومن مظاهرها، الرجوع إلى الله والإنابة إليه والنزوع إلى عونه ورعايته سبحانه .

ويظهر أثر ذلك بارزاً فى حالتين متميزتين :

الأولى : حينما يقع أهل الغفلة والشرود عن الله فى كرب لا تنفع معه حيلة ولا سبب يصور ذلك قوله تعالى :

«حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين» (٢٢ - يونس)

وهذا النمط من البشر يخلف وعده ويكذب نفسه «فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق ...» وآيات كثيرة فى القرآن الكريم تفضح نفسية هذا اللون من البشر يقول الله تعالى :

http://kotob.has.it

« وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل ، وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار » . (٨ - الزمر)

« وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » .
(١٢ - يونس)

« بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون »
(٤١ - الأنعام)

« قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » . (٦٣ - ٦٤ الأنعام)

والصورة الثانية :

صورة النفس اللوامة التى تعود إلى ربها إذا كشف عنها غطاء الغفوة الاجتماعية . يقول الله تعالى :

« والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .
(١٣٥ - آل عمران)

وهذه الصورة يرضى عليها القرآن الكريم من خلال التوبة والمغفرة والمثوبة :

« أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » . (١٣٦ - آل عمران)

من هنا ندرك :

١ — أن فشل الكاتبين الأوربيين فى تعليل التدين راجعة إلى فقر

http://kotob.has.it

مراجعهم الدينية من النصوص التي تفسر لها هذا التيار الفطري الذي وجده المبشرون في أدغال أفريقيا ومجاهل آسيا كما يجدونه في أرقى عواصمهم . . . من محاولة التعبد والاتجاه إلى الله .

٢ — وأن الإنسان منذ وجد وهو متدين وليس التدين خاضعاً لنظرية من النظريات التي ذكرها الكاتبون بقدر ما هو وحي أوحاه الله إلى الإنسان النبي الأول .

يقول الله تعالى :

«فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» .

(٣٧ - البقرة)

وأن ذريته من بعده استمرت على التوحيد حتى جاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دين الله .

يقول الله تعالى :

«قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» . (٣٨ - البقرة)

وأوصاهم الله :

«يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما» . (٢٧ - الأعراف)

وأرسل الله الرسل تباعاً ليوفي الناس بميثاقهم الأول ولتجد فطرة التدين عندهم سنداً ومرشداً وأسوة تهديهم إلى سواء السبيل

وصدق الله العظيم :

«رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً» . (١٦٥ — النساء)

http://kotob.has.it

ثانياً : الدين عند الله الاسلام

« ... ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها .. قالتا : أتينا طائعين ... » (١١ - فصلت)

لقد انقاد الكون للناموس الإلهى ، واتصلت حقيقة الكون بخالقه اتصال الطـــاعة والاستسلام لمشيئة الله وتصور آية سورة الشورى هذا الاستسلام والانقياد: « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض .. ألا ان الله هو الغفور الرحيم ». (٥ — الشورى)

ان السموات الهائلة الضخمة التى نراها تعلونا ولا نعلم عنها إلا جانبا يسيرا ... ان هذه السموات تتفطر من خشية الله وعظمته وعلوه ، واشفاقا من انحراف بعض أهل الأرض ونسيانهم عظمة الله التى يحسها ضمير الكون فيرتعش ويكاد ينشق من أعلى مكان فيه .

لم يبق فى هذا الكون متمرداً على هذا الاستسلام لعظمة الله إلا الانسان: جله الكثير أو بعضه مطلقاً وهو فى تمرده هذا خاضع بالاكراه لناموس الكون الذى خضع لله رب العالمين فهو لا يملك أن يخرج عنه وهو أقل بكثير من ترس صغير جداً فى عجلة هذا الكون الهائلة والقوانين الكونية الكلية السرمدية التى تسرى عليه سواء رضى بها أو لم يرض .

يقول الله تعالى :

« أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون ... » (٨٣ - آل عمران)

قال ابن كثير فى تفسيرها .

يقول الله تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله الذى انزل به كتبه وأرسل به رسله وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذى له أسلم من

(٢ — تعالوا)

http://kotob.has.it

فى السموات والأرض أى استسلم له من فيهما طوعا وكرها كما قال تعالى «ولله يسجد من السموات والأرض طوعا وكرها» وقال تعالى «أولم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمال سجدا لله وهم داخرون . ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون» فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذى لا يخالف ولا يمانع .

فالكون كله قد خضع واستسلم لتوحيد الله بما أودع فيه من النواميس والقوانين التى تحكمه وتسيره حسب علم الله وارادته وتصريفه... والانسان شىء فى هذا الكون لابد وأن يكون له قانون يوحد به ربه وينصاع لهذا القانون ... وكان هذا القانون هو الاسلام الذى حمله موكب الأنبياء جميعا . والقرآن الكريم يصور هذه الحقيقة .

يقول الله تعالى :

«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» (٩٢ — الأنبياء)

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم يقول : دينكم دين واحد ، وفى الحديث الشريف : نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد ... فتتلاشى آماد الزمان ، وأبعاد المكان ، وتغاير الأقوام واختلاف اللغات أمام وحدة الحقيقة التى جاء بها الرسل ، ووحدة الطبيعة التى تميزهم كأنبياء ، ووحدة الخالق الذى بعثهم وأرسلهم ، ووحدة الاتجاه الذى يدعون إليه الخلائق .

يقول الله تعالى :

«يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» (٥١ — ٥٢ المؤمنون)

http://kotob.has.it

قال ابن كثير فى تفسيرها : دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولهذا قال : « وأنا ربكم فاتقون » .

ووحدة دين الله لأنبيائه تبدو جلية فى عرض القرآن الكريم لها من عدة زوايا .

(ا) من ناحية وحدة المصدر .

(ب) من ناحية وحدة الموضوع .

(حـ) من ناحية النطق بالإسلام أو وحدة التسمية .

(ا) وحدة المصدر :

أما فيما يتعلق بوحدة المصدر فى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تنص على أن المصدر لكل رسالات الأنبياء هو الوحى من عند الله يقول الله تعالى :

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا - ١٦٣ النساء .

إنهم موكب واحد يتراءى على طريق التاريخ البشرى الموصول ، ورسالة واحدة بهدى واحد للإنذار والتبشير ، موكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة من البشر: نوح وإبراهيم وإسماعيل ... إلخ موكب من الأنبياء لشتى الأقوام ... وكلهم تلق الوحى من الله ، فما جاء بشىء من عنده قال فى ظلال القرآن فى تفسير سورة الأنعام :

« ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ... الآية ... وهذا تقرير لينابيع الهدى فى هذه الأرض ، فهدى الله للبشر يتمثل فيما جاء به الرسل ،

http://kotob.has.it

والذى يجب اتباعه هو الذى يقرر الله سبحانه أنه هو هدى الله وهذا تقرير لمصدر الهدى وقصره على هدى الله الذى جاءت به الرسل ...

قال فى تفسير سورة الشورى :

كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ... ٢ ـ الشورى

على هذا النسق وبهذه الطريقة يكون الوحى إليك وإلى الذين من قبلك ...

وبهذا ... يتقرر أن مصدر الدين واحد هو وحدة الوحى .

فالموحى هو الله العزيز الحكيم .

والموحى إليهم هم الرسل على مدار الزمان والوحى واحد فى جوهره على اختلاف الرسل والزمان ... إليك وإلى الذين من قبلك ...

والله جل شأنه يقول :

وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم » ـ ٥١ ـ الشورى .

قال ابن كثير فى تفسيرها :

هذه مقامات الوحى بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف فى روع النبى صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل » .

ولقد أقر الأنبياء بذلك يقول الله تعالى :

« قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون » ١١ ـ إبراهيم

قال ابن كثير : يمن على من يشاء بالرسالة والنبوة .

http://kotob.has.it

ففى الآية إقرار بالبشرية واعتراف بفضل الله ومنه على من شاء اختياره لأداء الرسالة فأوحى إليهم ومنحهم ما يؤهلهم لحمل الأمانة الكبرى .

وآية الأنعام تقرر وحدة المصدر يقول الله تعالى :

الله أعلم حيث يجعل رسالته .

قال فى ظلال القرآن .

إن الرسالة أمر هائل خطير ، أمر كونى تتصل فيه الإرادة الأزلية الأبدية بحركة عدد من العبيد ويتصل فيه الملأ الأعلى بعالم الإنسان المحدود ، وتتصل فيه السماء بالأرض ، والدنيا بالآخرة ... وتتجرد فيها كينونة بشرية من حظ ذاتها فى ذاتها لتخلص لله كاملة حتى تصبح موصولة بهذا الحق ومصدره فى صلة مباشرة كاملة ، والله وحده سبحانه هو الذى يعلم أين يضع رسالته ، ويختار لها الذات التى تنتدب من بين ألوف الملايين ويقال لصاحبها أنت رسول رب العالمين ...

وقد جعلها سبحانه وتعالى (حيث يعلم) واختار لها أكرم خلقه وأخلصهم ، وجعل الرسل هم ذلك الرهط الكريم حتى انتهت إلى محمد خير خلق الله وخاتم النبيين » .

(ب) وحدة الموضوع :

والموضوع الذى جاء به الأنبياء والرسل هو موضوع واحد ... يقول الله تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » ٢٥ ـ الأنبياء .

وابن كثير يوضح هذه الوحدة الموضوعية لرسالة الأنبياء فيقول :

... كما قال : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ، وقال :

http://kotob.has.it

ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ..)
فكل نبى بعثه الله إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والفطرة شاهدة بذلك أيضاً .

وسورة الشعراء تعرض موضوعية رسالة الأنبياء جميعاً بأسلوب واحد يقول الله تعالى :

« إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون أنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » (١٠٦ — ١٠٨ الشعراء)

« إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » (١٢٤ — ١٢٧ الشعراء)

« إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » (١٤٢ — ١٤٤ الشعراء)

« إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » (١٦١ — ١٦٣ الشعراء)

« إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » (١٧٧ — ١٧٩ الشعراء)

ولقد قال هذا المنطق أيضا سيدنا ابراهيم من قبل «قال أفرأيتم ماتعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لى إلا رب العالمين، الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين» (٧٥ — ٨١ الشعراء)

وقالها موسى لفرعون :

قال فرعون من رب العالمين ؟

http://kotob.has.it

« قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين »
(٢٢ — ٢٣ الشعراء)

وقالها عيسى للحواريين :

« ... اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » (١١٢ — المائدة)

وقالها عيسى لقومه مطلقا :

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون، إن الله ربى وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم » (٦٣ — ٦٤ الزخرف)

وبهذه الوحدة لموضوع رسالات الأنبياء جميعا يوجه القرآن الكريم سؤالا فى سورة الزخرف « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (٤٥ — الزخرف)

وحول هذا السؤال يكون الجواب : إن التوحيد هو أساس دين الله الواحد منذ أقدم رسول والقرآن يقرر هذه الحقيقة فى هذه الصورة الفريدة صورة الرسول صلى الله الله عليه وسلم يسأل الرسل قبله عن هذه القضية...

وهى صورة طريفة حقا فهناك أبعاد الزمان والمكان بين الرسول صلى الله عليه وسلم والرسل الكرام قبله .. ولكن هذه الأبعاد تتلاشى أمام الحقيقة الثابتة المطردة حقيقة وحدة الرسالة المرتكزة كلها على التوحيد وهى كفيلة حين تبرز أن يتلاشى مع ثبوتها الزمان والمكان وسائر الظواهر المتغيرة.. على أنه بالقياس إلى النبى صلى الله عليه وسلم وإخوانه من الرسل مع ربهم لا يبقى شىء بعيد وآخر قريب فهناك دائما تلك اللحظة اللدنية التى تزال فيها الحواجز وترتفع فيها السدود وتتجلى الحقيقة وهى وحدة متصلة بعد أن سقط عنها حاجز الزمان والمكان والشكل والصورة ... وعندئذ يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم إخوانه الأنبياء ... أجعلنا من دون الرحمن

http://kotob.has.it

آلهة يعبدون ... » ويقع السؤال دون حاجز ولا حاجب كما وقع فى ليلة الإسراء والمعراج ... والجواب كما سيقوله سيدنا عيسى يوم يجمع الله الرسل : « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله » .

وآية سورة الشورى تجمع وحدة الموضوع جملة واحدة بما تضفيه من المساواة على وحى الله لصفوة أنبيائه أولى العزم من الرسل .

يقول الله تعالى :

«شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب » .

(١٣ — الشورى)

قال فى ظلال القرآن :

لقد جاء فى مطلع السورة : « كذلك أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم »

فكانت إشارة إجمالية إلى وحدة المصدر ، ووحدة الاتجاه ، فالآن يفصل هذه الإشارة ويقرر أن مايشرعه الله للمسلمين هو فى عمومه ماوصى به إبراهيم وموسى وعيسى وهو : أن يقيموا دين الله الواحد ولا يتفرقوا فيه .

قال ابن كثير فى تفسيرها :

يقول تعالى لهذه الأمة : شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهم ابراهيم وموسى وعيسى ...

والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو : عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ... »

http://kotob.has.it

(جـ) وحدة النطق بالإسلام :

« أو وحدة التسمية »

ولئن كانت حقيقة الدين عند الله هي الإسلام مصدراً ، وموضوعا وقد حمل الموكب الكريم من الرسل والأنبياء الأمانة الكبرى لينسجم الإنسان مع الكون الذى سبح بحمد الله وسجد لجلاله فإن الأنبياء جميعاً قد أقروا بأنهم على دين واحد هو دين الإسلام ... ونطقوا بهذه التسمية باللفظ الصريح ...

فقال سيدنا نوح عليه السلام :

فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين . (٧٢ — يونس)

وقالها سيدنا إبراهيم : قال أسلمت لله رب العالمين

ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى : إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

(١٣١ - ١٣٢ - البقرة)

وقالها يعقوب مع سيدنا إبراهيم ثم وصى بها أبناءه من بعده : أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت : إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحداً ونحن له مسلمون .

(١٣٣ — البقرة)

وفى هذا الجو من وحدة التسمية التى حددها الأنبياء يفند القرآن الكريم إدعاء أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا ، ومع هذا التفنيد فإن القرآن يردفه بالنصيحة بأن يتبع هؤلاء المدعون اليهودية أو النصرانية دينا لإبراهيم ...

http://kotob.has.it

بأن يتبع هؤلاء الإسلام ، يقول الله تعالى : «وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ، قل : بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (١٦٥ - ١٦٦ البقرة)

وبمثل هذا النطق والتسمية ينفى القرآن الكريم فى سورة آل عمران عن سيدنا ابراهيم أنه كان على ملة غير الإسلام ، يقول الله تعالى :

«ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (٩٧ - آل عمران)

وعلى هذا الوتيرة من ملة سيدنا إبراهيم ووصيته كانت وصية يعقوب إلى بنيه والتزمها سيدنا يوسف فأعلن فى دعائه إلى الله :

«رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض ، أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين»

(١٠١ - يوسف)

وكان سيدنا سليمان مسلماً

لقد قال وهو يحمد الله على ما آتاه من الملك والنبوة : «وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين» (٤٢ - النمل)

وتعلنها بلقيس فى يقين :

«وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين» (٤٤ - النمل)

لقد كان سليمان مسلماً وبلقيس مع سليمان تعلن أنها مسلمة .

وعلى درب الموكب الموحد المسلم ، الموكب الذى تحمل الأمانة الكبرى : أن أقيموا الدين ... فصح سيدنا موسى قومه :

http://kotob.has.it

« وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين »

(٨٤ - يونس)

ولما غرق فرعون دوت فى هيكل صدره حقيقة الدين الذى دعاه إليه سيدنا موسى فقال : « حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » (٩٠ - يونس)

والسحرة من قبل فرعون أعلنوها :

قالوا إنا إلى ربنا منقلبون ، وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين »

(١٢٥ - ١٢٦ الأعراف)

وأنبياء بنى إسرائيل أسلموا لله ولقد وصفهم القرآن الكريم بهذا الوصف ، فيقول الله تعالى :

إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ... الآية (٤٤ ـ المائدة)

وعلى العهد والميثاق الذى وفى به الأنبياء السابقون كان سيدنا عيسى يدعو حوارييه إلى الإسلام فقد قال لحوارييه :

« فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله وأشهد بأنا مسلمون »

(٥٢ ـ آل عمران)

وكان ذلك وحيا من عند الله أنزله الله على سيدنا عيسى كما تصور ذلك آية سورة المائدة .

« وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون » (١١١ - المائدة)

http://kotob.has.it

الله يشهد أن دينه الإسلام :

وإذا كان الأنبياء والمرسلون قد نطقوا بالإسلام ديناً اعترافاً منهم بنعمة الله التى وهبها إياهم وبما اختصوا به من نشر دين الله الذى ينسجم الإنسان به مع الكون فى التسليم لجلال الله وإسلام الوجه لكبريائه فإن الله وملائكته وأولوا العلم كذلك يشهدون أن الدين عند الله الإسلام :

قال ابن كثير فى توجيه قراءة : أن الدين عند الله الإسلام بفتح همزة أن :

ذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ : شهد الله إنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الإسلام « بكسر « إنه » وفتح « أن » الدين عند الله الإسلام ، أى شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام .

أما الجمهور فقد قرءوها (إن) بالكسر على الخبر ، فيكون معنى الآية على هذه القراءة المشهورة : أن الله يخبر بأنه لا دين عند الله يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم ... فمن لقى الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعة الإسلام فليس بمتقبل كما قال تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

وهذا الرفض لكل دين غير دين الإسلام جاء فى أعقاب الميثاق الجليل الذى قطعه الله على أنبيائه .

ميثاق الله ووحدة الدين :

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا : أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » . (٨١ — آل عمران)

http://kotob.has.it

لقد أخذ الله سبحانه وتعالى موثقاً رهيباً جليلا كان هو شاهده وأشهد عليه رسله ... أخذ موثقاً على كل رسول أنه مهما آتاه من كتاب وحكمة ثم جاء رسول بعده مصدقاً لما معه أن يؤمن به وينصره ويتبع ماجاء به حتى يأتيهم محمد صلى الله عليه وسلم فيقر به كل الرسل والأنبياء وفى ظل هذا المشهد يبدو الموكب الكريم متصلا متساندا مستسلما للتوجيه العلوى . ممثلا للحقيقة الواحدة التى شاء الله سبحانه أن تقوم عليها الحياة البشرية جميعاً » .

قال ابن كثير فى تفسيرها : قال على بن أبى طالب وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما : « مابعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٨٢ — آل عمران)

فمن خرج على هذا الميثاق فهو فاسق لاثقة فى ذمته ولاشرف لرأيه ، وتلك أولى التفريعات على هذا الميثاق فإنه لايتولى عن دين الله إلا شاذ ناشز وسط هذا الكون الكبير الذى أسلم لله طوعاً أو كرهاً .

والتفريعة الثانية : أفغير دين الله يبغون ولله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون » .

يقول ابن كثير : يقول تعالى منكراً على من أراد ديناً سوى دين الله الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو عبادة الله وحده لاشريك له الذى أسلم له من فى السموات والأرض ... أفغير دين الله يبغون ... فهو استنكار لتولى شاذ من الشواذ أو شارد من الشوارد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة .

والتفريعة الثالثة : الإقرار بهذه الوحدة الدينية « قل آمنا بالله وما أنزل علينا ... الآية .

http://kotob.has.it

فدين الله واحد جاءت به الرسل جميعاً وتعاقدت عليه الرسل جميعاً ، وعهد الله واحد أخذه على كل رسول والإيمان بكل رسالة تأتى وفاء بهذا العهد ... فهى الصورة الشاملة العميقة لمعنى الإسلام : دين الله الذى حمله الأنبياء جميعاً ...

والتفريعة الرابعة على الميثاق :

« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »

قال ابن كثير : من سلك طريقاً سوى ماشرعه الله فلن يقبل منه ،

وكان أبو السعود أجلى فى عبارته إذ يقول :

ومن يبتغ غير الإسلام — أى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحاً والمدعين للتوحيد مع إشراكهم كأهل الكتاب — ديناً — ينتحل إليه — فلن يقبل ذلك — منه — أبداً بل يرد أشد رد وأقبحه ... ويقول : والمعنى : أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، وفى ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على أن حال من تدين بغير الإسلام واطمأن بذلك أفظع وأقبح .

هذا هو الإسلام فى سعته وشموله لكل الرسالات التى جاء بها الأنبياء .

وهذا هو الإسلام دين الله الذى تحمله الرسل أجمعون ، إنه دين الله الخالص فى توحيده لله جل شأنه وارجاع جميع الدعوات والرسالات إلى أصلها الواحد وإذن فإنه لاسبيل بعد هذا العرض لتأويل حقيقة الإسلام ، ولاداعى للى النصوص وتحريفها عن مواضعها لتعريف الإسلام بغير ماعرفه الله به .

إن الإسلام هو دين الله إلى البشرية وهو دين يجعل الإنسان منسجما مع الكون الذى خضع لله بما أودعه فيه من قوانين .

http://kotob.has.it

ولقد حمل هذا الإسلام سيدنا نوح وكان دينه الإسلام .

وحمله سيدنا إبراهيم وكان حنيفاً مسلماً .

وحمله سيدنا سليمان وقد أوتى العلم وكان من المسلمين .

وحمله موسى وكان دينه الإسلام .

وحمله عيسى وكان دينه الإسلام ،

ثم ختم الله الرسالة بسيدنا محمد صلى الله عليه فهو خاتم النبيين والمرسلين وكان دينه الإصلام .

ونستأنس هنا برأى عالمين :

أحدهما حجة فى نظر المسلمين .

والثانى رجل مسيحى مصرى أسلم بعد تبصر .

(ا) يقول ابن تيمية فى كتابه : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

بعد أن ساق عديداً من الآيات التى تدل على وحدة الدين والرسالة ...

« فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد ، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل شرعة ومنهاج ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة رضى الله عنه « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد ، وأنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبى » فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

وكان دينه الذى إرتضاه لنفسه هو دين الإسلام الذى بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ولا يقبل من أحد ديناً غيره لا من الأولى ولا من الآخرين وهو دين الأنبياء وأتباعهم كما أخبر الله بذلك عن نوح ومن بعده ... إلى الحواريين ... إلخ .

(ب) وقال السيد/ محمد زكى الدين الطهطاوى فى كتابه : المنارات الساطعة فى ظلمات الدنيا الحالكة .

http://kotob.has.it

... أما بعد : فإن الإسلام دين الإسلام دين الأنبياء والمرسلين والأولين والآخرين وقد قرر الله ذلك فى القرآن الكريم فقال عن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام : « وأمرت أن أكون من المسلمين » ... إلخ .

وبعد فإن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قبولها جامعة محيطة واضحة صريحه :

مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » رواه مسلم فى كتاب الفضائل باب خاتم النبيين .

إذن يقول المسلم :

رضيت بالله تعالى ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ... على ذلك أحيا وعلى ذلك أموت ، وعليها ألقى الله ...

ثالثا — اضطراب الفكر الأوربى

فى مقارنة الأديان

فى الدراسات الميدانية التى قام بها المبشرون فى أفريقيا والتى جمعها « ليفى بريل » فى كتابه : العقلية البدائية نجد صراعا فى التفسير لمظاهر التدين فى أفريقيا .

فبينما يعزى أحدهم هذا المظهر للإيمان بالقوى الغيبية وعدم إدراكهم للأسباب والمسببات وما تكون بينها من علاقة ويعلل تفسيره هذا باتهام الأفريقيين بالغباء ... نجد هناك من يدافع عن الذكاء الأفريقى بالواقع الذى لمسه من ذكاء فى تلاميذ إحدى المدارس التبشيرية التى تساوى فيها تلاميذ أفريقيا مع أبناء الإنجليز فى الرياضة وعلم الفيزياء .

http://kotob.has.it

وإذا كان هناك اضطراب فكرى بين المبشرين فى أفريقيا حول تفسير مظاهر التدين للأسرة البدائية فإن هذا الاضطراب يمكن أن يكون سمة الفكر الأوربى فيما يتعلق بمقارنة الأديان .

ذلك أن الفكر الأوربى عاش فى القرون الوسطى فى ظروف الهمجية المظلمة التى لم تتضح فيها معالم الدين ... فلما جاءته رسالات السماء ... لم يستطع أن يتقبلها بالحيدة والفكر والنزاهة بل استقبلها على مأدبة نفسه التى يتكاثر عليها فضلات أديان من العصور السحيقة ... وتبدو مظاهر اضطراب الفكر الأوربى فى مقارنة الأديان فى عدة نقاط منها :

(ا) اضطرابهم فى مفهوم الدين .

(ب) افتراضاتهم فى تطور الدين من الخرافة إلى التوحيد .

وسوف نعالج هذه القضايا إن شاء الله ثم نتبعها بما نراه سبباً فى هذا الاضطراب الأوربى ...

١ — الاضطراب فى مفهوم الدين ومصدره

لقد ورث الأوربيون ثقافتهم الدينية عن الأمم السالفة ولم تكن العقيدة فى الأمم السالفة ذات وضوح فى الاعتقاد ولا فى الشرح .

فالإله عند أرسطو لا يعقل شيئاً غير ذاته وهو منزه عن الإرادة لأن الإرادة : فى فهم أرسطو طلب والله فى رأيه منزه عن الطلب والله عند أرسطو لا يعلم شيئاً عن الكليات والجزئيات ، ولا علاقة له بالخلق رحمة أو قسوة .

فهو تنزيه خيالى جامح عن البيئة التى فشت فيها الكهانة اليونانية .

واليونانيون كانت لهم عقيدة مضحكة فالألوهية أسرات تتناسل .

لقد كان « جوبيتر » سيد الآلهة يخادع زوجته « هيرة » فيرسل إليها الغمام لمداراة الشمس عنها حتى لا تفاجئه مع عشيقاته !

http://kotob.has.it

وكان هذا الإله شرهاً مشغولا بالطعام ، ولذلك كان يغضب على الإله (استولاب) إله الطب لأنه يداوى المرضى فيمنع عنه جباية الضريبة على أرواح الموتى .

وكان « جوبيتر » يغضب على إله المعرفة والصناعة (بروميثيوس) لأنه يعلم الإنسان كيف يستخدم النار فى الصناعة فيعطيه قوة تضارع قوة الأرباب ولذلك حكم عليه بالعذاب فنفاه وأرسل إليه الجوارح تنهش كبده طوال النهار حتى إذا ما جن الليل عادت سليمة لتعود الجوارح نهاراً تنهشه من جديد وهكذا ..

بالإضافة إلى هذه المواريث كانت سلطة محاكم التفتيش تحجر على الفكر أن يتجسس على المعرفة ليبحث وتولدت عن هذه السلطة رهبة نفسية صارت بحكم التقادم عادة دينية فلم يعد من السهل أن يعالج الرجل الأوربى مسألة فى الدين عندهم - يقول جروف Grove من الصعب أن يعالج الإنسان موضوع الدين بطريقة علمية وذلك لما للدين من الحرمة والقداسة عند الناس فلا يكاد الكاتب يحاول ذلك حتى يوصم بأنه ملحد أو هرطيق مهما كان الباعث له على البحث سامياً خالصاً ... والظاهر أن الدين من الأمور التى يقرها الإنسان من جهته إقراراً نهائياً فهو لا يطيق أن يدلى أحد من الناس برأى يخالف رأيه أو يعرض أى شرح أو تفسير يباين ما عرفه وألفه ويكاد أن يكون لكل فرد تفسيره الخاص للإنجيل ...

لهذا كان الفكر الأوربى مضطربا فى تفسير مفهوم الدين يقول جروف هناك اختلاف كثير فى الرأى حتى من حيث ما يجب أن يدرج تحت اسم الدين ، ومن ثم كان عندنا عدد من التعريفات لا حصر لها ، بل الواقع إنه يكاد يكون لكل كاتب عن الدين تعريف وتصور فى الموضوع يختلفان عما لسواه » اهـ .

http://kotob.has.it

وقد استعرض المرحوم فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز هذه التعاريف في كتابه القيم « الدين » فذكر نحو أربعة عشر تعريفاً لمشاهير كتاب الغرب ثم فندها .

لقد فند تعريف « روبرت سبنسر » ، « ماكس ميلر » ، « دوركايم » « سالومون ريناك » .

وموجز حديثه :

إن « روبرت سبنسر » قال في تعريف الدين : الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية ، يقول الدكتور دراز : إن صح هذا في تصوير عقيدة كبار الفلاسفة والعلماء فإنه لا ينطبق بحال على عقيدة المشبهين والمجسمين والقائلين أن ربهم في السماء ، يعني هو تعريف غير جامع حسب تقاليد علم المنطق .

ويقول « ماكس ميلر » . الدين هو : محاولة تصور ما لا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع إلى اللانهائي ، هو حب الله » ويرد عليه الدكتور دراز : بأنه تعريف لا ينطبق إلا على نوع من الأديان يفصل بين العقيدة والعقل فصلا تاماً ، إنه تعريف لدين يفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم ولا تتصوره أذهانهم » .

أما عن « دوركايم » فإنه يقول عن الدين : مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة ...

وهو تعريف يلتقي في هدفه مع ما قاله سالومون : فالدين عنده مجموعة التورعات التي تقف حاجزاً أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا » .

ويلاحظ الدكتور دراز على هذين التعريفين : أنهما يحذفان فكرة الإله الخالق ويجمحون في إبعاد أصل فكرة الألوهية بكل معانيها .

http://kotob.has.it

إن تعاريف علماء أوربا للدين بدت فى ثوب مهلهل لأنها لم تلاحظ سوى الجانب السلبي ، وتجريد الدين من عنصره الروحى وأبعدوا الدين عن أخص صفاته وهو الألوهية والتدبير لقد تأثر الفكر الأوربى بموارثيه فأضفى على الدين حلة الإتكيت أو البروتوكول ليصير عادة اجتماعية مثل باقة الورد التى توضع على قبور الموتى أو لبس الثوب الأسود حداداً على عزيز رحل أو وضع الخاتم فى أصبع معين للتمييز بين العزب والمتزوج ...

وتظهر هذه الفكرة واضحة فى كلام جروف فى كتابه : المجتمع ومشاكله إذ يقول : ولقد تقدم الدين والمدنية فى سبيل الرقى جنباً إلى جنب فالدين من هذه الوجهة يشابه غيره من الأوضاع الاجتماعية . . . ويقول : الدين كغيره من الأوضاع الاجتماعية الأخرى يدل على طور الرقى الذى بلغه الشعب.

ولئن كان هذا هو عهد أوربا بالدين فإننا أمة الإسلام لا نؤمن بتلك العقيدة فليس من طبيعة الدين أن يشرع طريقاً للآخرة لايمر بالحياة الدنيا ، ولا من طبيعة الدين أن ينفصل عن الحياة لقد تم ذلك الفصام النكد كما قال الأستاذ الشهيد سيد قطب فى ظروف نكدة وكانت له آثاره المدمرة فى أوربا ثم فى الأرض كلها ... وكان ذلك نتيجة لطبيعة الفكر الأوربى المضطرب إن فى القديم أو فى الحديث ... فمن أضل ممن اتبع هواه .

ب — افتراضات تطور الدين

أثرت الحياة الموروثة للمجتمعات الوثنية القديمة فى أوربا على العقلية الأوربية فأفسدت تفكيرها الدينى حسبما سلف أن ألمحنا إليه فى اضطرابهم الفكرى فى تحديد مفهوم الدين ... وقد أضفى ذلك الاضطراب نوعاً آخر من الاضطرابات الفكرية حول تحديد نظرية منشأ الدين وتطوره وقد ورث الفكر الأوربى علم مقارنة الأديان عدة نظريات تفسر منشأ الدين وتطوره:

(١) راجع الموضوع كاملاً فى فصل : الفصام النكد من كتاب : المستقبل لهذا الدين

http://kotob.has.it

الأولى : أن مصدر الدين إنسانى على خلاف كبير فى الطرق التى يسلكها أصحاب هذه النظرية فى إثبات ذلك ... وهذه النظرية مع أصحابها ينكرون حقيقة الألوهية .

وقد سادت هذه النظرية أوربا فى القرن التاسع عشر الميلادى تأثراً بمذهب التطور التقدمى الذى حاول تطبيقه على مقارنة الأديان كل من سبنسر Spencer ، وتيلور Tylor ، وفريزر Frazer ، ودركايم Durkheim .

الثانية : أن مصدر الدين هو التجارب النفسية ... ويحتشد هنا جمع غفير من الفلاسفة لتفسير هذا المذهب منهم :

١ — أوجست ساباتييد Auguste Sabatier الذى قال: إن العقيدة تتولد فى الإنسان منذ نشأته على أثر شعوره بمناقضة جوهرية بين حساسيته وإرادته .

٢ — هنرى برجسون H. Bergson الذى يقول : إن العقيدة الإلهية تقوم على عوامل نفسية تثيرها حياة الإنسان اليومية خاصة مايتعلق بالقوانين الأدبية التى يفرضها المجتمع ، ومايتعلق بأحداث المستقبل التى لايمكن التنبؤ بها بصفة جازمة .

الثالثة : ترى أن الله هو مصدر الدين سواء كان ذلك بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، وقد تحمس لهذه النظرية لانج Lang ، وشريدر Schoeder ، وبركلمان Brockelman وتبعاً لهذا اختلف علماء مقارنة الأديان فى نظرية التطور الدينى ... كيف بدأ . . .

القائلون بالفطرة والقائلون بالتطور لايسعهم الحديث عن دين منطقة بدائية . فقد أعلن العلماء أنهم يجهلون تاريخها تماماً ، فإذا ماتدخل أحدهم فى تفسيرات لهذه الديانات فقد ناقض نفسه وأفنى بحثه فى عبث محكوم عليه مسبقاً أنه غير محترم علمياً . فكما يقول الدكتور دراز : مؤرخو الديانات

http://kotob.has.it

على الخصوص معترفون بأن الآثار الخاصة بديانة العصر الحجرى وماقبله لاتزال مجهولة لنا جهلا تاما فلا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التكهن والرجم بالغيب .

فبقى عندنا منهج البحث فى الاستدلال على ديانة الإنسانية الأولى ونقول : إنه لامعنى لافتراض أن هذه الأمم كانت منذ بدايتها على الحالة التى وصل إليها بحثنا وأنها لم تمر بأدوار متقلبة قبل أن تصل إلى حالتها التى وصلنا إليها فى بحوثنا .

ولقد أنصف العلامة هوفدنج Hoffdidng حينما اعتقد : أن تاريخ الأديان غير قادر على حل مشكلة بزوغ الدين فى النوع الإنسانى فإن التاريخ لايصور لنا هذه البداية الأولى فى موضع ما ، وكل مانجده هو سلسلة من صور مختلفة لديانات متقدمة قليلا أو كثيراً .

والمذهب التطورى يناقش من عدة نواح منها :

(ا) أنه لم يكمل دائرة الفروض المحتملة .

(ب) أنه مبنى على افتراض لم يقم على دليل .

(ا) فرض معقول ومقبول :

أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى فقد كفانا بحثها شيخنا المرحوم الأستاذ الدكتور محمود حب الله إذ يقول فى كتابه : « العقيدة الدينية والحياة الوجدانية » .

« يقول بعض العلماء المعنيين بهذه البحوث إن افتراض « الفيتشية » أصلا للأديان أولى من فرض الوحى الإلهى ، وذلك لأنها أقرب إلى العقل وأقرب للمألوف فانظر إلى هوفدنج Hoffding حين يقول : افترض علماء الكلام أنه أوحى الإنسان الأول بدين كامل لاينقصه شىء ، ولكن الإنسان

http://kotob.has.it

عمى وغوى بعد ذلك . فجاءت الأساطير والأوهام وعبادة الاسلاف ... وأما « الفيتشية » فترى أن الأوهام أو النقص أو الضعف كان سابقا للحق والقوة والكمال ، ولكنه من الهين علينا أن نفهم تطور الكامل عن الناقص دون العكس ، فإذا كان الكامل يضم بين جوانحه عوامل النقص أو بذور النقص فإنه لا يكون كاملا ـ وذلك مسلم بنسبته للإله دون الإنسان ـ ولكن الناقص قد يتطور إلى الكمال بالحركة والتغيير . فافتراض رجال الدين مرجوح عندهم ، لأن المألوف فى التطور هو التطور من الأدنى إلى الأعلى لا العكس ولا شك أن عقيدة التوحيد مثلا أرقى من عقائد التثنية ، وعقائد التنزيه أرقى من عقائد التشبيه » اهـ .

الرد :

ولست أدرى لماذا كان التطور من النقص إلى الكمال تطوراً طبيعياً ومعقولا وكان العكس غير طبيعى وبعيداً عن العقل ، فإن العقل يألف انحطاط الكامل مادام الكمال ليس ذاتياً له كما يألف التقدم والارتقاء ، وماقيل فى الكمال ووجود بذور النقص فيه يمكن أن يعارض بمثله فى النقص فيقال : إذا كان ماهو ناقص يحوى بذور الكمال فيه أو يضم بين جوانبه عوامل الكمال فإنه لا يكون ناقصا .

على أن المسألة لها وجه آخر يتناسب مع ما أسموه « تطوراً طبيعياً » ذلك أن العقائد الدينية الصحيحة ليست إلا وحياً إلهياً جاء بما يتفق وميول الانسان وحاجياته بيد أن تجارب الإنسان كانت فى المبدأ محدودة ، وكانت حاجياته محدودة فأوحى إليه من الحقائق الدينية بما يكفى حاجاته وبما يتناسب مع ثقافته ، ولما زادت تجاربه ونما عقله وتعددت حاجاته احتاج إلى معلومات أكثر لتتناسب مع حاجياته المتطورة وهكذا حتى اكتملت الإنسانية فجاء الوحي كاملا على يد خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد

http://kotob.has.it

صلى الله عليه وسلم فهناك تطور وتدرج فى تعليم الإنسان العقائد الدينية ، فنزلت منجمة على مراحل عدة حتى بلغت الكمال على يد خاتم النبيين ، وكل مرحلة من المراحل حق .. وكلها حق فالعقيدة الحقة متطورة ، ولكن هناك تطور آخر غير هذا التطور وهو من الأسباب التى كانت تدعو إلى بعث الرسل وأعنى به التطور فى العقيدة الذى ينشأ عن طول العهد بها فكثيراً ما كانت تختلط العقائد المنزلة بكثير من الخرافات أو تتبدل عن تحريف مقصود ... أو غير مقصود .. فتصبح وهما وخرافة وتبقى منسوبة إلى الإله أو إلى القوة الروحية العليا ... وكان ذلك من مدعاة إرسال الرسل ليطهروا العقائد الصحيحة مما اختلط بها من أباطيل وأوهام .

ولست أدرى ما الذى يمنع من قبول هذا الرأى مادامت الآراء الأخرى لاتزيد على افتراضات ، وما دام هذا الرأى مستمداً لفهمها كلها على أنها تطور أيضاً فى العقيدة ، ولكنه تطور مسبوق بطور آخر ومادامت الفلسفة عاجزة عن أن ترشدنا إلى أصل إنسانى للأديان ، ومادمنا نجد مايدعم هذا الرأى من التعاليم الإلهية التى أثبت العقل أنها لايمكن أن تكون من وضع البشر ؟ فلماذا لايقبل هذا الرأى الأخير ؟ ! لاسيما وأن التطور الذى ذهبوا إليه تتباين مراحله ويلغى بعضها بعضاً ولا نكاد نجد فى مراحله مايدل على الاستمرار والانسجام . فأى تشابه بين الايمان بالله حق واحد فرد صمد وبين نوع آخر مما ذكروه أصلا لتلك العقيدة ؟ لست أرى مانعا يمنع من قبول هذا الرأى اللهم إلا أن ينكر الأصل كله ويقال هل هناك إله . . ؟؟

وبذلك تظهر إحدى سوأتى علم مقارنة الأديان الأوربى فى اضطرابه فيما يتعلق بالفروض التى فرضها لنظرية تطور الدين أو العقيدة ...

(ب) أين دليل صحة الافتراض :

ويناقش فضيلة المرحوم الدكتور دراز المذهب القائل بالتطور فيقول :

http://kotob.has.it

« إنه مبنى على افتراض لم يقم عليه دليل ، وهو قياس الملكات والأحاسيس الروحية على القوى البدنية والمكتسبات التجريبية والعقلية ظنوا أن الإنسان كما ينتقل فى نموه البدنى من الضعف إلى القوة ، وفى نموه العقلى من الجهالة إلى المعرفة كذلك يلوح أيضاً أنه بدأ حياته الروحية من السخف والخرافة ولم يصل إلى العقيدة السليمة إلا بعد جهد وعناء ؟

الرد :

ونحن نسأل قبل كل شىء عن الأصل الذى بنى عليه هـــذا القياس : هل صحيح أن قوى النفس المختلفة تسير فى نموها على قدم المساواة .. ؟ وأن حياة الناس الروحية تمشى فى كل أدوارها جنباً إلى جنب مع حياتهم المادية ؟

أو لسنا نرى هاتين الظاهرتين تسيران أمامنا فى طريقين متعارضين ؟

« فإذا ماصح مايقال من أن الإنسان كان فى بدايته قانعا بكهف يؤيه وجلد حيوان يستره ، وشىء من الأعشاب يرد جوعه ... أفلا تدفعنا هذه الحالة إلى احتمال أن قلة مشاغله ومطامعه المادية سمحت له بوقت فراغ وجدت نفسيته فيه متسعاً للتأملات التى ترهف حاسته الدينية وتنمى مشاعره الروحية العليا ؟ بدليل المشاهدة المعاصرة أن اشتغال الناس بالماديات وترف الحياة الجسمانية أدى إلى عوز وجدانى لعدم وجود وقت فراغ للتأملات الدينية ، فإن الغرائز المتقابلة تضعف وتنكمش وتتقلص بقدر ماتنمو وتتجدد وتقوى أضدادها مثل كفتى الميزان لاترتفع أحداهما إلا انخفضت الأخرى تباعا .

هذا من جانب :

« ومن جانب آخر فإن قياس الأديان على الصناعات محاولة بين أمرين

http://kotob.has.it

لا توافق بينهما حقيقة نوعية مشتركة ، بل على العكس تماما فهناك تباين بين طبائعهما ووسائلهما .

فبينما حقائق العلوم ثروة واسعة ترحل النفس فى طلبها واقتنائها ، ويتطلب ذلك مثابرة واستعانة بأدوات منفصلة غالبا ... فإننا نجد حقيقة الدين كامنة بين الجوانح وتعرض دلائلها واضحة أمام الحس حتى إن انتفاضة بسيطة تكفى للظفر بالحقيقة الدينية ولو بحدس سريع كالبرق الخاطف .

يستوى فى هذا الإدراك العالم والجاهل ، وكل على قدر فهمه يجد فى الكون مايبهره ويستولى على مشاعره .

إذن فقياس تطور الفن والصناعة سطحى والتشابه بينه وبين حقيقة الدين أجوف ولايعدو اللفظ فقط .

* على أن استعمال هــــذا القانون يلزم أصحابه فإن معنى التطور فى الفنون والصناعات أنها تبدأ فى صورة ساذجة متحدة متجانسة ثم تنتقل تدريجياً إلى نوع من التكاثر والتركيب تزداد به تعقيداً كلما بعدت عن أصلها .

وواضح أن تطبيق هذا القانون التطورى بمعناه العلمى الحيوى على العقيدة الإلهية يستوجب أنها سارت أيضاً من الوحدة إلى الكثرة ، ومن النقاوة واليسر إلى التعقد والأسطورية ... إلى كثير من الأمور التى لاضابط لها مع العقل السليم . .

وإذن فهو قياس فاسد أولا ثم هو قياس ملزم لأصحابه ثانياً .

* فإن قالوا : إن المراد من قانون التطور : قانونه الأدبى وهو : الترقى من النقص إلى الكمال ، قلنا : ليس ذلك قانونا علميا ولا سنة طبيعية مطردة

http://kotob.has.it

ولا يمكن تطبيقه بصفة آلية على التأريخ البشرى وما هو إلا إحدى القيم التى تطمع فيها النفوس فتبلغها حينا وتتحسر عنها أحيانا وفرق بين قابلية الترقى كأمل وبين تحققه كواقع فعلى ...

وهكذا نرى أن التطور الصحيح لا يقف فى صف الدفاع عن النظريات الموسومة بالتطورية التى تجنح إلى تطور الأديان من الخرافة إلى التوحيد بل على العكس فإنه يقف مؤيداً إلى جانب النظرية المقابلة وأن الدين بدأ بالوحى والتوحيد - فليس فى أدلة التاريخ ما يبرهن على أن التطور يسير من الأضعف إلى الأقوى ولا من الأسطورة إلى الحقيقة ،

بل هناك نظرية أخرى يمكن الأخذ بها وهى: أن الرشد والضلال فى الفكرة الدينية ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط لا صعوداً ولا انحداراً على مدى العصور. بل هما ظاهرتان متعاصرتان موزعتان فى كل أمة وفى كل جيل تبعاً لاختلاف الناس فى درجة الاستقامة وسلامة الحدس العقلى ونبل الحس الوجدانى : فلا يخلو جيل مامن نفوس صافية تدرك الحقيقة نقية واضحة . وأخرى على خلاف ذلك .

وقد اتفق الموثوق بهم من مؤرخى الأديان أن أشد الشعوب همجية ووثنية لم تنفك عن الاعتقاد بإله خالق هو رب الأرباب لكن اللغز المحير أنه بين القدر الذى عرفناه من تاريخ البشرية وبين عصر نشأة الدين لا تزال ثغرة واسعة لم تسد فقد اتفقوا على أن الوقائع المفقودة الوثائق لا يمكن إثباتها على وجه قاطع .

أما عندنا فى القرآن الكريم فقد انفك ذلك الطلسم وحل ذلك اللغز :
«فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» (٣٧ - البقرة) .

« قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . (٣٨ - البقرة)

http://kotob.has.it

وهكذا تكشف السوأة الثانية للعقلية الأوربية المشتغلة بمقارنة الأديان .

* فهي عقلية ورثت ديانات وثنية لا غناء فيها للروح والفكر .

* وهي عقلية تعصبت لمنهجية عقلها فأغلقت دائرة الفروض فزلت .

* وهي عقلية غير حيادية في منهج البحث فأفسدت عناصر القياس فخلطت بين الدين والصناعة والوحي والفن ، والممنوع والمقبول .

يقول المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز :

وجملة القول : أن كل النظريات التي حاولت تحديد ديانة الإنسان الأول بالتطبيق على ديانات القرون الماضية أو الأمم الهمجية ... إنما هي افتراضات مبنية على افتراضات فهي لا تصف الحق الثابت الذي هو مطلب العلم الصحيح :

أما من أحب أن يسترشد بنصوص القرآن الكريم فإنه سوف يجد فيها ما يشد أزر القائلين بأولية العقيدة الإلهية الصحيحة لا في الغريزة فحسب : فطرة الله التي فطر الناس عليها » ، بل في التطور الزماني « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » ١٩ - يونس .

وأن استمرار هذا الخلاف واتساع شقته إنما كان بتأثير الوراثة « فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » وقد تعهد الله بني البشر منذ هبط آدم إلى الأرض وكان أول الملهمين والموحدين وأول التائبين المتضرعين .

من آثار هذا الاضطراب :

تبعا للظروف التي عاشتها أوربا قبل أن تدخلها نحلة المسيحية كان يوجد فيها مجموعة أديان بدائية قسمها هيجل Heguel إلى ثمانية أديان :

* دين أوجده الاجتهاد البشري فقط .

http://kotob.has.it

دين قائم على الظنون .

« قائم على الإلهام والشعور .

« قائم على التحرى والتفكير .

« قائم على الترانيم والرقص .

« قائم على سفك الدماء والاضطراب الروحى .

« قائم على الأصنام .

« قائم على الفراسة والتحليق فى الفلسفة الغامضة .

ولما كانت الأمور أسسها الإضطراب فإن هارتمن Harthman يضع تقسيما آخر فيجعلها خمسة أديان :

دين التوحيد الكاذب (دين هنود أمريكا) .

« الفناء المطلق (كالبوذية) .

« الدهرية وأشباه الدهرية (مثل أديان رومة القديمة) .

« الزهد (كالبرهمية) .

« دين الأوهام (كالديانات الفرعونية) .

ويأتى تييل Tiyels فيقسم الدين إلى أربعة أديان :

دين عبادة الحيوانات المتعددة (مثل ما كان شائعاً فى أوربا الشمالية) .

« المحبة والشياطين (مثل ما كان شائعاً فى اليونان والصقالبة) .

« دين السحر والشعوذة (كالديانة الرومانية القديمة .

« دين عبادة الأشخاص (وهى عبادة الشعوب الجرمانية .

ثم ينضم سيبرك Siyebeg إلى هذه الجماعة العشوائية التقسيم فيقول إن الدين ينقسم إلى أربعة أنواع :

http://kotob.has.it

دين قائل بوجود صانع لهذا الكون .

« عبادة الانقياد لكل شيء حسن (مثل فلاسفة اليونان قديما) .

« دين مطلق لا يعترف بخالق وهي عقيدة سرت إلى أوربا من آسيا .

« دين العقيدة الوسطى خليط بين وجود وعدم وجود مبدع للكون .

فأنت ترى هذا الخلط والخليط فى تقسيم الأديان ، إنه ليس قائماً على قاعدة ولا متجها نحو غاية ، ولا يبحث فى تقسيماته عن دليل صحة أو بطلان . فهل مثل هذه العقلية تكون الموجه لحياة مثقفين ؟

وينبثق عن اضطراب الفكر الأوربى كذلك تلك الشعارات البراقة التى كانت نتيجة الفصام النكد وانسلاخ الناس فى أوربا من مسيحيتهم وفصل الكنيسة عن الدولة نتيجة لعوامل كثيرة كان أهمها أن الكنيسة الغربية قد أعلنت الديكتاتورية التى لا تستند إلى شرعية سليمة فى حق فهم كتابها المقدس وتفسيره وحظرت على أى عقل من خارج الكهنوت أن يحاول فهمه أو تفسيره ثم أتبعت هذا بإدخال معميات فى العقيدة لا سبيل إلى إدراكها أو تصورها ... ثم أدخلت مثل هذه المعميات فى الشعائر الدينية ثم حرمت على الناس بحثها .

ثم كانت محاكم التفتيش ذروة الديكتاتورية الدينية وكان تسلط البابوات على أباطرة أوربا ورؤسائها المسيحيين واشتطت الكنيسة فى الطرد والحرمان وبيع صكوك الغفران فدعا الأمراء والحكماء عامة الشعب للثورة على الكنيسة وظهر مبدأ فصل الكنيسة عن الدولة ... وجر ذلك ذيوله على الأمة الإسلامية فقد سرت العدوى — مع كبير الفرق بين واقع الحكم الإسلامى وواقع حكم الكنيسة فى ذلك العصر — سرت العدوى عن طريق عصبة من مواطنينا ذهبوا إلى أوربا وحملوا ذلك الميكروب الخبيث ... فصارت فكرة فصل الكنيسة عن الدولة حلماً فى الشرق الإسلامى لفصل الإسلام عن الدولة .. وطبق هذه الدعوى مصطفى أتاتورك ربيب المحفل

http://kotob.has.it

الماسونى وخدن الأسرة اليهودية التى تآمرت على إنهاء الخلافة الإسلامية من الدولة العثمانية ... فتفكك العالم الإسلامى لتقوم دويلة إسرائيل فى جسمه كسرطان لن يشفى إلا بالاستئصال ... ثم تتلاشى الدولة الإسلامية وتولد دويلات فى العالم العربى لا تجمعها إلا زمجرة أسلحة الحرب لصد الاعتداء .

وشاء الله أن تبقى السعودية للإسلام الحنيف نموذجا يبرهن على أن كل أنظمة الحكم فى الغرب أو فى الشرق بكل مصنفاتها لم تحظ كالسعودية بالأمن والاستقرار والعدالة والتقدم الحضارى والازدهار ... وفى ذلك ذكرى لمن كان له قلب وأراد أن يعيش فى عدل وفى أمن وسلام .

وكانت آثار تلك الاضطرابات فى الفكرة الأوربية انحرافات فى بعض بلاد الأمة العربية مما جعل بريق المستشرقين يوضع فى فكر بعض الجامعات على قدم وساق مع الحقيقة حتى أنه ليكفى فى التدليل على صحة شىء أن يقال إنه رأى سبنسر أو هيجيل ... الخ ذلك المرض جاءنا من مقايسات الأبحاث المضطربة فى الفكر الأوربى على أسلوب تفكيرنا وديننا وحياتنا ... ولا أظن أن أبناءنا فى جامعة الأزهر لهم درب فى هذه الدياجير الفكرية بعد أن اتضح لهم الحق وظهر وبان .

وقد شهد بذلك واحد من علماء أوربا « برتراندرسل » عام ١٩٥٠ حيث قال : لقد انتهى العصر الذى يسود فيه الرجل الأبيض ، وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياما رضية كتلك التى لقيها خلال أربعة قرون » .

لقد انتهى عصر الرجل الأبيض استعمارياً بالاحتلال العسكرى ، ويجب أن ينهى عصر الرجل الأبيض استعمارياً بالفكر والثقافة والعادات ... كما يجب أن ينهى عصر الرجل الأبيض مطلقاً باستعماره الاقتصادى والديبلوماسى فقد قال الله وهو أصدق القائلين :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا

http://kotob.has.it

ما عنيتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » (١١٨ آل عمران)

(ج) أسباب الاضطراب فى الفكر الأوربى:

ومن العرض السالف تظهر أسباب اضطراب الفكر الأوربى فى علم مقارنة الأديان كالآتى :

١ — كثافة المواريث المظلمة فيما يتعلق بالدين الذى توارثوه من قديم .

٢ — عدم وجود نصوص فى الكتب الدينية توضح الدين مفهوما وتطورا .

٣ — عدم كمال دائرة الفروض العقلية التى وضعوها لمناقشة التدين ونشأة الدين .

٤ — فساد المقاييس التى وضعوها لتفسير تطور الدين على منوال مقاييس المذهب التطورى الصناعى ، والأدبى ... الخ .

٥ — عدم تطبيق الحيدة العلمية فى البحث العلمى .

٦ — حرمان البحث العلمى من الهدف الصحيح ، والصلف بالبحث العلمى (العلم لذاته) لا للوصول إلى الحق .

والذين يتبعون الفكر الأوربى فى علم مقارنة الأديان هم الذين يحبون : أن يعيشوا فى كهوف أوربا القديمة ويجعلون من القرآن كتاباً غامضاً مثل كتب أوربا الدينية ويحجرون على العقل العربى المسلم بارتباطه بدائرة غير كاملة غروراً وزهواً .

ويحبون فى حفلة الهراء المنطق مقاييس الغرب ولو كانت فاسدة .

ويختفون وراء حجاب حيدة العلم وهم مدججون بآفة التعصب الديكتاتورى .

http://kotob.has.it

إن من يحب تقليد الفكر الغربى هو الذى يتبع الهوى ويسير على منهج العشوائية التى تعلن العلم للعلم لا للغاية النبيلة والحق الصادق .

أما عندنا فى الإسلام :

فالحق أحق أن يتبع ...

« وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون » . (٣٦ — يونس)

رابعاً : المصطلحات الثلاثة

الدين . الملة ، النحلة

تمهيد :

عند مايذهب الإنسان بعيداً عن مصدر النور كثيراً ما يختلط عليه الأمور المتعارفة له ... فإذا ما أغرق الإنسان فى البعد عن النور ومصدره فقد التمييز بين كثير من الحقائق وقد قالوا : إن الألوان تتشابه فى الظلام .

واختلاف الناس فى الرأى ـ الذى كان قبل مسلماً وواضحاً ـ وليد بعدهم عن المصدر الأساسى كما يعد صاحب الألوان المتعددة عن النور فرآها كلها فى الظلام لوناً واحداً .

والأمة الإسلامية تأتى عليها أحيان من الدهر تختلط فيها مناهجها الإسلامية الأولية فتراها فى كثافة الضباب مختلطة مع غيرها فتتشابه عليها معانيها وتضطرب لذلك سبلها ... والتعرف على الحق الأول فيها ... وإذا كان الضباب فى عالم المادة يحدث تصادما بين السيارات المسرعة التى لا تحترم قدرته على تشويه الرؤية ، فإن ذلك فى عالم المفاهيم يحدث بلبلة وصراعاً ثم انحرافاً عن السواء فى الإدراك والفهم والسلوك .

http://kotob.has.it

لذا فإن الأمة الإسلامية دائماً فى حاجة إلى من يحدد ويجدد لها مفاهيمها أو يحدد ويجدد لها مصطلحاتها ... كلما هبت رياح الغزو الفكرى التى تريد أن تدمر ذاتية الإسلام، ومقومات الأمة الإسلامية.

ولقد افتتح هذا اللون من الجهاد الفكرى الإمام الحجة أبو حامد الغزالى فى كتابه: «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» عندما عجت ساحة المجتمع الإسلامى بمحافل من المتخاصمين: وكل فريق يكفر فريقاً أو ينعته بالمروق والفسوق.. إلخ فشمر عن ساعد الجد ليحدد ويجدد المفاهيم الإسلامية حتى تنجلى القريحة فى وضوح فيتلاشى ضباب الزحف الغازى الذى شاء أن يطمس معالم الفكر الإسلامى بما أحدثه من بلبلة فى المفاهيم تبعها تحزب وصراع ثم أحكام بالتكفير والتفسيق ... الخ

يقول الإمام الغزالى: فإنى رأيتك أيها الأخ المشفق والصديق المتعصب، موغر الصدر، منقسم الفكر، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة فى أسرار معاملات الدين، وزعمهم أن فيها مايخالف مذهب الأصحاب المتقدين والمشايخ المتكلمين ...، ... فهون أيها الأخ المشفق على نفسك ولا تضيق ... وأعلم أن حقيقة الكفر والايمان وحدهما والحق والضلال وسرهما لاينجلى للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال وحبهما، بل إنما ينكشف ذلك لقلوب طهرت من وسخ أو ضار الدنيا، وصاركأنها مرآة مجلوة، وصار مصباح الإيمان فى زجاجة قلبه مشرق الأنوار، يكاد زيته يضىء ولو لم تمسسه نار ...» اهـ

وكم تحتاج الأمة الإسلامية فى حياتنا المعاصرة إلى كثير من توضيح المفاهيم التى يراد لهـــا التخليط والإدماج والإلغاء فى مفاهيم غريبة على الإسلام ومجتمعه وثقافته ... !؟

ولقد افتتح هذه الحلقة من الجهاد فى جيلنا المعاصر العلامة المجاهد الكبير

http://kotob.has.it

الشيخ أبو الأعلى المودودى فى كتابه : المصطلحات الأربعة فى القرآن » وقد ذكر فى مقدمة كتابه الدافع له على هذا البحث فقال :

يدلنا النظر فى عصر الجاهلية وما يتبعه من عصور الإسلام ، أنه لما نزل القرآن فى العرب ، وعرض على الناطقين بالضاد كان حينئذ يعرف كل امرىء منهم مامعنى (الإله) وما المراد بـ (الرب) وكذلك كانت كلمتا : (العبادة) و (الدين) شائعتين فى لغتهم وكانوا يعلمون ما العبد ... الخ ... ولكنه فى القرون التى تلت ذلك العصر الزاهر جعلت تتبدل المعانى الأصلية الصحيحة لجميع تلك الكلمات ... حتى أخذت تضيق كل كلمة عما كانت تتسع له وتحيط به من قبل ، وعادت منحصرة فى معان ضيقة محدودة وذلك لسببين :

الأول : قلة الذوق العربى السليم ، ونضوب معين العربية الخالصة فى العصور المتأخرة .

الثانى : أن الذين ولدوا فى المجتمع الإسلامى ونشأوا فيه لم يكن قد بقى لهم من معانى هذه الكلمات ما كان شائعاً فى المجتمع العربى وقت نزول القرآن الكريم ... اهـ

وإذا رجعنا إلى الكاتبين فى « مادة مقارنة الأديان » وجدنا هناك قصداً إلى تمييع القيم الإسلامية بما سموه : الحيدة فى البحث ، وبما سموه : حرية الفكر ... وأول شىء يرد عليهم ادعاءهم أنهم إذا توصلوا بهذه الحيدة وبهذه الحرية إلى أن الإسلام هو الحق رفضوا الإذعان والتسليم ولووا أعناقهم كفراً ، واستكباراً .

ومن هنا كان حقاً علينا فى هذا المدخل أن نتصدى لتوضيح هذه المصطلحات الثلاثة متمسكين بمنهجنا الذى رفعنا عليه راية : الذاتية الإسلامية.

http://kotob.has.it

أولا : الدين

كلمة دين : كلمة عربية أصيلة ليست معربة وليست فارسية كما يدعى البعض وقد جرى استعمالها فى اللغة العربية على أربعة مقاصد :

١ - دين بمعنى : الحكم وسياسة الأمور والقهر والتدبير والمحاسبة تقول : دانه دينا ، ودان الناس : أى قهرهم على الطاعة .

وفى الحديث الشريف : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، يعنى قهر نفسه « والديان » الغالب القاهر قال الأعشى الحرمازى يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم : ياسيد الناس وديان العرب .

٢ - دين بمعنى : التسخير والإطاعة ، والعبدية والخضوع . نقول : دان له : أطاعه ، وخضع له ، ومنه : دنتهم فدانوا ، أى : قهرتهم فأطاعوا .

وفى الحديث الشريف : « أريد من قريش كلمة تدين بها العرب » أى : تطيعهم وتخضع لهم .

٣ - دين بمعنى . الجزاء والحساب والمكافأة .

قال فى تاج العروس : وقيل الدين هو الجزاء .

وقال الزمخشرى فى كتابه : أساس البلاغة . دنته بما صنع : جزيته ومنه يوم الدين وفى الحديث الشريف : « إن الله ليدين للجماء من ذات القرن » أى يقتص ويجزى .

٤ - دين بمعنى الاعتقاد نقول: وأن بالشىء معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا .

فالدين على هذا المذهب هو الطريقة التى يسير عليها المرء .

http://kotob.has.it

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة : مادة : (الدال ، والياء، والنون) ، أصل واحد ، إليه يرجع فروعه كلها وهو جنس من الانقياد والذل .

وملخص استعمالات أهل اللغة :

أن كلمة دين : إذا تعدت بنفسها : دان دينا كان معناه الحكم والسلطان .

وإذا تعـــدت باللام دان له كان معناها الخضوع بالانقياد

وهذا المعنى الثانى ملازم للأول ومطاوع له فكلما وجد قاهر فهناك مقهور وكلما وجد دائن فهناك مدين له.

وإذا تعدت بالباء دان به كان معناها الجزاء والحساب والعقيدة والشريعة باعتبار الانقياد والطاعة ...

على أننا إذا اتبعنا رأى ابن فارس وجدنا استعمالا عاما يشمل هذه المعانى كلها .

ومن هنا فإننا إذا أردنا أن نطبق ماجاء فى كتب اللغة على استعمال القرآن لهذه المادة وجدنا أن القرآن الكريم يستعمل كلمة دين فى معانيها الأربعة :

المعنى الأول : الدين بمعنى السلطة العليا والحكم لله .

المعنى الثانى : بمعنى الطاعة والإذعان لحاكمية الله وسلطانه .

وهما معنيان متلازمان لا ينفكان يقول الله تعالى :

الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين » (٦٤-٦٥ غافر) .

« وله مافى السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون »

(٥٢ ـ النحل)

http://kotob.has.it

« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء » (٥ - البينة)

« أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » (٨٢ - آل عمران)

فكلمة دين فى هذه الآيات وردت بمعنى : السلطة العليا ، ثم الإذعان لتلك السلطة وقبول إطاعتها وعبوديتها .

والمراد بإخلاص الدين لله ألا يسلم المرء لأحد من دون الله بالحاكمية والحكم والأمر ، وأن يخلص عبديته لله تعالى إخلاصا لا يتعبد بعده لغير الله ولا يطيعه إطاعة مستقلة بذاتها. وعليه فطاعة الولد والده والزوجة زوجها والرعية أميرها إن كانت تنفيذا لما أمر الله به فإنها طاعة لله وله بها المثوبة والجزاء وإذا كانت طاعة بعيدة عن تلك الحدود التى رسمها الله فهى طاعة لبشر وعليه بها الإثم والعقاب ...

المعنى الثالث : الدين بمعنى : الشريعة والنظام الكائن تحت سلطان الله وحاكميته بقول الله تعالى :

« قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين » (١٠٤-١٠٥ يونس)

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » (٢ - النور)

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » (٢١-الشورى)

« لكم دينكم ولى دين » (٦ - الكافرون)

فكلمة دين فى هذه الآيات وردت بمعنى : الحدود والطريقة والشرع والنظام العملى الذى يتقيد به الإنسان .

http://kotob.has.it

فإن كانت السلطة التى يستند إليها المرء لاتباعه نظاما أو قانوناً من عند الله فالمرء لاشك فى دين الله .

وإن كانت تلك السلطة تستند إلى نظام بشرى فالمرء لاشك فى دين ذلك النظام البشرى وقد قال الله تعالى فى سورة يوسف « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » يعنى نظام وحكم ملك مصر .

المعنى الرابع : الدين بمعنى : الجزاء والمكافأة التى تمنحها السلطة العليا للذين يطبقون تعاليم الدين بإخلاص .

يقول الله تعالى :

« إن ماتوعدون لصادق وإن الدين لواقع » (٥ - ٦ - الذاريات)

« أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » (١ - ٣ - الماعون)

« وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله » (١٧ - ١٩ - الانفطار)

« وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين » (٢٠ — الصافات)

فكلمة دين وردت فى هذه الآيات بمعنى الجزاء والمحاسبة والمكافأة وقد فرق القرآن الكريم بين دينين : أحدهما حق والآخر باطل .

يقول الله تعالى :

« قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية يد وهم صاغرون» (٢٩ - التوبة)

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٣٣ - التوبة)

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » (٢٨ - الفتح)

http://kotob.has.it

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٩ - الصف)

ذلك دين الله الحق الذى وصفه بقوله :

« وله مافى السموات والأرض وله الدين واصبا » (٥٢ - النحل)

« ألا لله الدين الخالص » (٣ - الزمر)

« ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » (٣٠ - الروم)

« ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » (٣٦ - التوبة)

« وذلك دين القيمة » (٥ - البينة)

وهذا الدين الخالص لله القيم هو الذى وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب وهو الذى جاء به سيدنا محمد ليظهره الله على الدين كله .

وهو الذى أمر الله المسلمين بإقامته على وجه الأرض كلها حتى لا يبقى على وجه الأرض دين سواه .

يقول الله تعالى :

« وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله » (١٩٣ - البقرة)

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٣٩ - الأنفال)

وهذا الدين هو الذى وصفه الله بأنه لا إكراه فيه :

« لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » (٢٥٦ البقرة)

وهذا الدين الذى لا إكراه فيه هو الذى ارتضاه الله للبشرية طراً ورفض ما سواه :

« إن الدين عند الله الإسلام » (١٩ — آل عمران)

http://kotob.has.it

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » (٨٥ — آل عمران)

وهذا الدين هو الذى تقع به وفيه الأخوة .

« فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين » (١١ - التوبة)

« فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » (٥ - الأحزاب)

فلا لقاء بين واحد من أهل الكتاب حتى يدخلوا فى نظام الإسلام فيتوبوا أولا من كفرهم ثم يقيموا الصلاة ... الخ . وعندئذ فهم إخواننا فى هذا الدين الذى رضيه الله .

والادعياء فى الأسرة القديمة تلغى أبوتهم من آبائهم المتبنيين لهم فإن علموا لهم آباء نسبوهم إليهم وإن لم يعلموا كانت الأخوة الدينية بالإسلام هى العلاقة والآصرة .

هذا الدين كله هو دين الله الخالص الذى قال فيه:

« ألا لله الدين الخالص » (٣ - الزمر)

وهذا الدين الذى جاهد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الدين الذى خاطب الله به الأمة الإسلامية .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » (٣ — المائدة)

وهو الدين الذى خاطب الدين نبيه المصطفى الخاتم العاقب بحمد الله وتمجيده وتسبيحه بعد أن دخل الناس فيه أفواجا .

« إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » (سورة النصر)

http://kotob.has.it

عناصر الدين الإلهى :

وقد وضحت آيات القرآن الكريم وخاصة فى العهد المكى أن الدين الإلهى يشتمل على أربعة عناصر .

المصدر : وهو الله جل شأنه .

«الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا» (١ـ الكهف)

الوحى : «إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا [الملك] إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا» (١٦٣ ـ النساء)

«حم ، عسق ، كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم» (٣ ـ الشورى)

الموحى به : «واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير [الكتاب] الحاكين» (١٠٩ ـ يونس)

وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها ، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير»

(٧ ـ الشورى)

«تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا»

(١ ـ الفرقان)

«وإنه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين» (١٩٣-١٩٥ ـ الشعراء)

الموحى إليه : «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب [الرسول] أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم ، وكذلك أوحينـــا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان

http://kotob.has.it

ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور» . (٥١ - ٥٣ الشورى)

ولقد ارتبط الفكر الإسلامى فى تحديده لمفهوم الدين بهذه العناصر فكل دين ليس فيه مصدر الألوهية فليس من الجيد أن يسمى دينا ومن النحل التى تدخل فى هذا الحكم البوذية فقد خلت البوذية من القول بوجود الله مما جعل بعض الباحثين الأوروبيين الذين يبحثون فى مقارنة الأديان فى القرن التاسع عشر الميلادى يقولون بأن عنصر الألوهية ليس ضرورة بالنسبة للدين نظرا لما ظفروا به من عقيدة عقلية خالية تماما من أى عنصر إلهى حيث لا وحى ولا إله ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا فكرة خلود : تلك العقيدة العقلية هى البوذية .

غير أن هذا الاتجاه خالفه اتجاه آخر يقول : ما دامت البوذية خالية من عنصر المصدر الإلهى فهى ليست دينا ...

غير أن هذا الإضطراب الفكرى لدى علماء الغرب معلل بفقرهم فى هذا المجال من النص الدينى الصحيح الذى يعطيهم مفهوم الدين الصحيح ... ولأنهم يأخذون الدين عن طريق الفكر الفلسفى المحض أو المشاب بمزيج من الدين الذى لا يمكن أن يجد له نصا معصوما ...

ونحن والحمد لله فى غنى عن سلوك هذا الموكب المخلوع العجلات الجاهل للغايات فقد وضح القرآن الكريم عناصر الدين ومفهومه فكل دين يخلو من أحد هذه العناصر فليس دينا بالضرورة ، فإذا فقد دين الوحى أو النبوة مثل نحلة المسيحية فهى ليست بدين إلهى صحيح فإن قولهم عيسى ابن الله ينفى عنه النبوة وبانتفاء النبوة ينتفى عنصر من عناصر الدين فلا تبقى المسيحية

http://kotob.has.it

متصفة بأنها دين من عند الله ... وهلم جرا .. فكل دين لا يشتمل على العناصر الأربعة المذكورة فقد انخرم فيه خرم ينفى عنه صفة الدين ومراسيمه ...

وعلى هذا قلست متفقا مع شيخنا المرحوم فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز فى تعريفه للدين بما يشمل الدين الصحيح والدين غير الصحيح إذ يقول: غير أنه ليس من العسير على من يستعرض هذه التعاريف أن يلاحظ أن الجمهرة الغالبة منها قد جاوزت الحد فى التحديد حتى حصرت مسمى الدين فى نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحى السماوى وهى التى تتخذ معبوداً واحدا ... أما الديانة الطبيعية التى تستند إلى محض العقل ... وكل ديانة تقوم على عبادة التماثيل ... الخ فإنها تخرج بمقتضى هذه التعاريف عن أن تكون دينا مع أن القرآن قد سماها كذلك حيث يقول: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا»، «لكم دينكم ولى دين».

ثم اقترح عدة حدود وقيود لتعريف الدين بحيث يكون جامعاً فلا يخرج دين عنه مهما كان وضعياً ومانعاً بحيث لا يدخل فيه ما لا يسمى بدين غير أن ما ذهب إليه ليس بمقبول إسلاميا ولا منطقيا.

فالآيات التى استدل بها فرقت بين دين حق، ودين باطل والتعريف الذى يجمع بين الحق والباطل لا يكون مانعاً ولا يكون جامعاً.

والقاديانية والبابية والبهائية على رأيه تكون دينا مع أنه كعالم مسلم مشهور بذاتيته الإسلامية وخلقه الإسلامى ورصانته فى علوم الإسلام يرفض أن يسحب عليها تعريف الدين.

... ولذا فإن مسلك ابن حزم كان أدق إذ وصف كل نحلة أو ما يسمى بالدين بأنها ملل أو أوهام أو نحل.

ولهذا كان المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق واعيا فى تحديد معنى الدين إذ يقول فى كتابه: الدين والوحى والإسلام.

http://kotob.has.it

ولئن كان القرآن قد استعمل لفظ دين بهذا المعنى الشامل كما يدل عليه تسمية (نحل) المشركين أديانا فى قوله : « لكم دينكم ولى دين » فإن القرآن قرر فى أمر الدين أصولا جعلت للدين معنى شرعيا خاصا .

فالدين ، لا يكون إلا وحيا من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله » ثم قال : وهذا ما نميل إليه فى الجو الإسلامى ولا ملامة علينا إذ فصلنا تعريف الدين فى الجو الإسلامى عن تعريف الدين فى علم مقارنة الأديان الغربى تأسياً بما فعله القرآن الكريم فهل بعد الحق إلا الضلال ... ؟ وقد افترقت صفات الدين الحق · دين الله عن صفات دين الشرك والأصنام والأهواء ؟

وعلى هذا فالدين الإلهى نظام كامل يشمل الفرد والأسرة والمجتمع والدولة وليس فقط طقوسا دينية ، ولا كهنوتية وجدانية بل هو نظم كاملة للروح والجسد والدنيا والآخرة معا ... ومن فسر الدين بغير هذا فهو ليس دين الإسلام ، ولكنه دينه هو ... وقد رضينا بالله ربا والإسلام دينا ...

ثانيا — الملة

قال الراغب الأصفهانى فى كتابه « المفردات فى غريب القرآن » :

الملة كالدين : وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتواصلوا به إلى جوار ربهم .

قال فى أساس البلاغة ومن المجاز فى استعمال : الملة بمعنى الطريقة المسلوكة ومنها ملة إبراهيم حنيفا وامتثل فلان ملة الإسلام ، وعليه فالفرق بين الدين والملة .

أن الدين ما يكون عليه كل واحد من أهل الملة الواحدة .

وأن الملة إسم لجملة الشرائع .

قال الراغب الأصفهانى : والفرق بين الملة والدين : أن الملة لا تضاف

http://kotob.has.it

إلا إلى النبي عليه الصلاة والسلام الذى تستند إليه نحو : « اتبعوا ملة إبراهيم حنيفا » ، « واتبعت ملة آبائى ... ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تستعمل إلا فى جملة الشرائع دون آحادها فلا يقال : ملة الله . ولا يقال ملتى ، كما يقال : دين الله ودينى .

ولا يقال للصلاة ملة الله .

فالملة تضاف إلى من أوحيت إليه .

والدين يضاف إلى من يعتنقه ويؤمن به .

وعلى هذا فأحكام التوراة ملة هى ملة موسى ، وأحكام الإنجيل ملة ، هى ملة عيسى لأنها مجموعة الشرائع التى حملها موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

* وأما الدين فهو دين الله باعتبار أنه مصدره الآمر به وهو الديان القاهر فوق عباده .

* والدين : دينى ودينك باعتبار خضوعنا وانقيادنا إليه .

قال أبو الهلال العسكرى

الملة اسم لجملة الشرائع .

والدين : اسم لما عليه كل واحد من أهل الشرائع .

وعلى هذا فدين الله واحد هو الإسلام ولكل نبي ملة هى شريعة الله الخاصة بقومه : يقول الله تعالى :

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم

http://kotob.has.it

فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (٤٨ — المائدة)

قالوا فى تفسيرها : أنزلنا إليك يا محمد - صلى الله عليه وسلم - القرآن بالحق مصدقا لما قبله من الكتب وشاهداً عليها فاحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله إليك ولا تتبع أهواءهم عادلا عما جاءك من الحق ، فقد جعلنا لكل من الأمم شريعة وطريقاً واضحا فى الدين يمشون عليه ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة على شريعة واحدة ولكن فرقكم ليختبركم بالشرائع المختلفة فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا بالبعث فينبئكم بما كنتم تختلفون فيه من أمر الدين ويجزى كلا منكم بعمله » اهـ .

فنحن نؤمن بدين الله الإسلام وعلى ملة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته الغراء ...

ثالثا ـ النحلة RELGION

قال القاموس العصرى Rélgion مذهب دينى .

وفى العربية نحل جسمه نحولا ، وأنحله المرض إذا صار ضعيفا ونحل ولده مالا إذا وهبه على وجه خاص .

قال الراغب الأصفهانى النحله — بفتح النون المشددة وبكسرها — هى العطية على سبيل التبرع وهو أخص من الهبة ، إذ كل هبة نحلة ، وليس كل نحلة هبة .

واشتقاقه فيما أرى أنه من النحل نظرا منه إلى فعله فكأن نحلته أعطيته عطية النحل وذلك مانبه عليه قوله « وأوحى ربك إلى النحل » ... الآية .

وبين الحكماء أن النحل يقع على الزهور وحقول طعامه النظيفة الطيبة الرائحة ويرتشف منها ماءها ولا يضرها بوجه ثم يعـــود إلى

http://kotob.has.it

« خليته » فينفع به أعظم نفع فإنه يعطى مافيه الشفاء كما وصفه الله تعالى : يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٦٩ ـ النحل)

ووصف وسمى الله صداق الزوجة بهذا الإسم « وآتوا النساء صدقاتهن » نحلة ... الآية من حيث إنه لايجب فى مقابلة عوض ولبه بهذا الوصف أن يتحرى المسلم فى جمع صداق زوجته أوجه الحلال الطيب كما يتحرى النحل أرق أنواع الزهور وأنداها ريحا وأحلاها مذاقاً دون أن يلحق بها ضررا ... وأن تتقبل الزوجة مهرها شفاء من كل وسواس فترجع به من بيت أبيها إلى بيت زوجها كما ترجع النحلة على الناس بالعسل .

والانتحال عربية : ادعاء الشىء وتناوله ، فن ادعى دينا فقد انتحله لنفسه فمن انتحل الإسلام فقد ادعى أنه مسلم ومن انتحل الشعر فقد ادعى أنه شاعر ومن انتحل البرهميه فقد ادعى أنه برهمى ...

وقد وضع علماء الغرب لهذه النحلة اصطلاحا فقالوا : النحلة يراد بها : مجموعة العقائد والعبادات والشعائر التى تخص شخصا بعينه .

ولكنهم أخطأوا يوم سحبوا هذا التعريف على الإسلام فقالوا إن الإسلام نحلة .

لأن النحلة من مواصفاتها الشخص الواحد أو الجماعة الواحدة فهى نظام خاص لايصح أن ينسحب على الجميع وبالتالى لايجوز لهذه الجماعة أن ترفع عصاها على رءوس الناس عامة لتفرض عليهم نحلتهم الخاصة ، وإن صح لهم أن يبلغوها باللسان والدعوة والكلام ووسائل النشر العادية .

وقد قصد علماء الغرب هذه التسمية وطبقوها على الإسلام ليفسحوا لأقلامهم المجال فى مهاجمة شريعة السيف التى اتخذها الإسلام وسيلة للدعوة فى ظروف محددة فى الشريعة الإسلامية .

http://kotob.has.it

ومعروف أن الإسلام دين الله للناس كافة فهو إذن ليس نحلة بالمفهوم الذى وضعه علماء الغرب لمعنى نحلة .

فالنحلة استعمال ضيق للتعبير عن إلحاق فرد أو جماعة بعقيدة معينة سواء كانت هذه العقيدة دينية أو غير دينية وسواء كانت صحيحة أو غير صحيحة .

إنها من قبيل الهوى المتبع « ومن أضل ممن اتبع هواه » ولقد سمى الله نحل الكافرين ومللهم جميعاً هوى وذمها كلها فى قوله تعالى :

« ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » (٤٩ ـ المائدة)

« ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين » (١٤٥ ـ البقرة)

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم » (٤٩ ـ المائدة)

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » (٧١ ـ المؤمنون)

« فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . إن الله لا يهدى القوم الظالمين » (٥ ـ القصص)

ونحن إذا أصبحنا أو أمسينا نردد :

رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولا فعند أبى داود والترمذى والنسائى والحاكم عن أبى سلام رضى الله عنه خادم النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعاً أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(من قال إذا أصبح وإذا أمسى : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولا كان حقاً على الله أن يرضيه)

http://kotob.has.it

من مراجع هذا المدخل :

١ — القرآن الكريم
٢ — تفسير أبى السعود
٣ — تفسير ابن كثير
٤ — تفسير فى ظلال القرآن
٥ — الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية للدكتور محمود حب الله
٦ — الدين ـ للدكتور محمد عبد الله دراز
٧ — المصطلحات الأربعة فى القرآن الشيخ أبو الأعلى المودودى
٨ — المفردات فى غريب القرآن أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى
٩ — فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للإمام أبى حامد الغزالى
١٠ — المدخل إلى الأديان للمرحوم الدكتور محمد بن فتح الله بدران
١١ — فى الدين المقارن الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر
١٢ — أساس البلاغة للزمخشرى
١٣ — الدين والوحى والإسلام الشيخ مصطفى عبد الرازق
١٤ — القاموس العصرى
عربى ـ انجليزى إلياس أنطون إلياس
١٥ — الديانات والحاضرات طه المدور
١٦ — المجتمع ومشاكله جروف صمويل
١٧ — العقلية البدائية ليفى بريل

http://kotob.has.it

الباب الأول

ملة عيسى وتطويرها

الفصل الأول :

* البيئة التى ظهرت فيها ملة عيسى (عليه السلام)

الفصل الثانى :

* تطوير الملة

* الاضطهادات

الفصل الثالث :

* المصادر ، والمجامع :

تاريخها ورجالها

[... ولكننا متى ما أثبتنا وجوده التاريخى - عيسى - فإننا بذلك نضع أنفسنا مباشرة فى تيه من التاريخ كله ظلمات وشكوك ولا أدل على ذلك من أن البحث الدقيق الذى دار فى السنوات الأخيرة على أساس من الوثائق الأصيلة لم يثبت سوى استحالة تصوير حياة عيسى فى شىء من اليقين والتثبت ، ويجب علينا أن ننظر إلى الكتب التى تدعى سرد سيرته على أنها مؤلفات تستند إلى الكثير من التحكم والنزعات الذاتية ...]

شارل جنيبير

أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان

بجامعة باريس

http://kotob.has.it

الفصل الأول

البيئة التى ظهرت فيها ملة عيسى « عليه السلام »

المولد والملابسات

للأمانة العلمية نحن مرتبطون فى هـــذه الحلقة من دراستنا المقارنة للمسيحية بما كتبه المتخصصون المتعصبون من مؤرخى المسيحية .

وبالإضافة إلى الفقرات التى ذكرها الإنجيل .. فإننا سنستعين — مع الأمانة الكاملة فى النقل — بما كتبه :

١ — الأستاذ زكى شنودة المحامى المصرى

٢ — والبروفيسور شارل جنيبير

أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان فى جامعة باريس

٣ — والكاتبون المسيحيون المتعصبون مثل :

نقولا خورى ، وشحادة خورى ، وميشيل جرجس المصرى .

يقول متى فى الإصحاح الأول من الإنجيل المنسوب إليه :

« أما ولادة عيسى المسيح فكانت هكذا ، لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ، ولكن فيما هو مفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يايوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبلى به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ، وهذا كله كان لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل : هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً

http://kotob.has.it

ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره : الله معنا فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع » (الإصحاح الأول)

يقول الأستاذ زكى شنودة المحامى حول ميلاد السيد المسيح فى كتابه : تاريخ الأقباط الجزء الأول . (... « إن الله أرسل ملاكه إلى عذراء اسمها مريم مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف من مدينة الناصرة ، إحدى مدن الجليل فى فلسطين ، وبشرها بأنها وجدت نعمة الله فاختارها ليولد منها المسيح مخلص العالم بحلول الروح القدس عليها ، فقبلت البشرى فرحة ، وتم لها ما قاله الملاك فحبلت من الروح القدس .

يقول متى فى الإصحاح الثانى من الإنجيل المنسوب إليه :

« .. ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له ... فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه ، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين ولد المسيح ، فقالوا له : فى بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبى: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل .

حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ومتى وجدتموه فأخبرونى لكى آتى أنا أيضاً وأسجد له ، فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذى رأوا فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان

http://kotob.has.it

الصبي فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيما جداً . وآتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً ، ثم إذ أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس ، انصرفوا فى طريق أخرى إلى كورتهم .

وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا : قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر ، وكن هناك حتى أقـــول لك . لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه . فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا إلى مصر . وكان هناك إلى وفاة هيرودس . لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل : من مصر دعوت ابنى» .

(الفقرات من ١ — ١٤)

« فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا : قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي . فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل ، ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبيه ، خاف أن يذهب إلى هناك . وإذا أوحى إليه فى حلم انصرف إلى نواحى الجليل وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً » .

(الفقرات ١٩ — ٢٢)

الإصحاح الثالث :

«وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » ...

(الفقرات ١ — ٢)

http://kotob.has.it

وحينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليتعمد منه ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى : فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . حينئذ سمح له فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل الحمامة وآتياً عليه ، وصوت من السموات قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » .

(الفقرات ١٢ — ١٧)

وحول هذه الحياة يقول الأستاذ زكى شنودة المحامى المصرى فى كتابه: تاريخ الأقباط الجزء الأول :

فلما اقترب أيام وضعها كان الإمبراطور الرومانى أغسطس قيصر قد أصدر أمره بإحصاء السكان فى اليهودية التى كان ملكها هيرودس على أن يسجل كل واحد فى مدينته التى ولد فيها . فصعد يوسف لذلك من الناصرة إلى مدينة داوود التى تدعى بيت لحم مع مريم خطيبته ، وإذا وجدا المدينة مزدحمة بالمسافرين . اضطرا لأن يقيما بمكان الدواب فى أحد منازلها ، وهناك جاء المخاض فولدت ابنها وأضجعته فى مذود البقر وكان ذلك الابن هو يسوع المسيح[١].

وفى ليلة الميلاد هذه ظهر ملاك لجماعة من الرعاة وبشرهم بميلاد المسيح المخلص وظهر معه فريق من الملائكة يسبحون الله قائلين : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » فترك الرعاة قطعانهم وذهبوا إلى المكان الذى دلهم عليه الملائكة فرأوا الطفل وسجدوا له[٢].

---

(١) حسب رواية إنجيل لوقا ٢ / ٥ ، ٧

(٢) لوقا ٢/ ٨ .

http://kotob.has.it

ولما تمت ثمانية أيام ليختتن الطفل حسب شريعة موسى دعى اسمه يسوع — أى المخلص — كما دعاه الملاك قبل أن تحبل به أمه(١).

وفى تلك جاء مجوس من المشرق إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه فى المشرق(٢)... الخ وبعد أن تمت أيام التطهير الشرعية صعدوا بالصبى إلى أورشليم ليقدموه للرب وكان فى الهيكل عندئذ رجل بار اسمه سمعان كان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب ...(٣).

أما هيرودس فحين سأل عن المجوس وعلم أنهم خدعوه غضب جداً وأمر بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون عسى أن يقتل يسوع من بينهم وحينئذ ظهر ملاك الرب ليوسف ...

ويقول المؤرخون إن يوسف وخطيبته والصبي جاءوا إلى مصر عن طريق صحراء سينا ودخلوها .. الخ وهبطوا جهة قسقام حيث يوجد الآن دير العذراء الشهير — بالمحرق — وظلوا مقيمين هناك حتى ظهر ملاك الرب ليوسف وقال له : خذ الصبى وأمه وعد إلى اليهودية ...

وقد اختلف المؤرخون حول المدة التى قضتها الأسرة المقدسة منذ خروجها من أرض إسرائيل حتى رجوعها من مصر إليها ، فقدرها بعضهم بستة أشهر وبعضهم بسنة . وبعضهم بسنتين... وآخرون بأربع سنوات .

ويرجح البعض أنها لا تقل عن سنة ولا تزيد عن سنتين . وذلك لأنه قد تحقق أن هيرودس الذى كان يطلب قتل الصبى توفى فى السنة التى ولد فيها المسيح ... !

---

(١) ٢١/٢

(٢) حسب رواية متى ٧/٢

(٣) « « لوقا ٢٥/٢

http://kotob.has.it

يسوع فى صباه :

ويستمر الأستاذ زكى شنودة فى سرد حياة المسيح فيقول :

« فلما عاد يوسف والصبى وأمه إلى أرض إسرائيل وجدوا أن (أرخيلاس) يملك اليهودية مكان هيرودس أبيه فخافوا أن يذهبوا إلى هناك وانصرفوا إلى نواحى الجليل وسكنوا فى مدينة يقال لها « ناصرة » وهناك قضى يسوع أيام صباه ... » .

فلما كان فى الثامنة من عمره صعدا — أبواه — إلى أورشليم كعادتهما حتى إذا انقضت أيام العيد رجعا ، ولكنهما حين وصلا لم يجداه فراحا يبحثان عنه ... وأخيراً عادا إلى أورشليم فوجداه فى الهيكل جالساً وسط المعلمين يسمعهم ويجادلهم .

ثم يحكى لنا الأستاذ زكى شنودة معجزات المسيح عليه السلام بعد طفرة تعدى بها بقية أحداث سنى يسوع وهو شاب فقد أغفلها ولم يتحدث عنها بشىء مطلقاً .

وبعد قصص المعجزات يتحدث عن صلب المسيح فيقول :

« فلما كثرت آيات يسوع والتفت الجموع حوله تستمع إلى تعاليمه وتمجد معجزاته ، وقد قضى أكثر من ثلاث سنوات يعلم ويصنع العجائب ... اجتمع رؤساء الكهنة ، والفريسيون وراحوا يتآمرون ويتشاورون قائلين : ماذا نصنع ؟ فقال (قيافا) رئيس الكهنة : إنه خير لنا أن يموت واحد ولا تهلك أمه كلها ، ومن ذلك اليوم قرروا أن يقتلوه وترقبوا فرصة لذلك حتى تقدم إليهم يهوذا الأسخريوطى أحد التلاميذ وساومهم على تسليمه فجعلوا له ثلاثين من الفضة نظير ذلك ،

http://kotob.has.it

أما يسوع فإنه كان عالماً أن ساعته قد جاءت قال لتلاميذه « ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ... الخ .

وبمثل هذا الأسلوب والمنطق كتب الأستاذ ميشيل جرجس فى كتابه : (الكنيسة المصرية) غير أنه وصف المجوس الذين قالوا إنهم رأوا نجما يفهمون من ظهوره مولد ملك اليهود بأنهم من عظماء الشرق ، وأنهم من ملوك العرب دون أن يفسر لنا كيف تربى يسوع فى صباه ... الخ .

رأى شارل جنيبير الفرنسى :

ولهذا فإن التحليل العلمى التاريخى الذى قدمه شارل جنيبير له أهمية فى إلقاء ضوء طبيعى على حياة يسوع الذى يتكلم عنه المسيحيون .

وأهمية كلام شارل جنيبير ترجع إلى سببين :

السبب الأول : أنه متخصص فى دراسة المسيحية بجامعة باريس ، وأنه وصل إلى مكانة علمية جامعية مرموقة فكان رئيس قسم تاريخ الأديان ثم هو مسيحى المولد والثقافة وقد مات على ذلك وهو فرنسى أصيل وكاثوليكى متعصب وليس فيه نزعة عرق يهودى أو عربى حتى يتهم بالتعصب ضد المسيحية .

السبب الثانى: أنه قدم أدلة تاريخية منطقية ولم يقدم لنا عواطف متحيزة، وأنه رغم ما وصل إليه من آراء جريئة عن المسيح وعن الحواريين وعن بولس والكنيسة فإنه ما زال كذلك مسيحياً .

يقول فى كتابه : المسيحية : نشأتها وتطورها .

« لسنا اليوم على معرفة تامة بتلك البيئة التي نشأ فيها عيسى ، ولكننا

http://kotob.has.it

خطونا بعض الخطوات فى سبيل معرفتها ، ونلمح لها وجهين مختلفين بل هى تبدو مزدوجة فى تركيبها .

فالمسيح قد ولد يهودياً ثم نشأ فى بيئة يهودية استعار منها وحدها — حسب مانعلم — عناصر ثقافته الفكرية والدينية بيد أن أمة إسرائيل لم تكن قد وصلت من الانعزال عن العالم الخارجى إلى ماتستطيع به أن تتجنب تماماً تأثيرات الشعوب السريانية والكلدانية التى عاشت بجوارها ، كما أنها تأثرت ولاشك بصلاتها المستمرة بالفاتحين الإغريق سواء منهم من جاء من ملك البطالسة بمصر أو من إمارات السلوقيين بالشام ، يضاف إلى هذا تأثير وفود الحجيج المتفاوتة العدد إلى القدس من أبناء الجالية اليونانية التى هاجرت إلى بلاد اليونان واستقرت بها .

كل ذلك أدى إلى تشرب بنى إسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ المسيحى .

ومن ناحية أخرى نجد — حول العالم اليهودى الفلسطينى — بيئة ثانية مشركة وهذه البيئة وإن لم تؤثر مباشرة على عيسى إلا أنها جذبت إليها أتباعه عقب مولده ، تلك هى البيئة السورية والفينيقية التى كانت تحد فلسطين فى الشمال والغرب والجنوب الغربى والتى لا ترتسم معالمها اليوم بوضوح فى أذهاننا وإن كانت آنذاك مصباً لروافد كثير من التيارات الفكرية والعقائدية وللخرافات والأساطير أو آثار ديانات القرون الماضية إلى جانب الديانات المعاصرة ، وتلك هى أيضاً بيئة مابين النهرين فى الشرق تتفاعل فيها التيارات الدينية النابعة من الهند وفارس والمنتهية إلى إرض بابل ..... ثم كانت هناك البيئة المصرية من ناحية الجنوب حيث تطورت العبادات المحلية ونمت ونحت نحو آفاق أوسع وأشمل بتأثير الفكر اليونانى الخصب ، وأخيراً نجد البيئة

http://kotob.has.it

الأغريقية من ناحية الشمال فى الإقليم الذى نسميه اليوم آسيا الصغرى نجدها أكثرها تعقيداً واختلاطاً فى الفكر ...

كانت هناك مادة دينية ضخمة قابلة لأن تتشكل وتتطور فى سهولة حسب رغبات من يريد استغلالها فكانت بالتالى مصدراً يكاد لا يفنى لمستقبل المسيحية ، ولكننا نكرر هنا أن المسيح نفسه — حسب ما تؤكد سائر الدلائل — نشأ وتكون فى بيئة يهودية بحتة.. ولقد انتشرت المسيحية أول ما انتشرت خارج فلسطين على أيدى اليهود أنفسهم فلنلق نظرة على العالم اليهودى ...

ومن الجدير بالذكر أن الأسرة اليهودية فى عصر هيرودس الأكبر المتوفى عام ٤ قبل الميلاد كانت غاية فى التعقيد ظاهرها وحدة الجنس والعادات والدين وباطنها فرقة أصيلة فى صفوف أهل فلسطين الذين انقسموا شعبين يختلفان كثيراً فى الاتجاهات ...

والعلة الأولى لهذا الانقسام ترجع إلى العهد الذى رأى فيه ملك بابل أن يهجّر نحو ضفاف الفرات طوائف من اليهود الذين انهزموا أمام جنده.

ولكنه لم يهتم إلا بالعائلات المعروفة التى كان لها قدر من السطوة ، أما أهل الريف وعامة الشعب فقد ظلوا فى ديارهم يمارسون دين إسرائيل القديم ولكن مع شىء من التحرر الذى لا يرفض التعامل والاتفاق مع المجاورين فتطوروا سريعاً ... ثم سمح لهم بالعودة إلى أوطانهم فلم يغتنم الجميع هذه الفرصة وظل الذين عادوا على اتصال بمن استقروا فى مملكة بابل...

وإذن ففى الفترة التى تمتد من عودة يهود المهجر حتى مولد عيسى نرى :

أولا : طبقة كبيرة من رجال الدين تنشأ حول المعبد الأعظم .

http://kotob.has.it

ثانياً : نمو طبقة أخرى هى طبقة الكتبة أى فقهاء الشرع يتنافس أعضاؤها على تحليل أوجه الكناس المقدس (التوراة) .

ولا نشك فى أن بعض هؤلاء الفقهاء تأثروا - دون أن يشعروا — بالنظريات اليونانية فى الإله والكون والإنسان فراحوا يتسامون ويبالغون فى التصوير القديم .

وكان الشعب يطيع رجال الدين لأنهم مرشدوه القوميين .

وفى إقليم الجليل — وهو الجزء الشمالى من فلسطين حيث ولد عيسى — كانت غالبية الشعب من السذج البسطاء لم تشارك اليهود ولم تختلط كثيراً بالطبقات العليا من الكهان ، أما الكتبة فلم يخل منهم الإقليم تماما إلا أنهم لم يبلغوا فيه الانتشار ما بلغوه فى القدس . وكان المثل الشائع يقول : إن أهل الجليل يتميزون بالعناد وصلابة الرأى .

إذن فقد ولد عيسى ونشأ فى بلد يهتم معظم الناس فيه بالمسائل الدينية أولا .

وخرج من بيئة شعبية يعين أفرادها على الأمل الساذج مترقبين فى قلق تلك المعجزة الباهرة التى سوف يثاب بها اليهود على تقواهم ، والتى سوف تجعلهم ملوكا فى الأرض ، ولكن هذا الشعب لا يجد لدى حكامه من القساوسة مشاركة فى أمله بل يجدهم على حذر من المشاكل التى قد تترتب عليه فيما يتعلق بصلاتهم بالمستعمر الأجنبى . . وقد أكد هؤلاء العلماء أن : لا تقوى لدى الجهلاء ، فإذا وجد فى هذه البيئة إنسان يتصف بالتقوى العميقة الخالصة مع بساطة التفكير ولم يؤثر على حيوية روحه نظريات الكتبة - بل نشأ متشبعاً بالقضايا التى تشغل أهله والتى تطبع حياته الفكرية والدينية بطابعها الخاص ، إذا وجد هذا الإنسان ، ثم إذا أعطى القدرة الخارقة على أن يركز فى نفسه كل شتات الأفكار السارية فى الهواء الذى يتنسمه على أن يعيد تشكيلها من جديد فى تأملاته - كدأب الملهمين - فلا غرابة فى أن نراه يقوم بترجمة

http://kotob.has.it

عقيدته من عالم الفكر إلى دنيا العمل ... ويبدو أن هذا الوضع كان مبدأ لقيام عيسى بالدعوة ، وإننا لنفتقر إلى الوثائق التى تسمح بالنفاذ فى تفصيل تكوينه الفكرى ، وفى حقيقة الأسباب التى دفعته إلى هذا الاتجاه ، ولكننا لانؤمن فى كلا المجالين بجدوى البحث عن علل وشروح بالغة التعقيد .

عيسى واليهود :

ثم يحكى الكاتب المؤرخ علاقة عيسى باليهود فيقول :

« ... والواقع أن عيسى نفسه قد يئس فيما يبدو من محاولة إقناعهم وأسباب فشله واضحة للعيان .

كان عيسى يتحدث كثيراً عن العدل وعن السلام ... ولم يصرح قط بوجوب الثورة أو بقرب انتصار شعب الله المختار على سائر الأمم ..

• أما علماء الدين فقد رأوا فيه رجلا جاهلا يتطاول عليهم .

• وأما قساوسة القدس والطبقة الممتازة من اليهود فقد كانوا يعتبرونه أكثر الفوضويين خطورة وأضرهم بمصالحهم .

• وأما الشعب فكان شعوره بالتردد تجاه دعوة (النبى) أقوى من ميله إلى مقاومتها .

• وراح أعداؤه ينشرون أن كل تلك الأعمال الخارقة مرجعها الشيطان ولكن البسطاء لم يصدقوا ادعاءهم وظلوا على حيرتهم ، إذ أن عيسى ظل محل عطفهم .

والأسباب التى دعت به إلى الرحيل إلى القدس غير واضحة فقد حرر مؤلفو أناجيلنا نصوصهم فى عصور أصبح فيها (سر) حياة عيسى تتلخص فى فترة واحدة هى فترة موته .

http://kotob.has.it

• أما المؤرخ فإنه لايجد مناصاً من الوقوف أمام الغموض والإبهام اللذين يلحظهما فى التسلسل الواقعى لنفسية عيسى ولأغراضه الحقيقية » اه

هكذا يقدم لنا الأستاذ زكى شنوده المصرى والبروفيسور شارل جنيبير حياة يسوع الأولى.

لقد ولد فى جو من الاضطهاد كما جاء فى الإصحاح الثانى من الإنجيل المنسوب إلى متى .

وقد طوف ببلاد فى مصر والصعيد وعاد إلى الجليل هرباً من الحكومة الرومانية .

ولئن كان الأستاذ زكى شنودة حاول أن يمزج بين إصحاحات الأناجيل فى سرد قصة المولد والهروب والعودة مما يصور بلا شك أن يسوع لم يولد فى مناخ من الحرية التى تكفل للمبادىء الترعرع والانتشار فإن المسيو شارل جنيبير يتحدث عن البيئة الفكرية التى تحيط ترعرع يسوع فهى خليط من ثقافات متعددة من الشمال والجنوب والشرق والغرب مما يجعل البيئة صاخبة بالعديد من الاتجاهات الفكرية والدينية المتعارضة ثم صور المسيو شارل موقف اليهود منه وأن الصورة الوحيدة التى تحمل لدعوة المسيح نوعاً من التقدير هى صورة عطف السذج من عامة الشعب وسط صخب الاشاعات من الأعداء ونظرات الحقد من الأثرياء والاحتقار من العلماء ...

فهل فى مثل هذه البيئة التى تحاط بالاضطهاد والممتلئة بالأعاصير الفكرية غير القابلة للتوفيق يمكن أن تولد دعوة سليمة ؟

ولقد نسى كاتبو قصة مولد يسوع أن يضعوها فى القالب النفسى الصحيح .

• فلم جاء الملاك إلى يوسف ولم يأت إلى مريم كما جاء من قبل إلى أم موسى ؟

http://kotob.has.it

أليس من الجيد أن يأتى الملاك إلى مريم الأم «أم الله» أو «زوجة الله» - فيما بعد - لينصحها ... كما جاء الوحى إلى أم موسى ...

• ولم هرّب الله يسوع من جور هيرودس إلى مصر ولم يحمه فى كنفه بفلسطين كما تربى موسى فى حجر فرعون . . ؟؟

• ولماذا خاف يوسف النجار عند عودته بيسوع ؟ أليس فى خوفه نقض لأمر الملاك .

• وفى ذكر الصبي وملك اليهود فى أول النصوص دلائل على أن التسمية بابن الله لم ترد إلا مؤخراً . . فهل أطلق اسم ابن الله على عيسى بعد أن شب وصار غلاماً ؟

• وفى نص إنجيل متى : اتهم يوسف مريم بأنها حملت بطريق يجبر على اخلائها من جرائه ، فكيف كان له هذا التفكير ألم يعلم من حال مريم أنها أثقلت « بكلمة الله ... » وهل كان بمجرد حلم رآه يكفيه من الخروج من أزمة التفكير فى مستقبل خطيبته ؟ وإجهاضها .

وهل كان يوسف من الملهمين حتى ينزل عليه الملاك مع وجود نبى يسمى (يوحنا المعمدان) . ؟؟

ولقد جاء فى الإنجيل المنسوب إلى لوقا وردده الأستاذ زكى شنودة أن مريم ولدت عيسى فى مزود بقر .

فهل ضاقت الدنيا على يوسف فلم يجد غير محل الدواب يبيت فيه هو وخطيبته ؟

وهل سمح الله بجلاله وقدرته أن يولد مخلص العالم فى مكان نجس حقير مثل هذا ؟؟

أما شارل جنيبير فإنه يرى أن أول الصعاب التى تعترض الإجابة على مثل هذه الاستفسارات هى فى النصوص نفسها التى تمتاز عن سائر النصوص

http://kotob.has.it

الأخرى بضعف السند والاضطراب وعسر التحقيق وأقدم هذه النصوص وأهمها هي تلك التي احتواها العهد الجديد لأنها تتناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة ... والتي استلزمت قبل امكان الاعتماد عليها تحقيقاً نقدياً دقيقاً مطولا لم يوشك بعد على الانتهاء ولم يكن في المقدور لفترة طويلة من الزمن أن نستخرج العناصر والأسانيد إلا منها بحيث اضطر المفسرون من أجل تفهمها إلى ترتيب المعاني وتهيئة الحواشي والتعليقات ولجأوا حينما أرادوا التسامي بالفكر إلى النظريات والفروض ويالها من ضرورة مؤسفة مازال هؤلاء المفسرون يخضعون لامتحانها في الكثير من الظروف .

وقد يحدث أحياناً أن تكشف وثائق قاطعة في المعاني المختلف عليها عند الغرب من الوصول إلى ثمار التحقيق النقدى فيعود الباحث من حيث بدأ ...

أما نحن المسلمون فعندنا الأمر جلي ومستقيم والنصوص فيه كاملة ومعصومة .... فانتظر ..

http://kotob.has.it

الفصل الثانى

تطوير ملة عيسى

أو

نحلة المسيحية

(وأعنى بالمسيحية هنا ماجاء به المسيح
من نصوص كلامه لا ما ألحق بكلامه
وسيرته من التأويل)

« نظمى لوقا »

(كان أصحاب عيسى وأتباعه الذين اطمأنوا
إلى قوة إيمان القديس بطرس فتجمعوا - بعد
فترة الرعب الأول - ليحاولوا إعادة بناء الحلم
الضائع واسترجاع الآمال التى غرسها أستاذهم
فى القلوب)

« شارل جينيير »

http://kotob.has.it

أولا ـ عمل الحواريين

من حلول مملكة الله : إلى عودة يسوع

يقول مسيو شارل جنيبير :

« لعلنا لانغرق فى الظن إن قلنا : إن حب الحواريين لأستاذهم وثقتهم فيه كانا كفيلين بإحداث التهيؤات التى أدت إلى غرس الإيمان الأكيد ببعثه فى نفوسهم وقد جاء الاعتقاد بأنه أصبح (مسيحاً بإرادة الله) على حد التعبير المنسوب إلى القديس بطرس فى أعمال الرسل ٣٦/٢

... وهل ظن عيسى أنه هو نفسه المسيح المنتظر ؟ لقد شك الناس فى ذلك ومازالوا يشكون مستندين إلى أدلة قوية فهو يصف نفسه فقط بأنه المسيح ، وهو كلمة تعادل كلمة كريستوس اليونانية ، والبحث الدقيق فى أصل النصوص لإنجيلية التى ظهرت فيها هذه الكلمة يؤكد أنها لاتنتمى بصلة إلى المنبعين الأساسيين للأناجيل وهما : مجموعة الحكم المسماة بـ « اللوجيا » ثم الإنجيل الأول وهو إنجيل مرقص ، وأكثر النصوص صراحة فى نسبة صفة المسيح إلى عيسى هى أقلها جموداً أمام النقد والنتيجة الأكيدة لدراسة الباحثين هى : أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر .. »

إذن عمل الحواريين هو تهيؤ أحداث ألصقوها بأستاذهم دون وجود دليل معهم أو دليل عندهم عليها ، ومن تلك الهيؤات ماتخيلوه من رؤيتهم عيسى فى الجليل بعد الصلب ، يقول عنها المسيو شارل :

إذا نحن استثنينا بعض الحكم الأخلاقية ... ماذا كان ليبقى لنا من عيسى ؟ ... إن المنطق يجيب على هذا التساؤل إجابة صريحة .. لاشىء ... »

إلا أن تتابع الأحداث بعد ذلك بدا وكأنه لايساير المنطق .

http://kotob.has.it

فقد اقتصر الإيمان الوثيق لدى أصحاب المسيح على الموت نفسه ، وهنا نصل إلى أكثر مشاكل التاريخ المسيحى غموضاً وإبهاماً . فقد تلاقى هؤلاء الحواريون بالجليل ... وظنوا أنهم رأوه هناك ثم أيقنوا أنه بعث من بين الأموات .

تلك هى الوقائع ... أما تفاصيلها فليس لدينا بهـا علم ، ولم يكن للأساطير بد من أن تحاول تفسير الوقائع ، فصنعت منها نسيجاً بالغ التعقيد والغموض اختلط فيها العجب العجاب من الأحداث الخيالية المستحيلة ، وتعذر بعد ذلك استخلاص الحقيقة منه لتضارب النصوص وتباينها ، وإن روايات الإنجيل التى وصلت إلينا والتى تتعلق ببعث عيسى لتبدو للمؤرخ الناقد نوعاً من الإنشاءات التى لا تنسجم عناصرها . .

كانت دعوة عيسى لديهم مرتبطة بشخص عيسى نفسه فإن هم أقروا باختفائه إلى الأبد كان ذلك إقراراً بالتخلى عن كل أمل لهم فى تحقق كلمته وتبلور إيمانهم وركز على فكرة واحدة ثابتة هى قولهم لأنفسهم : « لا يمكن أن يكون عيسى قد تنكر لنا ، ولا يمكن أن يكون موته نهائياً . . » وكانت النتيجة المحتومة لمثل هـذا التبلور والتركيز — لدى أمثال هؤلاء السذج المتحمسين فى أملهم وترقبهم — أن يروا الرؤى ويصدقوا بها . . . . وهكذا قدر لبطرس أن يرى عيسى ثم رآه من بعده حواريون آخرون فى نفس الصورة التى وصفها لهم .

وسواء رجع الأمر إلى التهيؤات والأحلام أو إلى تفسير محموم لظواهر حسية معينة فالنتيجة واحدة وهى : أن الصيادين من أهل الجليل لم يكونوا ليستطيعوا تحليل ماحدث لهم ، بل استسلموا كل الاستسلام إلى ماظنوه من وحى الله . . » اهـ .

http://kotob.has.it

ذلك عمل الحواريين فيما يتعلق بوصف عيسى بالمسيح ، وما يتعلق برؤيته فى الجليل ومن هـذا المنطق يحدثنا فيما بعد الأستاذ شارل جنيبير عن نشاط الحواريين وتطويرهم للملة التى جاء بهـا عيسى عليه السلام . . . يقول :

« كان أصحاب عيسى وأتباعه الذين اطمأنوا إلى قوة إيمان بطرس فتجمعوا — بعد فترة الرعب الأول — ليحاولوا إعادة بناء الحلم الضائع واسترجاع الآمال التى غرسها أستاذهم فى القلوب ، كانوا يهوداً بسطاء ليس لهم شأن فى قومهم ولا يمتازون بثقافة كبيرة ، واقتصر طموحهم على الرغبة فى رفع الخراف الضالة من بيت اسرائيل نحو طريق النجاة ، وجميع الدلائل تحملنا على الاعتقاد بأنهم كانوا شديدى التعصب لبنى جلدتهم من اليهود ، وفاقوا فى ذلك عيسى نفسه ، وكانت فـكرة تبشير الوثنيين بعيدة كل البعد عن عقولهم بل الواقع أنه كان من ضروب المستحيل أن يتصوروا إمكان انتشار الإنجيـل بين رجال لم يؤمنـوا بالعقيدة اليهودية

ولعل أقصى ما كانوا ليصلوا إليه فى هـذا الاتجاه هو الترحيب ببعض المتتلمذين على اليهود على غرار مافعله بطرس

« ولا يمكننا أن نتصور أنهم اتجهوا من أنفسهم إلى تبشير المشركين بعقيدتهم فلم يكن ذلك بالنسبة إليهم عملا ذا معنى » اهـ

وإذا كان أصحاب عيسى يتعصبون لبنى جلدتهم من اليهود ، ويرون أن التبشير لايثمر فى غير البيئة اليهودية فإنهم قد توجهوا إلى الجاليات اليهودية فى المهجر البعيد .

وهنا يقول المسيو شارل :

http://kotob.has.it

« مرت دعوة أصحاب عيسى فى عبورها من ربوع فلسطين إلى أراضى المهجر بأدوار غاية فى التسلسل وكأنها أدوار حتمية لامرد لها ، فمجموعة أعمال الرسل تقص علينا أن الحواريين استمالوا إلى عقيدتهم يهود اليونان الذين وفدوا إلى القدس فى الاحتفالات الخاصة ببعض الأعياد وعادت فئة من الحجاج ... بينما بقيت فئة أخرى بالمدينة المقدسة غير أنها لم تلبث أن طردت منها إثر نقل الشماس « إيتين » على أيدى قضاة اليهود ، وكان إيتين هذا قد تخصص فى شرح وإذاعة الإنجيل بين رحاب القدس » . اه

ثم « رحل الأنصار الجدد المطرودون إلى فينيقيا ، وقبرص وأنطاكية ... حيث راحوا بدورهم يبشرون بعيسى فى المعابد (انظر أعمال الرسل ١١/١٩ وما يليها) .

ولم يكن أصحاب عيسى هم السبب فى هذا النشاط ، بل لم يكن يدور بخلدهم تدبيره فلما علموا بنتائجه بعثوا إلى انطاكيه برسول مؤتمن يدعى برنابا ليدرس هذا الموقف الذى يبدو أنه أثار لديهم الشكوك والقلق .

غير أن حماس الأتباع الجدد لم يلبث أن انتقل إلى « برنابا » نفسه الذى رأى فى ظاهرة انتشار الدعوة نفحة إلهية فكرس كل جهوده فى إخلاص عميق لمواصلة هذه المبادأة المثمرة فى مجال العمل التبشيرى ورحل إلى : طرسوس حيث كان يقيم بولس » اه

إذن لم يقدم أصحاب عيسى لملة أستاذهم شيئاً غير التهيؤات أما التبشير بها فى خارج فلسطين واليهودية وسط المجتمعات اليهودية فى المهجر فقد قام به :

١ — الأنصار الجدد المطرودون من القدس بعد مقتل الشماس «إيتين» .

٢ — والأتباع الجدد الذين دفعهم الحماس لتكريس جهودهم بإخلاص لمواصلة هذا العمل المثمر مثل « برنابا » .

http://kotob.has.it

أما الحواريون أنفسهم فيقول عنهم شارل جينيير : « إننا نعلم تماماً أن الحواريين الإثنى عشر والأتباع المباشرين لعيسى لم يكونوا ليستطيعوا القيام بنشاط يذكر فى القدس . بل كان موقفهم هو موقف أستاذهم فيما مضى وكانت تهددهم عين الأخطار التى هددته .

وكانوا ، بدلا من تبشير الأستاذ بوشوك « حلول مملكة الله » يبشرون بـ « دعوة السيد المسيح » إلا أن هذه وتلك صنفان من الادعاءات التى لا بد وأن تضعف أركانها إذا طال انتظار تحقيقها .

لذلك ، كان من العسير أن نبين على وجه التحديد ما قام به أصحاب عيسى الأول من أعمال .

وخلاصة القول : أنه لم يتبق لدينا أى معلومات يمكن الاعتماد عليها عن حياة أصحاب عيسى المباشرين سوى الفصول الأولى من مجموعة أعمال الرسل ، وحتى هذه الفصول لم تصل إلا فى نسخة تختلف كثيرا — وبصورة تدعو إلى الشك — عن النص الأول .

وإن هذا الصمت ليدعو إلى الاعتقاد بأنهم لم يقوموا بأعمال خارقة ، والمرجح أنهم لم يكونوا ليستطيعوا ذلك .

ولعلنا نستطيع القول بأن بطرس ويعقوب الأكبر ويعقوب الأصغر وأيضا حنا فى غالب الأمر ماتوا قتلى » ... اهـ

وإذا كان المسيو شارل يصل إلى نهاية المطاف فى تحليله لأعمال الحواريين وأنهم حولوا دعوة المسيح من :

التبشير بحلول مملكة الله إلى التبشير بعودة المسيح وأنهم لم يكونوا أصحاب فضل فى نشر هذه الدعوة وأن النصوص لا تنهض قوية سليمة فى مواجهة نقدها فيما يتعلق بالمعلومات عن أصحاب عيسى المباشرين ، وأن بطرس

http://kotob.has.it

وإخوانه قد ماتوا قتلى ، فإن الكاتب المصرى الأستاذ زكى شنودة يلتقى مع المسيو شارل فى هذه النتيجة وإن اختلف أسلوب العرض للموضوع يقول الأستاذ شنودة :

... وقد اشتد هيرودس الملك على المسيحيين فقتل يعقوب أخا يوحنا ، وسجن بطرس وعذب سائر الرسل وأهانهم ولكن هؤلاء احتملوا كل صنوف العذاب والإهانة والموت فى سبيل نشر دعوة الخلاص وتبشير كل الأمم بقيامة السيد المسيح ...

ويقول عن متى :

.. ثم انطلق إلى الحبشة وصنع عجائب كثيرة فآمن على يديه كثيرون ، ومن ثم أطلق الملك عليه جنوده فأمسكوه وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات شهيداً

ويقول عن مرقس :

... ثم عاد إلى الأسكندرية فأسس فيها أول مدرسة لاهوتية وبنى كنيسة فى « بوكاليا » وراح يدعو الإيمان بالمسيح فقام عليه الوثنيون وراحوا ينكلون به ويعذبونه حتى مات شهيداً

ويقول عن لوقا :

وكتب انجيله باليونانية كما كتب أعمال الرسل ومات شهيداً فى مدينة بتراس .

إذن ما قاله المسيو شارل :

... وكانت تتهددهم عين الأخطار التى هددته وكانوا بدلا من تبشير الأستاذ بوشوك « حلول مملكة الله » يبشرون بـ « عودة السيد المسيح »

http://kotob.has.it

إلا أن هذه وتلك صنفان من الادعاءات التى لابد وأن تضعف ...

هذا القول يصور هذه الحقيقة التى ذكرها الأستاذ زكى شنودة فى كتابه تاريخ الأقباط ، وتحدث فيها عن مصير بعض كبار أتباع عيسى ونهاية جهادهم بالموت والقتل مما يصور عدم تقبل الأمم لدعوتهم .

وحول هذا المعنى يقول المسيو شارل :

« والحق يقال إن الإثنى عشر لم يلاقوا فى القدس من النجاح سوى القدر اليسير الذى كان يمكن لأى رجل منصف أن يتوقعه ، لقد كسبوا تأييد بضع عشرات من الناس مثلما هو الحال بالنسبة إلى كل فرقة دينية جديدة .

ولنشر هنا إلى أن تلك دلالة على عدم اهتمام أستاذهم بالانفصال عن عقيدة إسرائيل وعلى عدم رغبته فى ذلك . ولكنهم أثاروا عداوة الكتبة والكهنة واحتقارهم ولاقوا منهم ألواناً من الاضطهاد ...

وقد انضم إليهم بعض الأتباع من المدن المجاورة للقدس بيد أنهم وصلوا سريعاً إلى قمة ما كان مقدراً لهم من نجاح بين اليهود الأصلاء ، ولم يكن ذلك بالشىء الكثير ... بل بدا للعيان ضعف أمرهم وأصبح مما لا جدال فيه أن هذه الفرقة سوف تفنى بفناء الجيل الذى نشأت فيه ، وأن ذكرى أتباع عيسى الناصرى سوف يطويها نسيان الزمن كما طوى ذكرى أتباع يوحنا المعمدان وغيره من الأنبياء » اهـ .

وإذن ، فقد عمل الحواريون على تطوير ملة عيسى من : قرب حلول مملكة الله :

إلى :

أن عيسى هو المسيح الموعود وإلى قرب عودته إلى هذه الدنيا .

http://kotob.has.it

وقد اكتنف هذه الدعوة اضطهاد عديد الألوان .

وهذا التطوير الذى جعلناه استنباطاً للعرض السالف يتحدث عنه فى سفور واضح المسيو شارل فيقول :

... كانت فكرة قرب حلول مملكة الله الفكرة الأساسية فى دعوة عيسى .

أما دعوة الحواريين فقد تحولت إلى فكرة مركزة هى : أن عيسى هو المسيح الموعود وإلى قرب عودته لهذه الدنيا .

وهذان الموضوعان اللذان توضح لنا مجموعة « أعمال الرسل » أن الإثنى عشر من الأصحاب سوف يعودون بها إلى القدس لشرحها وتنمية أسرارها .

ولا مناص لنا من الاعتراف بأن هؤلاء الأصحاب كانوا يمتازون بخيال دافق يزيد عن الحد . إذ أن المنطق وواقع الأحوال كانا ينبئان فى صراحة بأنهم لن يلاقوا من النجاح مما لاقاه أستاذهم ، وبأنهم لابد سائرون إلى مثل ما سار إليه من مصير محتوم .

لم يؤمن اليهود بعيسى أثناء حياته ، فكيف يتعلقون به الآن وقد تجمعت الدلائل على أنه غرر حتى بنفسه فلم يستطع لها نجاة يوم التعذيب بل مات بائساً والناس تنظر إليه . . ؟

أيقولون إنه بعث ؟

ولكن من هم الشهود على ذلك ؟

إنهم هم الأتباع فحسب فما أضعفه من برهان ... » اﻫ

* * *

وبذلك تتم المرحلة الأولى من مراحل التطوير والتى كان فارسها المهند أتباع يسوع الأولون ...

http://kotob.has.it

وتظهر حقيقة الأمور فى جو خاص ببيئة اليهود سواء كانوا فى اليهودية أو منتشرين فى جاليات فى بقاع من العالم .

وأن الحواريين نقلوا ملة يسوع من مبدئها الذى كان يبشر به إلى نحلة خاصة بهم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى التبشير بها .

وأن المجتمع العالمى – مع إدراكه أن دعوتهم خاصة باليهود – فقد اضطهدهم وقتل كبار أتباع يسوع ...

http://kotob.has.it

ثانياً - بولس : نشأة وأعمالا

١ - النشأة

من عودة المسيح : إلى فكرة الخلاص

فى عبارات وجيزة تحدث الأستاذ زكى شنوده عن بولس الرسول : قال : ولد فى طرسوس من أبوين يهوديين وكان مكتسباً الرعوية الرومانية حتى إذا اكتمل تعليمه بطرسوس أرسل لأورشليم حيث تضلع فى الناموس على يد «غمالائيل» أشهر علماء اليهود فى عصره وكان فى بداية الأمر معادياً للمسيحيين، وهو الذى كان يسمى «شاول» حتى ظهر له يسوع فى طريقه إلى القبض عليهم وصنع معجزة معه فآمن وأصبح من أشد المبشرين غيرة وإخلاصاً ، وقد خصص لتبشير الأمم ، ومع أنه لم يكن من الإثنى عشر أو من السبعين رسولا فقد قام بأعظم عمل تبشيرى فى تاريخ المسيحية وقد طاف آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا وروما وأسس عدة كنائس فى آسيا وأوربا ، وقد تحمل فى سبيل ذلك اضطهادات كثيرة حتى استشهد أخيراً فى روما على عهد نيرون سنة ٦٨ ميلادية وقد كتب أربع عشرة رسالة باللغة اليونانية» اهـ.

فهو إذن يهودى دماً رومى الجنسية

وهو ضليع فى الناموس اليهودى

وهو العدو للمسيحية

ثم هو بعد ذلك مؤسس الكنائس

وهو كاتب أربع عشرة رسالة باللغة اليونانية

وتحتفظ فقرات عديدة من إصحاحات «أعمال الرسل» بسيرة شاول الإجرامية نحو الكنيسة .

http://kotob.has.it

قال فى الإصحاح الثامن :

« وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ماعدا الرسل ، وحمل رجال أتقياء استيفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة،وأماشاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن »

(الفقرات ١/٣ الإصحاح ٨)

وفى الإصحاح التاسع :

« أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب »

ويقول فى الفقرة ٢٦ من نفس الإصحاح :

« ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ،فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل » .

ويتحدث المسيو شارل جينيير عن شارول قائلا فى استفاضات طويلة :

« لقد ولد من عائلة يهودية أقامت بمدينة طرسوس وكانت مدينة طرسوس نشطة غاية فى النشاط ...كانت حلقة الاتصال بين هضبة آسيا الصغرى والشام ومفرق الطرق التجارية الهامة التى تجلب إليهـــا فى آن واحد من اليونان وإيطاليا ... وقبرص وفنيقيا ومصر ... سيلا لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة...وكان لها جامعة .

ويقول المؤرخ الجغرافى « سترابون » أن الجامعة كانت سبباً فى شهرة المدينة فى العالم اليونانى والرومانى وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية .

وكان أساتذة هـذه الدراسات ينتمون إلى المذهب الرواقى ... وهكذا نستطيع أن نجد تفسيراً للأمر الذى يهمنا بالدرجة الأولى : وهو معرفة

http://kotob.has.it

بولس المبادىء الأول فى الفلسفة الرواقية وللوسائل الشائعة فى الأساليب الخطابية لدى مفكرى اليونان ... فقد كفانا أنه عاش حتى شبابه فى هذا الوسط الذى تشبع بالتراث اليونانى حتى أيدى أساتذة الفلسفة ... هؤلاء الذين جمعوا بين التفكير الفلسفى والأسلوب الخطابى .

• والدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهلة غريباً حقاً : مزيج من دعوى الإثنا عشر الأساسية. ومن الأفكار اليهودية ، ثم من المفاهيم المنتشرة فى الأوساط الوثنية اليونانية ، ومن الذكريات الإنجيلية ، والأساطير الدينية الشرقية .

وعلينا أن ندرس هذه المسألة فى شيء من التفصيل فهى تتعلق بالأسس الأول لأخطر جدل يثيره تاريخ العقائد المسيحية : الجدال حول تطور هذه العقائد من دعوة عيسى كما حددناها فى الفصول السابقة .

والنظرة الأولى إلى الحياة الدينية فى الشرق الآسيوى ... تبين أن عدداً معيناً من الآلهة كان يحتل مكان الصدارة فيها خلال العهد الأول لقيام المسيحية ...

وكانت بين هـذه الآلهة أوجه شبه لا تحصى . إلى درجة أنها امتزجت وتوحدت فى بعض الأحيان وكان أهمها :

أتيس فى بلاد الفريجيين

وأدونيس فى الشام

وملكارت فى فنيقيا

ثم تموز ومردوك فى ربوع مابين النهرين

وأوزيريس بمصر

وعلينا أيضاً — إذا أردنا الإنصاف — أن نذكر الإله الفارسى (ميثرا) الذى بدأت شهرته فى تلك العصور بين رجال الإمبراطورية الرومانية .

http://kotob.has.it

وأننا لا نرجح نظرية نشوء هذه الأساطير ، وتلك الطقوس إلى تطورها من بعضها البعض ... إنها تشابهت لفيضها من نبع فكرى وروحى متشابه ، وكانت هذه القرابة سبباً فى تسهيل المبادلات الكثيرة بين أصولها ، وفى الإسراع بالتداخل والتفاعل النشط بين عناصرها فأصبحت تتسم بطابع « عائلى » ...

وإن الخاصية التى تثير الانتباه أكثر من كل الخصائص الأخرى لآلهة المنطقة عند دراسة تاريخهم الأسطورى لهى تلك التى بمقتضاها يموتون فى موسم معين من السنة ثم يبعثون بعد ذلك فى موسم آخر ، فيشعلون فى نفوس المؤمنين بهم مشاعر الأسى العميق، ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح التى تكاد تصل إلى حد الجنون .

ونلاحظ إلى جانب هذا : أن هؤلاء الآلهة ليسوا فى حد ذاتهم بالآلهة العظماء البالغين فى العظمة ، بل إنهم يشبهون البشر من قريب فى الكثير من أحوالهم .

ويهتم الدارسون إلى يومنا هذا بالطبيعة الأولى لبعض الآلهة ، ونحن فى غالب الأمر نجد المعلومات التى نعتمد عليها متوفرة فى وصف الاحتفالات التى كانت تقام تكريماً لهم ... وكل حفل منها يمكن أن يعتبر « مأساة » مسرحية تمثل فى أسلوب موت الإله ثم بعثه ، وقد تكون الطقوس مزدوجة ، وأقصد بذلك أنه كان يقام احتفالات فى موسمين معينين من كل سنة ، وفى هذه الحالة يرتفع أحد الاحتفالين إلى مرتبة من الأهمية أعلى فى أعين الناس على حساب الثانى .

هكذا كان الأمر مثلا بالنسبة إلى الاحتفال الخاص بموت «تموز» فى تمام موعد الانقلاب الصيفى ، وكذلك الاحتفال بموت أدونيس ... »

وعلى النقيض من ذلك قد نجد فى بعض الأحيان تجميعاً لعيدى الإله فى

http://kotob.has.it

حفل واحد ، يقام فى الربيع ، أو فى الخريف ، ويبتدىء بنعى الإله الميت ، ثم لايلبث الناس أن يمجدوا بعثه من جديد .

تطورت أسطورة موت وبعث الإله هذه بتطور الشعور الدينى يتعذب الإله — تماما كما يتعذب الإنسان — ثم يموت كما يموت الإنسان ، ولكنه يتغلب على العذاب ، وعلى الموت ، إذ يبعث من جديد ، وأتباعه يمثلون رمزاً ويجددون كل عام بشكل ما ، مأساة حياته على هذه الأرض وهم مع هذا يؤمنون بأنه يتمتع بحياة السعادة فى ديار الخلد الإلهية .

فمشكلة « النجاة » إذن بالنسبة إلى بنى البشر بعد أن شاركهم الإله فى ظروفهم الإنسانية بعذابه ثم بموته ، تتلخص فى الوصول إلى أعمق أعماق المشاركة المصيرية حتى تنتهى بهم أيضا إلى البعث والحياة الأخرى فى ديار السعادة اللانهائية ، والسبيل إلى ذلك وجدوه فى نوع من الطقوس المسرحية التى تنحو نحواً باطنياً . فيفرض فى المؤمن أنه يشارك فى الذات الإلهية بواسطة سلسلة من المراسم الدينية توصف بالفعالية ، أنه يمر رمزياً بمختلف مراحل التجارب التى مر بها الإله ، وبهذه الوحدة مع الإله يضمن الإنسان أن يصير إلى مصير الإله نفسه ... الخ

ولكن هل أتيحت الظروف المواتية لبولس كى يتعرف على الأفكار الجوهرية والطقوس الأساسية لهذه الأسرار فى العبادات السائدة ثم يتأثر بها ؟ ذلك هو السؤال الذى يتبادر إلى ذهننا الآن .

إن المعلومات التى وصلت إلينا عن الحياة الدينية فى مواطنه «طرسوس» خلال العصر الذى يعيش فيه ليست بالمعلومات الوافية ، ولكن الآثار تدل دلالة قاطعة على أنه كان بها إلهان لهما مكانة خاصة : الأول يدعى : (بعل طرز) ، أى سيد طرسوس وهو الذى قرن أهل اليونان بينه وبين (زيوس) .

http://kotob.has.it

والثانى يدعى : (ساندان) الذى قرنه أهل اليونان أيضاً بـ (هرقل) والإله الأول (بعل طراز) كان يتحكم فى خصوبة الأرض فلما انتقلت عبادته إلى المدينة وقرن شيئاً فشيئاً بزيوس ارتفعت مكانته واتخذ شكل سيد الآلهة .

أما (ساندان) فقد بقى قريباً من المؤمنين به ، وكان فى الأصل إله الخصوبة أو إله الزراعة ، وكان الناس يحتفلون به كل عام ... (١) .

فلو لم ير (بولس) من مظاهر عبادته سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته لكان ذلك وحده أمراً بالغ الأهمية .

* ومهما يكن فصل الخطاب فى هذه المسألة فإننا نستطيع تأكيد حقيقة لا يمكن الجدل فيها تلك هى :

أن « طرسوس » لم تصبح بمحض الصدفة مهداً لـ « الحوارى » المرسل إلى المشركين ، أى الرجل الذى ساهم بأكبر قسط فى نشر دين جديد للنجاة باسم المسيح عيسى ، وإنما كانت كذلك نتيجة لعوامل متعددة .

ومن ناحية أخرى ، فإننا حين ننظر إلى ملكات بولس العامة نجد أنه كان فى وضع يلائم تحقيق عمله كل الملاءمة ، فقد جمع بين مميزات ثلاث جعلت منه أقدر الناس على القيام بهذا الدور ، كان يونانياً ، وكان يهودياً ، وكان رومانياً ...

* ثار جدل طويل لم ينته إلى نتيجة حول التأكد من أن (بولس) رأى عيسى ، والقضية التى ثبتت لنا على أى حال أنه لم (يعرفه) .

---

(١) يتفق مع هذا الاتجاه السير آرثر فندلاى فى كتابه : صخرة الحق ، وفى كتابه : الكون المنشور إذ عرض محاولة بولس فى إطار ما كان موجوداً فى عصره من مثل أفكاره التى طور بها ملة عيسى ابن مريم ...

http://kotob.has.it

وأن النصوص التى تحوز أكبر قدر من الثقة فى هذا المجال وهى رسائل « بولس » نفسه ، تقدمه لنا على أنه كان من مضطهدى « كنيسة الله » قبل أن تحدث معجزة طريق دمشق . وأن تفاصيل ماترويه لنا « أعمال الرسل » (٥٨/٧ ، ١/٨ — ٣ ، ١/٩) عن عنفه فى الشر لتبعث على الشك ويبدو لنا من المرجح أن الغرض منها لم يكن إلا إبراز تحوله المفاجىء عن هذه العداوة الشديدة فى صورة براقة ، ولكنه بقى من الثابت لدينا أنه بدأ حياته بالكراهية لهؤلاء الحمقى الذين اتبعوا رجل الجليل المصلوب ، وأنه أوضح كراهيته هذه بالقول والعمل قدر ما استطاع أنه يكره هذا المجتمع المسيحى الأول .

... ولم يخرج الكاتب الألمانى « هايتمولير » عن جادة الحق عندما كتب فى مقال عن « بولس » وعلاقته بعيسى : « أن بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحى الأول ولكن الأثر انتقل إليه بواسطة حلقة أخرى من حلقات سلسلة المتوارثات التى يمكن ربطها كما يلى :

(عيسى — المجتمع المسيحى الأول ـ المسيحية الهيلينستية ـ بولس) .

٢ ـ الأعمال

من دعوى عودة عيسى إلى نحلة مستقلة

« إن مفهوم (ابن الإنسان) غير موجود لدى « بولس » لقد أبدله بمفهوم آخر لايمت بصلة إلى الجماعات المتصلة الأواصر باليهودية .

إن موت عيسى فى نظر الاثنى عشر ليس بالتضحية التكفيرية .

أما عند « بولس » فنعم ، وفى عقيدته أن المسيح مات من أجل خطايا البشر .

ولم يكن الاثنا عشر ليوفقوا على نعت عيسى بـ « ابن الله » مكتفين بتعبير « خادم الله » .

أما عند « بولس » فلقب : « ابن الله » لقب كثير الاستعمال بالنسبة إلى عيسى .

http://kotob.has.it

إن بعض المفاهيم الجوهرية لدى المجتمع الأول نجدها إذن غريبة أو مجهولة ، أو غير ذات شأن لدى « الحوارى المرسل إلى المشركين » .

أما المفاهيم التى عرفت له فهو لم يختلقها وإن قام بتطويرها ولا بد لنا من القول بأنه أخذها من مصادر أخرى غير المجتمع المسيحى الذى أسسه أصحاب عيسى أنفسهم .

ولا بد لنا من الاعتقاد بأنه وجد هذه المصادر فى مجتمع من المجتمعات الهيلينستية ، وأغلب الظن أن هذا المجتمع كان مجتمع أنطاكيا .

فرض قبول غير اليهود فى ملة عيسى رغم أنف الحواريين :

* كان لا بد أن يأتى إلى الإيمان الجديد وفود من المشركين البسطاء فهل المبشرين بالمسيحية أن يقبلوهم فيها ؟

هل يصبح هؤلاء الأجانب الذين يجهلون شريعة موسى أصحاب حق فى ميراث أمة « يهوا » ؟

لا غرابة أن نرى الحواريين الاثنا عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم العميقة يستنكفون كثيراً من مثل هذه النتائج التى توصل إليها « بولس » ويبدون أمامها تردداً قوياً إلا أنه فرضها عليهم فرضاً .

إلغاء الختان وإلغاء شريعة موسى :

* ولما أصبح مبدأ دخول المشركين فى الدين الجديد مقبولا وجد أنه من الصالح تيسير تطبيقه ، وكان « بولس » على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان ، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح .

بل إن هذا المسيح أتى خصيصاً ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد .

http://kotob.has.it

فصل المسيحية :

* وأذعن الاثناعشر مرة اخرى لبولس فتقبلوا : فكرة إعفاء الأتباع الجدد فى ديار الوثنية من أحكام شريعة اليهود .

وكان المعنى الضمنى لهذه التفرقة بين المسيحية واليهودية ، ودفع الأولى إلى أن تصبح ديناً متميزاً وصارت هذه النتيجة أمراً محتما بفضل نظريات بولس فى المسيحية ، تلك النظريات المتأثرة بالفكر الهلينستى ، والتى غيرت تغييراً عميقاً من تصور الحواريين الاثنا عشر لعيسى وحياته وموته .

* الوضع فى المبادىء :

ولم يلبث بولس الداعية أن أدرك أن فكرة البعث دخول بملكة الله لاتهم الإغريق كثيراً ، بل لم تكن لتجد لها تفسيراً ودعامة إلا بمزجها فى عناصر الأمل القومى اليهودى وإذا أريد للمشركين أن يتفهموها كان لا بد من توسيع مداها وتقريبها من بعض المفاهيم المعتادة فى تعاليم الأسرار الوثنية فيقدم المسيح لا على أنه الرجل الذى نفخ فيه « يهوا » من قوته نجدة للشعب المختار .. بل على أنه مبعوث الله ليحمل إلى الناس جميعاً الخلاص واليقين بحياة أخرى سعيدة .

فضيحة الصلب :

* ورأى بولس بوضوح أيضا : أن الأتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول « فضيحة الصلب » وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة تفسيراً مرضيا يجعل منها واقعة ذات مغزى دينى عميق ... وأعمل (بولس) فكره فى هذه المشكلة المزدوجة وذلك بطبيعة الحال حسب الاتجاه الذى رسمه له مجتمع المهجر الهلينستى . . .

http://kotob.has.it

لقد تجاهل فكرة عيسى الناصرى التى أغرم بها الاثنا عشر ولم يتجه إلا إلى « عيسى المصلوب » .

فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه فى الوجود .

وتمثل نوعا من التشخيص لروح إله ، تصوره رجلا ... رجلا سماويا ، احتفظ به الله إلى جانبه أمداً طويلا حتى نزل إلى الأرض لينشىء فيها حقاً بشرية جديدة يكون هو (آدمها) وقد عثر « بولس » على العناصر الجوهرية لكل هذه التركيبات الفكرية فى مجموعة معينة من التطورات المعتادة فى « الأسرار » .

وهذه العقيدة تنتهى — إذا سمح لنا باستخدام هذا التعبير — إلى ثمرة تبعث كثيراً على الاستغراب تلك هى : أن السيد عيسى يصور لنا إبنا لله

العشاء الربانى :

« كان الاثنا عشر عندما يلتقون فى دار أحد الإخوة « يطعمون الخبز جماعة » واتخذ هذا التقليد الشائع بين بنى إسرائيل والذى نرجح أن عيسى كان يقوم به أيضا عند مشاركته للحواريين فى الطعام — اتخذ فى معناه لديهم ثوب رمز للوحدة : وحدة من أعضاء الجماعة ، ووحدة بينهم وبين المسيح — غير أن الدلائل كلها تشير إلى أنهم — حتى ذلك الوقت — لم يكونوا ليربطوا بصلة ما بين « كسرة الخبز » وبين موت المسيح ، ولم يحملوا التقليد فى ذاته قيما تبلغ به مستوى الشعائر القدسية .

وشعر « بولس » بضرورة الكشف عن المغزى العميق لتقليد « تناول الخبز جماعة » فربطه ربطا لاينفصم إلى عذاب عيسى الذى تحمله لتخليص البشرية فيما زعم بولس لما لاقيه من عذاب الصلب وتقول (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثيا (١١/٢٣) فى الليلة التى سلم فيها (إلى الرومان) أخذ

http://kotob.has.it

السيد عيسى خبزاً وبعد أن شكر الله كسر هذا الخبز وقال : « هذا جسدى » وهو لكم فلتفعلوا ذلك دائما تذكرة لى » ... وهكذا أيضاً تناول الكأس .

وموجز حديث شارلز جنيبير :

أن بولس ولد فى أسرة يهودية وفى مجتمع يعج بالفلسفة الرواقية وتملأ جوه الفكرى الفلسفة الهلينستية (الرومانية القديمة) وأن فكرة موت الإله وبعثه وفكرة الخلاص كانت تملأ الجو الدينى فى المجتمعات الفارسية والوثنية وخاصة « طرسوس » المدينة التى ولد فيها بولس وأنه بدأ حياته عدواً سفاحا لدم المسيحيين . فهو أمشاج من الفكر اليهودى والهلينستى والرواقى وعدو ثم هو مشبع بأفكار الخلاص والبعث تلك التى امتلأت بها أروقة التدين فى العصر الذى كان يعيش فيها فطفر طفرة عالية جداً من سفاح قاتل إلى مبشر متعصب ، وأنه هو الذى أخرج ملة عيسى من ثوبها الطبيعى إلى ثوب جديد فهو الذى :

* بدل وصف عيسى من ابن الإنسان الذى كان يطلعه الحواريون على أستاذهم إلى ابن الله .

* وهو الذى ألغى اختصاص ملة عيسى بشعبه اليهودى .

* وسمح للمشركين عامة بالدخول فيه .

* وأنه ألغى شريعة موسى فى الختان وكثير من الشرائع إرضاء للجدد من المشركين وبقية المجتمع اليونانى .

* وأنه ادعى أن عيسى ألغى شريعة موسى .

* وأنه صاحب فضيحة الصلب، والعشاء الربانى ... الخ .

http://kotob.has.it

ويكون بولس بهذا قد خالف :

١ — الحواريين الذى أجبرهم على قبول آرائه ، فيكون داخلا فى وعيد عيسى حسب مايقوله الإنجيل الأول : « احترسوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة » (٧/١٥ متى)

« ويل للعالم من العثرات فلا بد أن تأتى العثرات ، ولكن ويل لذلك الذى به تأتى العزة » (١٨/٧ متى)

« فإن كثيراً سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين » (٤ ٢٤ متى)

« فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة » (٢٤ / ١٥ متى)

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ماجئت لأنقض بل لأكمل » (١/١٧ متى)

« ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن » . (٢/٢١ لوقا)

إن « بولس » بوضعيته الجديدة التى أرغم الحواريين على قبـــول مبادئه ... قد خرج على نصوص من أناجيل من سبقوه إلى :

١ — مصاحبة عيسى مصاحبة فيها التلقى عنه والاتباع له .

٢ — ومعرفة الحق فى الملة التى جاء بها عيسى من عند الله .

أفلا يوضع فى التقدير افتراض أن بولس اليهودى كان متعصباً ضد المسيحيين فســـاهم فى إبادتهم فلما لم يفلح غير أسلوب هدمه من الخارج بهدم آخر من الداخل ؟ ويكون ذلك أكثر تعقلا من قبول قصة رؤياه التى لم يقم عليها دليل لاسيما وأنه لم يشاهد السيد يسوع ... ؟

http://kotob.has.it

ثالثا ـ الاضطهاد

العصر الرسولى

الاضطهاد فى اللغة مأخوذ من : ضهد ، أو من أضهد وزيدت التاء بدلا من تاء الافتعال فى لفظ اضطهد .

والإسلام يمقت الاضطهاد ويرفضه فى العقيدة : قال الله تعالى « لا إكراه فى الدين » ، ويرفضه كذلك فى المعاملات ففى الحديث الشريف المروى من طريق شريح : (كان لايجيز الاضطهاد ولا الضغطة) قال فى كتاب : « النهاية فى غريب الحديث والأثر » ، المعنى : أنه كان لايجيز البيع واليمين وغيرهما فى الإكراه والقهر ... وقد أورد القرآن الكريم سياسة الاضطهاد فى العقائد فى إطار توضيح مميزات الجبابرة والفراعين الذين يكرهون الناس على اعتقاد مالا يقبلونه بالقلب والوجدان ...

ولقد سخر القرآن الكريم من فرعون إذ هدد السحرة الذين وعدهم بالثواب والأجر العظيم إن كانوا هم الغالبين لما قالوا : « إنا إلى ربنا لمنقلبون » ...

وتحدث القرآن عن أصحاب الأخدود فى صورة تتقذى منها أعين الرحماء ، وتنفطر لها قلوب الشجعان رعبا وأسى : « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

ولا شك أن الاضطهاد أو التعذيب فى أية صورة من صوره ممقوت من الطبع الإنسانى .

إن الذين يحترمون إنسانيتهم لا يسمحون لأنفسهم بالإقدام على تعذيب آدمى لإكراهه على قبول مبدأ لايحبه ولا يقبله .

http://kotob.has.it

ولقد قررها القرآن الكريم : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وهذا تقرير منسجم مع المبدأ الإسلامى الذى كرم الله فيه البشرية جميعا « ولقد كرمنا بنى آدم ... »

وإن أمقت ما يمقته التاريخ أن يجرؤ حاكم منحرف على تعذيب واضطهاد بنى جلدته الذين يتكلمون بلغته ويشتركون معه فى مصير الوطن الذى يحويهم إن فى الخير ، وإن فى الشر .

وإن الزعيم الذى يحمل له التاريخ هذه الجرأة بالإقدام على اضطهاد بنى جلدته ومواطنيه لهو أتعس زعيم وأضل قائد ، وأحقر سياسى ... ثم هو لاشك سوف ينهزم وسوف تكون هزيمته فريدة فى التاريخ كذلك ... أما حسابه مع الله فله يوم يقال فيه لجهنم «هل امتلأت ؟» ... وهى نار يسمعها أمثال هؤلاء الجبارين وهى تكاد تتميز من الغيظ ... وتقول : «هل من مزيد» ..

وإن الاضطهاد الذى منيت به نحلة المسيحيين لما يثير الاشمئزاز من كل حاكم أو أمة اشتركت فى هذه الجريمة البشعة ، ويثير كذلك اللعنة على كل من شارك فى هذا الاضطهاد ، وخاصة اليهود الذى ابتدأوا بإشعال النار الأولى لموجات التعذيب عندما فتنوا أحد أنبيائهم « عيسى عليه السلام » وحاولوا أن يقدموا قربانا لأهوائهم إلى الحاكم الرومانى فى فلسطين قال فى إنجيل متى :

« والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ ، وأما بطرس فتبعه من بعد إلى دار رئيس الكهنة فدخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية ، وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه » .

(٥٧/٦٠ الإصحاح ٢٦ متى)

http://kotob.has.it

وكما قلت فى كتاب : « أضواء على المسيحية » ...

« ... وسوف أعرض ماحدث بإيجاز ، إذ أنه يسوؤنا ماحل بالمسيحية فالعواطف الإسلامية التى ترسمها سورة « الروم » تدرب المسلم على احترام البشر الذين هم فى جانب الله ... ولولا أن تلك مرحلة هامة لدراسة المسيحية لتجنبتها تماما »

كذلك أقول اليوم هنا : إننى لن أتعرض لعرض ما حدث من ألوان الاضطهادات على أنه شىء يسر له إنسان ما فضلا عن كونه مسلماً ... وسوف أتجنب إسنادالمادة العلمية لغير المسيحيين المتعصبين لنحلتهم لأتجنب مرارة نقل الاضطهاد ، وليكون على أحداثهم من أنفسهم شاهد ودليل ..

(١) من الحصاد النكد

أول الاضطهاد :

قال الأستاذ زكى شنودة المحامى فى كتابه : تاريخ الأقباط :

* اضطهاد الحاكم :

« أما هيرودس فحين سأل عن المجوس وعلم أنهم خدعوه غضب جداً وأمر بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم ، وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون ، عسى أن يقتل يسوع من بينهم ، وحينئذ ظهر ملاك الرب ليوسف فى حلم قائلا : قم وخذ الصبى واهرب إلى مصر » .

* اضطهاد اليهود :

« فلما كثرت آيات يسوع والتفت الجموع حوله تستمع إلى تعاليمه وتمجد معجزاته ... اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون وراحوا يتآمرون ويتشاورون قائلين : « ماذا نصنع ؟ ، فقال قيافا رئيس الكهنة : إنه خير لنا أن يموت واحد ولا تهلك أمة .

ومن ذلك اليوم قرروا أن يقتلوه » .

http://kotob.has.it

• الحاكم واليهود معاً :

«... وبعد أن قضى فى الصلاة وقتاً طويلا يكرر الرجاء والابتهال عاد إلى تلاميذه ، وقال لهم : « قد أتت الساعة هوذا : ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الخطاة » .

وحينئذ أقبل يهوذا ومعه جنود رؤساء الكهنة والفريسيين وجمع كثير بسيوف وعصى ، وكان يهوذا قد قال لهم : « الذى أقبله امسكوه » ، فتقدم إليه قائلا : ياسيدى . وقبله ، فقال له يسوع : يايهوذا أبقبلة تسلمنى ... وألقوا أيديهم عليه ... » .

• الحاكم واليهود والشعب جميعاً :

« وجاءوا بعد ذلك إلى « بيلاطس » قائلين : « إننا وجدنا هـذا يفسد الأمة مدعياً أنه ملك .

فاستجوبه « بيلاطس » ثم اتجه إلى رؤساء الكهنة والمجتمعين قائلا : إننى لا أجد علة فى هذا الإنسان .

وكانت العادة أن يطلق الوالى للجموع أسيراً واحداً تختاره ، فقال لهم « بيلاطس » : من تريدون أن أطلق لكم : يسوع ، أم باراباس ؟ وكان هذا لصاً وقاتلا ... فقالوا : أطلق لنا باراباس .

فقال : فماذا أفعل بملك اليهود ؟

فصرخوا قائلين : اصلبه ، اصلبه .

فعاد وقال لهم : أى شر فعل ؟ إنى لا أجد فيه علة الموت .

فصاحوا أيضاً وقد ازداد هياجهم قائلين : اصلبه ، اصلبه ...

فأخذ « بيلاطس » ماء وغسل يديه أمام الجميع وقال : « إنى برىء من دم هذا البار » .

http://kotob.has.it

فأجاب الشعب قائلا : « دمه علينا وعلى أولادنا » .

وحينئذ أطلق لهم « باراباس » ، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب فمضى به الجنود إلى داخل دار الولاية حيث ألبسوه (أرجوانا) وضفروا إكليلا من الشوك ووضعوه عليه ، وبدأوا يستهزئون به قائلين : السلام ياملك اليهود ... ويضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه — ثم يسجدون له جاثين على ركبهم ... وأخيراً نزعوا الأرجوان ، وألبسوه ثيابه ، وخرجوا به ليصلبوه »(١) .

وقبل أن نسترسل فى النقل عن الأستاذ زكى شنودة أحب هنا أن أبدى ملاحظتين :

الأولى : أن الصلب كان بناء على طلب الجموع التى هاجت وصاحت اصلبوه ، اصلبوه ...

الثانية : أن قول الأستاذ شنودة : ثم يسجدون له جاثين على ركبهم غير منسجم مع قوله : وبدأوا يستهزئون به ويضربونه ... ويبصقون عليه ..

اللهم إلا إذا كان مراده أنهم كانوا يفعلون ذلك تهكما به ...

استمرار القتل والاضطهاد للحواريين ، والأتباع الرسل :

وقد اشتد هيرودس الملك على المسيحيين فقتل يعقوب أخا يوحنا وسجن بطرس وعذب سائر الرسل وأهانهم ، وكان ذلك سنة ٤٤ ميلادية فكان يعقوب بذلك أول من استشهد من الرسل ...

« متى البشير : ثم انطلق إلى بلاد الحبشة وصنع بها عجائب كثيرة فآمن على يديه كثيرون ... ومن ثم أطلق الملك عليه جنوده فأمسكوه ، وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات شهيدا ...

« مرقس البشير : ثم عاد إلى الإسكندرية فأسس فيها أول مدرسة

(١) راجع النصوص فى إنجيل متى الإصحاح ٢٧ ـ الفقرات من ١١ إلى ٣١

http://kotob.has.it

لاهوتية وبنى كنيسة فى « بوكاليا » بالقرب من شاطىء البحر ، وراح يدعو الإيمان بالمسيح فقام عليه الوثنيون وراحوا يشكون به ويعذبونه حتى مات شهيداً . .

* لوقا البشير : مات شهيداً فى مدينة « بتراس » .

* يعقوب الرسول أخو متى : استاء رئيس كهنة أورشليم من انتشار المسيحية على يد يعقوب فأجبره على الصعود فوق جناح الهيكل كى يشهد أمام اليهود ضد المسيح فوقف وقال لهم : إن يسوع جالس الآن فى الأعالى عن يمين الرب . فألقوه من فوق جناح الهيكل ثم رجموه حتى مات شهيداً فى نحو سنة ٦٢ ميلادية .

* بطرس الرسول : هو سمعان بطرس من مدينة صيدا الواقعة على بحيرة طبرية . . . زج به هيرودس ملك اليهود فى السجن ثم بعد إطلاق سراحه ذهب ليبشر فى أنطاكية . . . ومصر ... ثم ذهب أخيراً إلى روما حيث التقى بالرسول « بولس » وكان قد سبقه إليها فلما انتشرت المسيحية فى روما بواستطهما فزع الإمبراطور (نيرون) وأمر بالقبض عليهما ، وقد حكم على بطرس بالصلب ، فأبى أن يصلب بالطريقة التى صلب بها سيده ، وطلب أن يصلب منكساً وكان ذلك فى سنة ٦٥ ميلادية .

* بولس الرسول : تحمل فى سبيل ذلك اضطهادات كثيرة حتى استشهد أخيراً فى روما على عهد (نيرون) سنة ٦٨ ميلادية .

[أقول : وما نفعه جهاده فى فصل المسيحية عن أصلها اليهودى إرضاء للوثنية والحكام] .

* يهوذا الرسول : ويدعى كذلك « لباوس » ولقبه : تداوس ويقول تاريخ الأرمن : أن تداوس هو أول من بشر بالمسيحية فى بلادهم . . . وأخيراً استقر فى بلاد الفرس حيث مات شهيداً .

http://kotob.has.it

* متياس الرسول : ولد فى بيت لحم واختاره يسوع ضمن السبعين رسولا . . . وقد بشر فى فلسطين . . . ثم عاد إلى أورشليم فقام عليه اليهود ورجموه بالحجارة حتى مات ، وكان ذلك فى نحو سنة ٦٨ ميلادية .

* فيلبس الرسول : ولد فى بيت صيدا بالجليل ، وقد اختاره المسيح قائلا له : « اتبعنى » ... بشر فى أفريقيا ... ثم ذهب إلى آسيا الصغرى ... وصنع هناك عجائب كثيرة إلا أن الوثنيين حنقوا عليه ، وعذبوه عذابا أليما ثم صلبوه منكسا ودفن فى (هيرابوليس) بالقرب من (لاروكية) .

* برثلماوس الرسول : وهو ذاته : نثنائيل ... لما رآه يسوع مقبلا إليه قال عنه : « هو ذا إسرائيلى حقا لاغش فيه » وقد اختاره بعد ذلك ضمن الاثنى عشر تلميذاً ، وكان هو أحد السبعة الذين ظهر لهم المسيح بعد قيامه ... انطلق ليبشر فى آسيا الصغرى فدخلها بحيلة إذ باع نفسه كعبد. واشتغل فى زراعة الكروم مع سيده الذى اشتراه ... ثم ذهب إلى بلاد الهند واليمن ... وأخيراً عاد إلى بلاد الأرمن وبشر فيها ، فثار عليه كهنة الأوثان فى « لوكانيا » بالقرب من بحر قزوين ، فصلبوه ثم سلخوا جلده ، وقطعوا رأسه ثم وضعوه فى غرارة وألقوه فى البحر ...

* سمعان الرسول : وقد اختاره المسيح ضمن الاثنى عشر وقد بشر فى أفريقيا ، وبريطانيا ، وفارس ... وحين كان مع يهوذا الرسول تآمر عليهما الكهنة وحرضوا الشعب على قتلهما فنشروا سمعان من وسطه بمنشار ، وقطعوا رأس يهوذا ...

* اندراوس الرسول : هو أخو بطرس الرسول ، وكان تلميذا ليوحنا المعمدان ، ولما سمع عن يسوع ذهب إليه وبقى معه ... ثم بعد صعود المسيح بشر فى فارس وبيزنطة ، ومقدونية (أى اليونان) وحين كان فى مدينة « بتراس »

http://kotob.has.it

اليونانية قبض عليه الوالى وأوسعه ضربا ، ثم طاف به عرياناً فى المدينة ثم صلبه على صليب خاص سمى بعد ذلك : صليب ماردراوس وقد ظل معلقاً عليه يومين حتى فاضت روحه .

* توما الرسول : ويسمى كذلك « ديديموس » ... وقد اختاره المسيح ضمن الاثنى عشر تلميذاً ... وبعد حلول روح القدس عليه بشر فى اليهودية ، وفارس ، والحبشة، والصين ، والهند ، وفى هذه الأخـــيرة قام عليه عبدة الأوثان وقتلوه طعناً بالحراب ودفن فى « مليابور » .

استمرار الاضطهاد والتعذيب لخلفاء الرسل :

* شهداء أسقفية أورشليم .

كانت أورشليم هى مركز الإشعاع فى بشارة السيد المسيح ... وكان أول من أقيم أسقفا لأورشليم هو يعقوب البار تلميذ السيد المسيح؛ يقول الأستاذ شحادة خورى :

«إن أول أسقف نصب على الكرسى الأورشليمى كان يعقوب الرسول... وبعد أن تأسست الكنيسة فى أورشليم انتخب أسقفا لها وذلك سنة ٣٤ م وأخيراً نال الشهادة على جناح الهيكل حين طرحه اليهود من على جناح الهيكل ورجموه بالحجارة ، ونال الشهادة سنة ٦٢ م .

وبعد ذلك انتخب لإدارة الكنيسة سمعان أخوه ، وفى سنة ١٠٦ وشى بهذا الأسقف عند والى اليهودية فأذاقه من العذاب ألوانا ، وأخيرا حكم عليه بالإعدام صلبا فنال موت الشهادة وله من العمر ١٢٠ سنة » .

يقول الأستاذ شنودة :

« حتى إذا قتل اليهود يعقوب خلفه أخوه سمعان أحد السبعين رسولا ،

http://kotob.has.it

وقد قبض عليه الإمبراطور (تراجان) وجلده بالسياط ثم أمر بصلبه فمات شهيداً سنة (١٠٧م) » .

بقية الأساقفة الأورشليميين :

يقول الأستاذ شحادة خورى :

وعلى أثر استشهاد هذا الأسقف البار رقى الكرسى الأورشليمى — الذى ما زال مقره فى « بيلا » ثلاثة عشر أسقفا من أهل الختان وذلك فى مدة ٢٨ سنة من سنة ١٠٦ — سنة ١٣٤ ولا يعلم شىء أكيد عن تاريخ حياة هؤلاء الأساقفة بالنظر لاضطهاد اليهود لهم إلا أنه من الثابت المحقق أن معظمهم قضى شهيداً » .

وإذا كان الأستاذ شحادة خورى يوضح هذه الحقيقة فى كتابه : خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية » فإن الأستاذ شنودة لا يأتى بهذا التوضيح فى كتابه : « تاريخ الأقباط » بل يشير فى إيجاز بقوله : وما زال كرسى أورشليم قائما حتى اليوم .

• أسقفية أنطاكية :

بدأت المسيحية تدخل أنطاكية بعد استشهاد « أسطفانوس » ثم دخلها « برنابا » كما ذهب إليها بطرس وبولس ، ورسم لها « أغناطيوس » الملقب بالثيؤفورس أسقفا للمسيحيين الذين من أصل يهودى .

و « أفوريوس » للمسيحيين من الأمم (أى الذين ليسوا من أصل يهودى) وقد قبض الإمبراطور (تراجان) على اغناطيوس وأرسله مقيدا بالسلاسل إلى « روما » لكى يلقى هناك للوحوش ... ثم حمله الجند للوحوش فانقضوا عليه ، ولم يتركوا منه إلا عظاما ... وكان ذلك سنة ١١٥ ميلادية .

http://kotob.has.it

* أسقفية روما :

دخل «الدين» المسيحى إلى روما عن طريق بعض أهلها الذين هم من أصل يهودى وكانوا يزورون أورشليم فعادوا منها بإيمانهم الجديد . . . ثم ذهب بولس إلى روما بنفسه ، وأقام عليها الأسقف « لينوس » وقد خلفه « آنيكايتوس » ، ثم « أكليمبس » وهو : إكليمنفيوس الرومانى وكان عضواً فى مجلس الشيوخ الرومانى فنفاه الإمبراطور (تراجان) إلى شبه جزيرة القرم ... وهناك وضعوا فى عنقه مرساة وطرحوه فى البحر فمات شهيداً نحو سنة ١٠٠ ميلادية .

* أسقفية أفسس :

بدأ البشارة فى أفسس بولس الرسول ، كما ذهب إليها يوحنا . . . ومن الأساقفة الذين أقامهم بولس الرسول عليها « تيموثاوس » . . . قام عليه اليونان واليهود وظلوا يضربونه حتى مات سنة ٩٧ ميلادية .

* أسقفية أزمير :

بدأ البشارة فى أزمير يوحنا الرسول وأقام عليها « بوليكريس » وظل أميناً إلى أن مات شهيداً .

* أسقفية أثينـا :

كانت أثينا من أوائل البلاد التى قصدها الرسل للتبشير فيها ، وأقاموا بها أساقفة ومن أشهر أولئك الأساقفة « ديوناسيوس الأثينى » وهو عالم يونانى قصد الإسكندرية فى شبابه ليتبحر فى العلوم الفلكية ...أقامه بولس الرسول أسقفاً على أثينا ... انطلق إلى روما ثم غادرها ليبشر فى بلاد الغال ـ فرنسا ـ حتى إذا بلغ باريس قبض عليه الوثنيون هو واثنين من تلاميذه وعذبوهم

http://kotob.has.it

عذابا أليما حتى إذا تمزق لحم « ديوناسيوس » وكان قد بلغ المائة من عمره علقوه على صليب فراح يعظ الناس وهو معلق عليه حتى فاضت روحه .

• أسقفية ليون :

من أشهر أساقفة ليون ، «أبريناوس» تلميذ أسقف أزمير «بوليكريس» لما سمع الإمبراطور (سافيروس) به أمر بقتل كل من اعتنق المسيحية ومن ثم وقعت مذبحة عظيمة راح ضحيتها نحو تسعة عشر ألف نفس وكان « ابريناوس » من أوائل من استشهدوا فى هذه المذبحة سنة ٢٠٣ ميلادية.

• أسقفية قرطاجنة :

كان لها شأن كبير فى عصر الأباطرة الوثنيين وخاصة على يد القديسين : ترتليانس، كيريانس أما كيريانس فقداستشهد فى عهد الإمبراطور (فاليريان) سنة ٢٥٧ ميلادية .

• أسقفية الأسكندرية :

كان مرقس الرسول هو الذى أسس كنيسة الأسكندرية سنة ٦٢ ميلادية ورسم لها أول أسقف وهو انيانوس ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة .

ولم تكن أخبار المسيحية مجهولة لدى أهل الأسكندرية قبل أن يذهب إليها مرقس لأن الثابت أن كثيرين من سكانها اليهود كانوا قد زاروا أورشليم فى عيد الفصح وسمعوا بمحاكمة المسيح وصلبه وقيامته . . . ومن ثم لم تكن بشارة مرقس أمراً جديداً أو غريباً عليهم .

وكان أول من بشره « مرقس » إسكافياً اسمه « اليانوس » وحدث بينما كان يستعمل المخرز لإصلاح حذاء مرقس أن أصاب يده فأدماها فصاح قائلا «أيها الإله الواحد » فأخذ مرقس يده وشفاها ... فلما رأى الوثنيون بوادر نجاح الرسول فى بشارته ضيقوا عليه وراحوا يتربصون له ليفتكوا به ، ولكنه

http://kotob.has.it

أقام انيانوس أسقفا . ووضع قداساً للصلوات هو أصل المقدسات المعمول بها عند الأقباط اليوم » .

[وقبل أن أمضى فى نقل ما كتبه الأستاذ شنرودة عن مستقبل أسقفية مصر أحب أن أسأل الأستاذ شنودة هنا ثلاثة أسئلة :

الأول : كيف ادعيت قبلا : أن شعب مصر كان فى حاجة ماسة إلى دين صالح فلم يكن تبشير مرقس أمراً غريباً على المصريين ثم هنا تقول فلما رأى الوثنيون بوادر نجاح مرقس ضيقوا عليه ..

إذا كان الشعب يشعر أنه فى حاجة ماسة إلى دين جديد فلماذا قاوم مرقس حتى قتلوه ؟ .

الثانى : أن ادعاءك أن الدين الجديد ينطوى على أمور لم يكن من الصعب على المصريين فهمها واساغتها لأنهم كان لديهم فى دياناتهم مايقربها إلى أذهانهم متضارب مع وصفك للديانات المصرية أنها كانت تعانى فى ذلك الحين الذى ظهر فيه مرقس أشد حالات الفساد والضعف .

بل إن قولك هـذا يبطله صياح الإسكاف (انيانوس) : أيها الإله الواحد ومعروف أن الديانة المصرية كانت قد وصلت إلى حالة من التوحيد .

فأين الفساد والضعف اللذين وصفت بهما حالة الدين عند المصريين وقت مجيء مرقس ؟

الثالث : كيف يقيم مرقس إسكافياً لم يلبث ملياً فى الدين الجديد أسقفا على كنيسة لها شمامسة وقساوسة ؟ ؟

أفكان حال القساوسة والشمامسة مثل حال (الإسكاف : أنيانوس) ؟

http://kotob.has

أو لست ترى معى أن هذا غير مقبول فى عرف العلم العادى بله العلم الديني ؟ .

أمن السهل اليوم على من يدخل المسيحية أن يصير فى الغد أسقفاً ؟ .

وهل من السهل اليوم على من يدخل الجامعة اليوم أن يحصل على الدكتوراة فى العام القادم ؟

مع الاعتذار للتشبيه . . .

أم أن « انيانوس الإسكافى » ظهر له يسوع على طريق الأسكندرية كما ظهر من قبل للسفاح اللدود « شاول » : بولس ، فكلاهما لم ير يسوع بل إن حال انيانوس معقولا عن حال بولس؟] .

ثم يحدثنا الأستاذ شنودة المحامى عن مصير مؤسس هذه الأسقفية « مرقس » فيقول :

« حتى إذا كان عيد القيامة ٢٦ إبريل سنة ٦٨ ميلادية وهو يحتفل بالعيد فى الكنيسة مع شعبه هجموا عليه ووضعوا حبلا فى عنقه وراحوا يجرونه فى طرقات المدينة وساحاتها حتى تمزق لحمه ونزف دمه ، وما فتئوا يفعلون به هكذا حتى كان المساء فألقوا به فى السجن ثم فى اليوم التالى عادوا به وراحوا يجرونه كذلك حتى أسلم الروح » .

ذلك حصاد نكد جره الاضطهاد على يسوع والحوازيين من بعده ثم على الرسل وخلفائهم .

وهو حصاد يزلزل الأعصاب ، ويعطل الفكر ، ويؤلم القلب ، ويورث الحفيظة على المعتدين الآثمين .

يصفها الأستاذ ميشيل جرجس فى كتابه الكنيسة المصرية بقوله :

« إن المملكة الرومانية كانت تعتبر « الدين » المسيحى ديناً غير شرعى فلم تر بدأ من مقاومته باضطهادها أتباعه للقضاء عليه » .

http://kotob.has.it

ويقول الأستاذان شحاته ونقولا خورى فى كتابهما : خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية :

« يسمى المؤرخون الكنائسيون القرون الثلاثة الأولى لميلاد بالعصر الرسولى ، والقرون الثلاثة الثانية بالعصر الذهبى .

وقد احتملت الكنيسة المسيحية جمعاء فى العصر الرسولى من الاضطهادات ماتنوء به تحت حملة راسيات الجبال فاستشهد ألوف من المسيحيين كما استشهد قبلهم معظم الرسل . . . » .

ويقول :

«وقد نالت فلسطين من هذه الاضطهادات الحظ الأوفر لوجود النصرانية فيها بين عدوين لدودين هما : الرومان واليهود ، فإن المساعى التى بذلها كل منهما لقتل هذا المذهب الجديد فى مهده كانت كافية لمحو كل أثر للنصرانية فيها ». .

* * *

ولئن كان الأستاذ زكى شنودة والأساتذة شحاته خورى وأخوه نقولا خورى قد عرضوا حصاد الاضطهادات بآهات المؤرخ المتعصب لبنى نحلته، فإن العالم الفرنسى المسيو شارل جنيبير أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس يتناولها من الناحية الموضوعية فيحللها تحليلا علميا فى كتابه القيم « المسيحية : نشأتها وتطورها » الذى نقله عن الفرنسية إلى العربية خدمة للبحث العلمى المحايد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود نشرته المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت . . يقول شارل :

« ... الطرفان مسئولان :

تأخر انتشار المسيحية فترة ما وبدت الديانة الجديدة وكأنها آخذة فى سبيل التدهور ؛ بسبب العداوة العنيفة التى أظهرها تجاهها المجتمع الوثنى

http://kotob.has.it

وحكومة روما تلك العداوة التى اتخذت لها ثوبا مما نسميه بـ « الاضطهادات »

وكان لكل من الطرفين فى النزاع بين الكنيسة والدولة قسطه من المسئولية فمسيحيوا العهد الأول آمنوا بأن نهاية العالم وشيكة الوقوع وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة ، فقلّ بطبيعة الحال اهتمامهم بواجبات وهموم الحياة الدنيوية ، وأصبح حب مملكة القدس السماوية فى قلوبهم يضر بمصالح الوطن الرومانى بصورة واضحة .

كانت الخدمة العسكرية مثلا بغيضة إليهم لأنها تنطوى على فروض وثنية . وبدت لهم مشاركتهم فى الخدمة المدنية وكأنها شىء لاجدوى فيه . ثم أصبحوا يرفضون فى عناد الإسهام فى كل مظاهر التأييد التى كانت تطلبها حكومة الإمبراطورية ، احتجاجا على طابعها الدينى الوثنى العام .

ولم تكن الدولة الوثنية لتستطيع التسامح إزاء موقف هؤلاء القوم الذين إزداد عددهم يوماً بعد يوم .

ومن ناحية أخرى ، كانت الدولة متسامحة حقيقة وبصورة واسعة تجاه الديانات غير الرسمية ، إلا أنها كانت تضع لهذا التسامح حدوداً تراها ضرورية من أجل الحفاظ على مقومات الحكم ، مثال ذلك مافرضته على سائر الديانات من الاحترام لدين الدولة .. والمشاركة فى القرابين المقدسة إلى الإمبراطور المؤله ، ثم كانت على حذر شديد من الخرافات التى تضلل نفوس البشر الضعيفة ، وقد رأت فى المسيحية خرافة من هذه الخرافات ... وأخيراً كانت الدولة تتوجس من الجماعات السرية ، وكان القائمون بأمور الأمن يعلمون تمام العلم أن المسيحيين يجتمعون ليلا دون طلب الإذن اللازم لذلك .

أما المسيحيون فكانوا لا يقبلون أن يعتبر الناس جرماً مايقومون به من التحايل على كيد الشيطان الذى يتخذ مظاهر الأصنام وكان ضميرهم يعارض

http://kotob.has.it

بقوة قاهرة ماتطلبه الدولة من التزامات ومايفرضه القانون من واجبات . .

... ثم مع المجتمع : وظهر التعارض بين وجهات النظر فى علاقات المسيحيين بالمجتمع مثلما ظهر فى علاقاتهم مع الدولة ،

فهم لايحترمون لهذا المجتمع ماكان يتمسك به من آراء ثابتة ومن تقاليد ...

ولهذا نرى الدولة والمجتمع على حد سواء لايستطيعان إدراكا لما انطوى عليه التعصب المسيحى من سمو ... فيشعران تجاهه بالغضب الشديد .

ويذهب الشعب إلى اظهار كراهيته العنيفة فيلقى على طائفة المسيحيين بكل ما اعتاد أن يلقيه على اليهود من مسبة . بينما يعمل أصحاب السلطان على اضطهادها .

وفى نهاية القرن الثانى أصبحت المشكلة فى وضع لايمكن فيه الوصول إلى حل ، إلا بالقضاء على أحد طرفيها ...

وبدت المسيحية كأنها لاتستطيع دفاعاً أمام هجمات السلطات الحاكمة بكل مايدفعها ويدعمها من رأى عام يكاد يكون ممثلا لجميع فئات الشعب :

فالمثقفون : كانوا يحتقرون المسيحية .

وعامة الناس : كانوا يكرهونهم لغرابة أسلوب حياتهم وبشاعة ما أشيع عن اجتماعاتهم من أخبار .

وكانت هذه الكراهية التى اتخذت صوراً عنيفة السبب الأول الأساسى للاضطهادات . .

وكانت السلطات تتدخل لتهدئة الشعب ولإرضاء عواطف الجماهير العمياء[1] . فتقدم للمحاكمة أناساً لم تكن لتهتم بأمرهم لولا ذلك .

---

(١) لعل هذا يوضح لنا موقف « بيلاطس » مع الجماهير التى كانت تصيح : اصلبوه ، اصلبوه . راجع ص   من هذا الكتاب .

http://kotob.has.it

تصاعد الكراهية والاضطهاد :

• صارت الدولة خلال القرن الثالث تنظر إلى المسيحية على أنها نوع من الفوضوية ، ولقد ظهرت أعنف أنواع العداوة للكنائس المسيحية لدى أحكم الأباطرة وأكثرهم إخلاصاً لواجبات منصبهم :

فنجد ديس ، وفاليريان ، وجالير ، وديوكليسيان يعقدون النية الصريحة فى النصف الثانى من ذلك القرن — الثالث — على القضاء قضاء مبرماً على الكنيسة والإكليروس ، وكل أثر للدين الجديد . فيحملون الناس على الارتداد عنه ، مستخدمين التعذيب أو التهديد .

ولم يتورعوا فى سبيل تحقيق أهدافهم عن أقسى وسائل العنف ، بل وعن القتل فى كثير من الأحيان .

وكانت هناك تهم مدنية عديدة توجه فى آن واحد إلى المؤمنين لتهويل الأمر عليهم نذكر منها :

— الانتساب إلى دين غير مشروع .
— الانتماء إلى جماعات سرية .
— التآمر على الحكم .
— رفض طاعة الأوامر .
— التهرب من واجبات الجباية العامة .
— ممارسة السحر .

وهذا يدل دلالة صريحة على أن الغرض من كل الإجراءات القضائية لم يكن فى الواقع سوى القضاء على الديانة المسيحية ذاتها ولا شىء غيرها .

... ثم إلى قريب من النصر :

هيأت الظروف الحل الوسط ، كما ساعدت على الإسراع به . فقد انتهى

http://kotob.has.it

الأمر بالإمبراطور «جالير» وكان أشد المضطهدين للمسيحية حماساً عام ٣١١م أن تكشف له عقم جهوده فاضطر إلى التراجع . واستسلم لفكرة التسامح مع المسيحيين ثم مات بعد ذلك بفترة قصيرة ... ثم أصبح موته مجالا لتنافس عدد كبير من طالبي الحكم الذين حاول كل منهم استرضاء الأنصار وكسب أكبر قدر من التأييد بين طوائف الشعب المختلفة .

وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة تستطيع أن تبيع تأييدها ... وكان أحد المتنافسين على العرش « قسطنطين » وكان رجلا موثوقاً به لديها بل كان رجلا سبق له تقديم الدلائل على نيته الحسنة تجاه المسيحية ، ولم يكن « قسطنطين » قد تحول بعد إلى المسيحية » .

وبذلك يبدأ عصر سماه المؤرخون الكنائسيون : « والعصر الذهبي » الذى يبدأ بانتهاء العصر الرسولى عصر الشهداء ويبتدىء باحتضان قسطنطين الوثنى للمسيحية ... بعد صخب عاشته المسيحية منذ بدئها زهاء ثلاثة قرون بل تزيد ...

(ب) عهود الاضطهاد

يقول الأستاذ زكى شنودة :

« ... إن المملكة الرومانية كانت تعتبر الدين المسيحى عدواً لها وخطراً يهدد كيانها ويعمل على تقويض أركانها ، فقاومته أشد مقاومة ، واضطهدت المؤمنين به شر اضطهاد وأوقعت بهم أقسى صنوف التنكيل والتعذيب والقتل فى أبشع صوره ، وأشنع أساليبه ، عاقدة العزم على إبادتهم ، والقضاء عليهم القضاء الأخير ...

ثم يذكر عهود الاضطهاد الأكثر شهرة فيقول : « ولعل أشهر

http://kotob.has.it

الاضطهادات التى وقعت على المسيحية عامة والأقباط خاصة فى العهد الأول للمسيحية هى الآتية :

١ — اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية :

أقدم الطاغية « نيرون » على إشعال النار فى « روما » ثم اتهم المسيحيين بإحراقها ، وصب عليهم جام نقمته وجنونه ، وشن عليهم حملة شعواء فى كل أنحاء المملكة الرومانية ، متفنناً فى تعذيبهم ، مبتدعاً أبشع الوسائل فى الفتك بهم ، وقد قال « تاسيتوس » المؤرخ الرومانى الوثنى : إن « نيرون » كان يضع بعض المسيحيين وهم أحياء فى جلود الحيوانات ، ويطرحهم للكلاب تنهشهم ويطلى بعضهم الآخر بالقار ، ويعلقهم على مشانق ، ثم يضرم النار ليجعل منهم مشاعل يستضىء بها ، وهو يمر بالليل ، وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم » .

(وفى هذا العهد قتل بولس الرسول سنة ٦٨ ميلادية ، كما حكم من قبل على بطرس بالصلب سنة ٦٥ ميلادية .

وقد كتب بولس أربعة عشرة رسالة باللغة اليونانية .

وكتب بطرس رسالتان) .

٢ — اضطهاد دومتيانوس سنة ٩٠ ميلادية :

بلغ الإمبراطور « دومتيانوس » سنة ٩٠ ميلادية أن المسيح مزمع أن يملك فى كل العالم ، فخاف أن يتم ذلك فى عهده ومن ثم أمعن فى اضطهاد المسيحيين ، وقتل كثيرين منهم ، وكان ممن نكل بهم يوحنا الإنجيلى ، إذ عذبه عذاباً أليماً ثم نفاه إلى جزيرة بطمس .

(وفى جزيرة بطمس كتب سفر الرؤيا ، وبعد قتل « دومتيانوس»

http://kotob.has.it

سنة ٩٦ م رجع يوحنا إلى « أفسس » وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية) .

٣ ـ اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ ميلادية :

أصدر « تراجان » سنة ١٠٦ ميلادية أمره إلى ولاته فى كل أنحاء المملكة بأن يقبضوا على المسيحيين ويمنعوا اجتماعاتهم التى كانوا يعقدونها فى الخفاء ليقيموا صلواتهم ويحتفلوا بأعيادهم فسامهم الولاة أبشع أنواع العذاب والتنكيل وقتلوا منهم آلافاً مؤلفة ، وقد استخدم هذا الإمبراطور ساحة الملعب الرومانى « بالكلوسيوم » فى إعدام المسيحيين بإلقائهم هنالك إلى الوحوش تمزقهم شر ممزق ، وهو يتلهى بمنظرهم ، وهم يتحولون بين الأنياب المفترسة إلى أشلاء وكان ممن ذهبوا ضحية هذه الوحشية البشعة « كرذونوس » البطريرك القبطى الرابع ، والقديس « اغناطيوس أسقف أنطاكيه وكثيرون غيرهما » .

(وفى هذا العهد قتل أسقف أورشليم يعقوب البار سنة ١٠٧ ميلادية) .

٤ ـ اضطهاد أدريانوس سنة ١٢٤ ميلادية :

وقد اشتد الاضطهاد كذلك فى عهد الإمبراطور « أدريانوس » حتى ارتفعت الأصوات المتألمة من كل جانب ...

٥ ـ اضطهاد ماركوس أوريليوس سنة ١٦٢ ميلادية :

أصدر الإمبراطور « ماركوس أوريليوس » فى عام ١٦٢ ميلادية أمره بإبادة المسيحيين ، وقد بدأ بقتل رؤسائهم وتبدو بشاعة أعمال الاضطهاد فى هذا العهد فى رسالة كتبها « بوليكريس » أسقف أزمير سنة ١٦٥ ميلادية يقول فيها : إن الذين اعترفوا بمسيحيتهم ضربوا ضرباً عنيفاً بالسياط حتى

http://kotob.has.it

ظهرت عروقهم ... والذين حكم عليهم بأن يطرحوا للوحوش قاسوا أشد العذاب فى السجن وهم ينتظرون اليوم المعين لاستشهادهم ؛ إذ كان السجانون يطرحونهم وهم عراة على حجارة مسنونة فتنبثق الدماء من أجسادهم ...

٦ — اضطهاد سافيروس سنة ٢٠٣ ميلادية :

وقد اشتد الاضطهاد فى عهد الإمبراطور «سافيروس» سنة ٢٠٣ ميلادية، وازداد عدد الشهداء فى أيامه زيادة مروعة ، وكان ممن قتل فى تلك الأيام : أريناوس أسقف ليون ، وليونيداس والد أوريجانوس العلامة القبطى ، كما كان ممن قتل فى تلك الأيام عدد كبير من النساء ومنهن :

بوتامينا ، وبرباتو .

وقد كتب « ترتليانوس » فى ذلك الوقت رسائل احتجاج إلى حاكم أفريقيا ، وقال « اكليمنفوس الإسكندرى » : إن كثيرين من الشهداء كانوا يصلبون ، أو تقصع رؤسهم ، أو يحرقون أمام أعيننا » .

ويقول الأستاذ زكى شنودة عن بوتامينا :

« هى عذراء من الإسكندرية كانت تحت رعاية العلامة « أوريجانوس » وقد حكم عليها بالموت بوضعها فى قدر مملوء بالزيت المغلى فظلت تموت موتاً بطيئاً ثلاث ساعات ثم أمسكوا أمها « مارسيلا » وقتلوها حرقا ... » .

٧ — اضطهاد كاراكلا سنة ٢١١ ميلادية :

تولى « كاراكلا » العرش سنة ٢١١ م فضاعف الجزية على المسيحيين فى مصر وقضى على من يقاوم الحكومة منهم بالصلب أو بأن يطرح للوحوش.

ومن الجنايات البشعة التى ارتكبها ضد المصريين أنه أقام احتفالا خارج الأسكندرية فلما خرج أهالى المدينة لمشاهدته أشار إلى جنوده ليجردوا

http://kotob.has.it

أسلحتهم وقضوا على جميع الحاضرين فى وحشية لا مثيل لها ، فلم ينج منهم إلا القليل ... »

٨ — اضطهاد مكسيميانوس سنة ٢٣٥ ميلادية :

حين جلس « مكسيميانوس » على العرش اضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً وخاصة فى مصر فاستشهد كثيرون فى عهده ، واضطر كثيرون إلى الفرار من وجهه ومنهم البابا « ياروكلاس » بطريرك الإسكندرية .

٩ — اضطهاد ديسيوس ٢٤٩ ميلادية :

كان الإمبراطور « ديسيوس » الذى جلس على العرش سنة ٢٤٩ ميلادية يكره المسيحيين كراهية شديدة وقد نكل بهم تنكيلا لم يسبق له مثيل ، وتفنن فى تعذيبهم بوسائل تقشعر من هولها الأبدان وقد قتل عشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال .

(ويقول القديس « أوسابيوس القيصرى : أنه فى فترة من فترات ذلك العهد قتل عشرة آلاف دفعة واحدة .

ثم يقول :

إننى رأيت عدداً كبيراً يقتل فى أحد الأيام حتى أن السيوف من كثرة ما استعملت فى ذلك اليوم تكسرت ولم تعد تقطع ، بينما أنهك التعب الجلادين ، فكانوا يتناوبون حتى يعمل البعض ويستريح الآخرون » .

ويقول القديس « ديونسيوس » بابا الاسكندرية الرابع عشر عن ذلك الاضطهاد :

« إنه كان من الفظاعة حتى لقد كان كفيلا بأن يزعزع أكثر المؤمنين استمساكا وثباتاً » .

http://kotob.has.it

ويصف بعض حوادث التنكيل فيقول :

«أمسك الوثنيون رجلا هرماً يدعى «مترا» وطلبوا إليه أن ينكر المسيح فرفض الرجل طلبهم فانقضوا عليه كالوحوش وراحوا يضربونه ضرباً مبرحاً ، ويدفعون مناخس فى وجهه وعينيه وهو ثابت القلب ، فلما يئسوا منه سحبوه إلى خارج المدينة وراحوا يرجمونه بالحجارة .

وأخذوا عذراء فاضلة اسمها : « أبولونيا » وحطموا عظامها وهددوها بالحرق إن لم تنطق بكلمات الكفر بإيمانها فتجلدت فطرحوها فى النار حتى صارت رمادا .

ويقول القديس : ديونسيوس » كذلك : « إن الخوف عم الجميع وقد فصل المسيحون جميعاً من خدمة الحكومة مهما كانت كفاءتهم أو مقدرتهم فى العمل » .

كما يقول « أوريجانوس » عن هذا الاضطهاد : « كان المقصود به القضاء على المسيحية قضاء تاماً واستئصال المسيحيين فى كل مكان » .

وفى عهد هذا الاضطهاد استشهد القديس مرقوريوس الشهير بأبى سيفين) اه .

١٠ — اضطهاد فاليريان سنة ٢٥٨ م :

أصدر الإمبراطور « فاليريان » أمره سنة ٢٥٨ ميلادية بقتل المسيحيين... فاستشهد فى عهده كثيرون ومنهم : سكستس أسقف روما ، وكبريانس أسقف قرطاجنة .

وقد لقى البابا « ديونسيوس » فى ذلك الاضطهاد عذابا شديدا .

وكان الوثنيون يشقون بطون أطفال المسيحيين ويخرجون أحشاءهم أمام آبائهم إمعاناً فى تعذيبهم » .

http://kotob.has.it

وقد كتب البابا «ديونسيوس» يقول :

«... قد أصبحت سيان عندنا أوقات الحزن والغم ، وأوقات الفرح والسرور التى لايكاد يراها أحد ولو فى المنام لكثرة توالى المصائب ،وتتابع النكبات حتى أصبح الإنسان لايقع نظره إلا على عيون دامعة وقلوب مفجوعة على أناس أتقياء كثيرين ماتوا .. فلو أنك مررت اليوم فى المدينة إذن لسمعت التنهدات والزفرات يكاد القلب ينفطر منها ألماً ووجيعة على قوم مشرفين على الهلاك يرون أبواب القبور مفتوحة تكاد أن تبتلعهم قبل أن تفارق الروح أجسامهم ... وكنت أتمنى لو يكون هذا كل البلاء ويقف المصاب عند هذا الحد مع ماحدث من أهوال تشيب لها النواصى، بل زادوا فى أنهم طردونا طرداً وراحوا يضيقون الخناق علينا حتى هلك أكثر من بقى منا . ومع ذلك فاننا لم نترك حقلا ولامغارة ولاسفينة ولا سجناً إلا اجتمعنا فيه منادين بكلمة الرب » ...

(وقد كانت نهاية « فاليريان » بشعة كأعماله ، فقد أسره الفرس فى الحرب وأهانه ملكهم إهانات بالغة ، وأذله إذلالا عظيما ، ثم أمر بسلخ جلده وصبغه بلون أحمر وعلقه فى هيكل الأوثان) .

١١ — اضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤ ميلادية :

وقد كان أقسى الجميع على المسيحيين هو الإمبراطور «دقلديانوس» الذى جلس على العرش سنة ٢٨٤ م ، فقد صمم هذا الإمبراطور على ألا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه، وفعلا نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه فى بحر من دماء الشهداء ، وقد هدم كنائس المسيحيين وأحرق كتبهم وقبض على أساقفتهم وأذاقهم كل صنوف العذاب وأغرقهم فى مذابح دامية لم يسبق لها نظير فى التاريخ ...

http://kotob.has.it

وقال « أوسابيوس » : ولقد شاهدت بعينى بينما كنت واقفاً بقرب النطع جماً غفيراً من المسيحيين جمعوا لينالوا الشهادة ولكن بطرق مختلفة ، فكان بعضهم يحرقون فى أتون النار ، وبعضهم تحز رءوسهم بالسيف ، وكانوا من الكثرة بحيث إن السيف قد ثلم حده من كثرة ما قطع من الرقاب ، وكذلك السيافون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يستردون أنفاسهم ... »

وقد قيل إن الذين استشهدوا فى هذا الاضطهاد الذى استمر عشرين عاما يبلغ عدد المليون ، مما دفع الأقباط أمام هذا الهول الأكبر لأن يخلدوا تاريخ من ذهبوا ضحيته من شهدائهم فبدأوا تقويمهم بسنة ٢٨٤ للميلاد ، وهى السنة التى ارتقى فيها «دقلديانوس» عرش المملكة واعتبروها السنة الأولى فى تاريخهم الذى أصبح يدعى تاريخ الشهداء ويبدأ من يوم ٢٩ أغسطس ٢٨٤ م

١٢ — اضطهاد غاليريوس سنة ٣٠٤ ميلادية :

كان « غاليريوس » صهر دقلديانوس جلس على العرش سنة ٣٠٤ بعد موت صهره وكان يرمى من وراء الاضطهادات القاسية أن يقضى على المسيحيين ولكنه كان كلما شدد النكير عليهم ازدادت المسيحية انتشاراً فأصدر أمراً جديداً فى سنة ٣٠٨م يقضى بمواصلة اضطهادهم فى غير هوادة ولا رحمة .

وكان حاكم مصر فى عهده «مكسيميان دازا» فكان أقسى الحكام فى تطبيق أوامر الإمبراطور ، وقد فتك بالمسيحيين فى مصر فقتل من قتل ومن بقى منهم حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ليسخرهم فى العمل فى المحاجر والمناجم ... »

١٣ — اضطهاد مكسيميان سنة ٣٠٥ ميلادية :

تنازل «غاليريوس» عن العرش لمكسيميان دازا سنة ٣٠٥ ميلادية ففاق

http://kotob.has.it

ففاق جميع من سبقوه فى القسوة على المسيحيين وراح ضحيته آلاف الشهداء الأبرياء .

وقد قال أحد المؤرخين « إن جثث القتلى كانت تحمل على عربات وتلقى فى البحر .

وقد استشهد فى هذا العهد البابا بطرس البطريرك الثامن عشر الملقب بآخر الشهداء .

http://kotob.has

نهاية عهود الاضطهاد

لم يحدثنا الأستاذ زكى شنوده فى كتابه : تاريخ الأقباط الجزء الأول عن الحلقة التى انتهى بها العصر الرسولى وانتهاء الاضطهادات ، بل إنه ذكر فقط أن البابا بطرس الثامن عشر هو آخر الشهداء ... لكنه لم يشرح لنا إلى أين انتهت عصور الاضطهادات وعبرت المسيحية إلى شاطىء الأمان ؟

وكذلك فعل الأستاذ ميشيل جرجس فى كتابه : الكنيسة المصرية ... غير أنه لم يعرض عهود الاضطهادات بالقدر والكم الذى عرضه الأستاذ شنودة ولكنه أشار إلى اتفاق المؤرخين على أن أشهر الاضطهادات التى وقعت للمسيحيين عامة والأقباط خاصة من منتصف القرن الأول إلى أوائل القرن الرابع هى الأربعة التالية :

١ — اضطهاد نيرون سنة ٦٤ م .

٢ — « تراجان سنة ١٠٦ م .

٣ — « ديسيوس من سنة ٢٤٩ إلى ٢٥١ م .

٤ — « دقلديانوس سنة ٣٠٢ م .

وإذا كانا الأستاذان : شنودة ، وميشيل لم يوضحا لنا الحلقة الضائعة بين قسوة عهود الاضطهاد التى سميت فى تاريخ الكنيسة باسم : بالعصر الرسولى « وبين عهد الهدوء والأمان الذى بدأ به العصر الذهبى فإن المسيو شارل جنيبيير يوضح ذلك فى دراساته التحليلية للمسيحية وتطورها فيقول : ... هيأت الظروف الحل الوسط ، كما ساعدت على الإسراع به : فقد انتهى الأمر بالامبراطور « جالير » — وكان أشد المضطهدين للمسيحية حماساً — عام ٣١١م إلى أن تكشف له عقم جهوده ، فاضطر إلى التراجع أمام العقبات التى أثارها

http://kotob.has.it

لحكمه عناد الكنيسة الهائل واستسلم لفكرة التسامح مع المسيحيين ... ثم مات بعد ذلك بفترة قصيرة .

ثم أصبح موته مجالا لتنافس عدد كبير من طالبي الحكم الذين حاول كل منهم استرضاء الأنصار وكسب أكبر قدر على التأييد بين طوائف الشعب المختلفة .

وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة تستطيع أن تبيع تأييدها ...

وكان أحد المتنافسين على العرش وهو « قسطنطين » رجلا موثوقاً به لديها — ولم يكن « قسطنطين » قد تحول بعد إلى المسيحية — غير أنه كان ذا فكر تأليفي واسع الآفاق ، وكان مثله فى ذلك مثل أبيه . « قسطنطين كلوروس » الذى يرى أنه تجاهل خلال ولايته لبلاد « الجول » آخر قوانين الاضطهاد — كان يوفق فى رحاب ضميره بين احترامه لدين الأجداد العتيق وبين خوفه من إله المسيحيين .

ثم كان بالإضافة إلى ذلك يصل الكثير من القسس الذين اعتادوا التردد على أبيه ويدرك مدى استعدادهم لمؤازرة الحكام .

ويعرف تمام المعرفة أنهم ليسوا بالذين يرفضون — فى الواقع العملى — التنازل للدولة عن أهم ما تطلب منهم التنازل عنه فى سبيل الحفاظ على مقومات الحكم ...

وأخيراً ، فقد نمى إليه أن منافسة « ماكسانس » كان يدعم قوى جنده الوافر العدد الشديد البأس بتأييد سائر الآلهة الوثنية الذين أقام لهم الصلوات وذبح لهم القرابين ، بل ونمى إليه أيضاً أن هذا الأمير نفسه كان يستعين بالسحر والسحرة .. فلم يبق لقسطنطين إلا أن يستعين بالمسيحية ،.. وعلى أى حال فقد انتصر على منافسيه وظن أن فى انتصاره فضل للمسيح ، واجتمع له من عرفان الجميل والإيمان وحسن التدبير السياسى ما أوحى إليه

http://kotob.has.it

عام ٣٢٢ برسوم (ميلانو) ذلك المرسوم الذى أفسح مكاناً لإله المسيحيين بين آلهة الدولة المعترف بهم ، والذى أراد أن يجعل جميع الأديان متساوية فى الدولة على أساس حرية الضمير ...

وكانت الكنيسة المسيحية قد اضطرت بحكم تطور الظروف وبحكم شعورها العملى بواقع الحياة إلى التنازل عن شىء من تعصبها وحزمها أمام متطلبات المجتمع ...

ومنذ نهاية عهد قسطنطين أصبح من المحتمل وقوع الاتحاد بين الكنيسة والدولة .... اهـ

* * *

هكذا تنقل إلينا الكتب المسيحية عن طريق كتابها المسيحين المتعصبين حياة النشأة لهذه العقيدة ، وقد ولدت فى جو من الإرهاب لم يستطع يسوع منذ ولادته أن يستقر إلى أن رفع على خشبة الصليب ثم تتابعت الأحداث من بعده .

فبعد أن كانت دعوة يسوع : قرب حلول مملكة الله غير التلاميذ مفهوم الدعوة إلى عودة يسوع .

ومع تمسكهم بما تصورة العقيدة التى لم يدم لها صفاؤها الأول فقد نالوا من الاضطهاد ما أدخلهم القبور شهداء .

ثم كان نصيب الرسل من بعد الحواريين كذلك فرغم ما بذله بولس من عقيدة عودة يسوع إلى فكرة الخلاص ، وفصل المسيحية عن اليهودية وإلغاء شريعة موسى وإلغاء الأحكام التى ارتبط بها العهد القديم والعهد الجديد إرضاء لغير اليهود من الذين أحبوا دخول مسيحية بولس ... رغم كل ذلك فقد قتل بولس فى تلك العهود الظلماء واستمر القتل حتى عام ٣١١ م .

http://kotob.has.it

وفى تلك الأحقاب كتبت الأناجيل وكتب رسائل وسط الاشلاء الممزقة والرؤس المقطعة والدماء المتراكمة والسجون الغاصة ، والتعذيب المستمر ، والتستر الخفى .... فهل يقبل عرف أو تاريخ أو عقل أن يصدق خروج سند متصل أو ملة صحيحة فى هذه البيئة ؟

ونحن نسأل دون تعصب :

* هل يمكن إثبات سند متصل لشىء كتب فى هذه الأحقاب ؟

* هل وجدت ملة عيسى نصيباً لها من الوجود حين حياته أو فى حين آخر غير حياته ؟

هل الرسائل والأناجيل التى دونت فى عهد الاضطهاد تحمل صفة الكتاب المقدس المنزل من عند الله .

* هل فى ظل التعذيب الذى شمل المسيحيين فى فارس والحبشة وأثينا ومصر ... التى يمكن أن يوصف أو يتصف المؤلف بالحيدة العلمية ، والقدرة على التذكر ؟

* أما عن ضياع السند المتصل وعن الأناجيل فيقول شارل جنيبير :

وأول الصعاب التى تعترضها نجدها فى النصوص نفسها التى تمتاز عن سائر النصوص الأخرى لضعف السند وبالاضطراب وعسر التحقيق ، وأقدم هذه النصوص وأهمها هى تلك التى احتواها « العهد الجديد » ،..

ويقول أيضاً : فى كتابه : صخرة الحق :

إن الأناجيل الحالية لم تستقر إلا فى قرن الرابع الميلادى عقب مجمع قرطاجنة » .

* وأما عن ملة عيسى يقول شارل جنيبير :

http://kotob.has.it

ويجب علينا أن لا ننسى أنه لم يؤسس شيئا ، لم يأت بدين جديد ، ولا حتى بأى من طقوس العبادة جديد ، لم يأت إلا بتصور شخصى فريد للتقوى فى إطار الديانة اليهودية .

وكانت فكرة قرب حلول مملكة الله الفكرة الأساسية فى دعوة عيسى، أما دعوة الحواريين فقد تحولت إلى فكرة مركزة هى أن عيسى هو المسيح الموعود وإلى قرب عودته لهذه الدنيا .

لم يؤمن اليهود بعيسى أثناء حياته فكيف يتعلقون به الآن وقد تجمعت الدلائل على أنه غرر حتى بنفسه ، فلم يستطع لها نجاة يوم التعذيب بل مات يائسا والناس تنظر إليه .

• وأما عن الرسائل والأناجيل ووصفها بالكتاب المقدس المنزل من عند الله فقد كفونا الكلام فى ذلك فاعترفوا بأنها ليست بذات صلة بالمسيح وإنما هى من توليفات كاتبيها . . .

وأما عن الحيدة العلمية فتلك دعاية لم يقيموا عليها من بعد دليلا ...

http://kotob.has.it

الفصل الثالث

- المصادر .
- والمجامع .

« وتصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى « تركيبات » واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم بل على العكس من ذلك « اتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه » .

« شارل جنيبر »

وكتب العهد الجديد فى الأصل باللغة اليونانية « زكى شنودة »

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

أولا ـ المصادر

العهد القديم — العهد الجديد الرسائل ...

يقول الأستاذ ميخيل جرجس فى كتاب : الكنيسة المصرية :

« الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التى كتبها رجال الله القديسين بإلهام الروح القدس فى أوقات مختلفة ، وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه ...

والكتاب المقدس قسمان رئيسيان : العهد القديم ، والعهد الجديد :

أولا : العهد القديم :

ويشمل أخبار العالم فى عصوره الأولى وأجياله القديمة ، ويتضمن شرائع اليهود الأدبية والدينية وتاريخ نشأتهم وحكوماتهم وحوادثهم، ويحتوى النبوءات الموحى بها عن أمور متعددة منذ سقوط الإنسان إلى نهاية العالم .

وأهمها النبوءات الخاصة بيسوع المسيح .

وبه (٤٥) سفراً مقسمة إلى خمسة أقسام كبرى :

(ا) ناموس موسى أو أسفار الشريعة التى كتبها موسى فى برية سيناء ، وعددها خمسة وهى :

التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد ، تثنية الاشتراع .

(ب) أسفار تاريخية وعددها (١٦) ...

(ج) أسفار شعرية وهى ستة .

(د) أسفار نبوية وهى قسمان :

الأول الأنبياء الكبار وعددها أربعة ...

الثانى الأنبياء الصغار وعددها (٢) ...

(ه) أسفار تعليمية وعددها اثنان .

http://kotob.has

ويقول الأستاذ زكى شنودة :

أما العهد القديم فيشمل أخبار العالم منذ بدء الخليقة ويتضمن تاريخ اليهود وملوكهم ، وشرائعهم ، وأنبياءهم وما تنبئوا به ويضم ٤٦ سفراً تندرج تحت خمسة أقسام كبرى ... إلخ ما ذكره .

وفى العدد الذى ذكره كلاهما اختلاف .

فعند ميخائيل ٤٥ سفراً .

وعند شنودة ٤٦ سفراً .

وقد رجعت إلى كتاب العهد القديم المطبوع فى لندن (كمبردج) فوجدت الأسفار فيه ٣٩ سفراً .

ولا يهمنا اختلاف العدد فى كثير ولا فى قليل ولكن الذى يهمنا أن هذه الأسفار لم تكن معتمدة بادىء ذى بدء عند القوم بل أخذت منهم جهداً طويلا حتى استقروا على المعتمد منها فى زعمهم .

وإذا رجعنا إلى دراستنا عن بولس نجده قد بدل شريعة الختان وأفتى بتركه لغير اليهود .

كما أنه ادعى أن ماجاء به عيسى قد نسخ ماجاء به موسى .

فكيف يتخذ المسيحيون العهد القديم مصدراً للمسيحية ؟

رغم أن اليهود يختتنون ، ويطلقون وشريعتهم لهم خاصة .

فإذا أضيف إلى هذا أن اليهود لم يؤمنوا بعيسى حال حياته كما يقول شارل جنيبر عن علاقة اليهود بعيسى :

« لم يؤمن اليهود بعيسى أثناء حياته ... » .

وعن عمل بولس فى تطوير ملة عيسى :

« فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح ، بل بأن هذا المسيح أتى خصيصاً ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد ... » .

http://kotob.has.it

وقد ذكر الأستاذ شنودة أن اليهود قد اشتركوا مع اليونان فى قتل أسقف أفسس عام ٦٧ ميلادية .

وذكر الأستاذان شحاته ونقولا خورى : « أن الفترة من سنة ١٠٦ — إلى سنة ١٣٤م لا يعلم شىء عنها فيما يتعلق بحياة ثلاثة عشر أسقفاً تولوا كرسى أسقفية أورشليم بالنظر لاضطهاد اليهود لهم ويقول :

إلا أنه من الثابت المحقق أن معظمهم قتل شهيداً .

ويذكر الأستاذ شنودة قصة استشهاد يعقوب الرسول فيقول :

« وقد استاء رئيس كهنة أورشليم من انتشار المسيحية على يد يعقوب فأجبره على الصعود فوق جناح الهيكل كى يشهد أمام اليهود ضد المسيح فوقف وقال لهم : إن يسوع جالس الآن فى الأعالى عن يمين الرب ، فألقوه من فوق جناح الهيكل ثم رجموه حتى مات ... إلخ .

* فإذا كان اليهود لم يؤمنـــوا بالمسيح بل طالبوا بصلبه كما جاء فى الفقرة ٢٠ و ٢١ (من الإصحاح ٢٧ متى)

* وإذا كان اليهود يشتركون بعنف فى قتل رسل المسيحية .

* وإذا كان بولس قد أفتى بأن المسيحية نسخت اليهودية .

* وإذا كان بولس قد ألغى شريعة الختان الموجودة بالنص فى الإنجيل ، والتى طبقها يسوع أو طبقتها أمه عليه . . .

* فكيف تكون التوراة بأسفارها مصدراً للمسيحية ؟

ومعنى اتخاذها مصدراً . . . رغم أن شريعتها منسوخة بالإفتاء ، وبالسلوك العقلى ؟

http://kotob.has.it

• وكيف تتخذ أسفار العهد القديم مصدراً للمسيحية وفيها شريعة الطلاق التي هاج بها القوم .

يسوع في الاصحاح (١٩) التاسع عشر الفقرات (٦ ، ٧ . ٨/١٩)

• وأين دليل المصدرية ؟

إن قلتم قال متى في إنجيله على لسان يسوع :

« لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل » .

(٥/١٧ متى)

فإنه يقال لكم رداً على هذا :

لقد نقض « بولس » مؤسس المسيحية بعد الحواريين شريعة موسى .

بقوله : بعدم وجوب الختان .

وبقوله : نسخت شريعة عيسى شريعة موسى .

فمن أين لكم الحجية بأن العهد القديم مصدر للمسيحية ؟

ترجمة العهد القديم :

يرجع الفضل الأكبر في ترجمة العهد القديم إلى جهود القديس «جيروم» الذي قام بترجمته من اللغة العبرانية إلى اللغة اللاتينية .

وتسمى نسخته هـــذه بالفولجاتا ، وقد ظل يعمل فيها حتى وفاته عام ٤٢٠ م .

ويعتبر الكتاب المقـــدس متعلقاً عليه حتى عهد الإصلاح عام ١٤١٤ م .

http://kotob.has.it

غير أن الترجمة فى ذلك الزمن السحيق كان يعترضها كثير من العقبات وفى مقدمتها عدم وضوح النص المكتوب .

فقد تعرضت اللغة اللاتينية إلى تغيرات ضخمة فى القرون الواقعة بين عهد : تا كتيوس سنة ٥٥ — ١٣٠ م .

وعهد اعسطيتوس سند ٣٥٤ — ٤٣٠ م .

فإن التبشير المسيحى أدخل ألفاظا جديدة من أصل يونانى ، كما استحدث تعبيرات لم تكن معروفة من قبل . فنجم عن ذلك تغيير فى اللغة اللاتينية ويبدو الفارق واضحا بين اللغة اللاتينية الفصحى كما كتبها (شيشرون) ، واللغة اللاتينية الدارجة التى استخدمها كتاب العصر المسيحى منذ عهـــد « ترتوليان » سنة ٢٠٠ فصاعدا .

كما أن تدهور مستوى الخط فى المخطوطات والوثائق الحكومية فى العصور القديمة جعلت حالة الترجمة غير موثوق فيها كما يدل على ذلك بوضوح خطأ الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس على نحو ماذكره (ج . و . طس) فى كتابه العصور الوسطى المطبوع فى لندن[1].

النسخ الخطية للكتاب المقدس :

١ — نسخة الاسكندرية ، وتشتمل أربعة مجلدات ضخمة الثلاثة الأول منها للعهد القديم ، والرابع للعهد الجديد .

وقد أجمع العلمـاء على كتابتها فى القـرن الرابع الميلادى المدنيـة الاسكندرية .

---

1 — Tho :cn: Vol. 2 794—795

http://kotob.has.it

٢ — نسخة الفاتيكان : ويؤكد العلامة (مونتفكون) والعلامة (بلانقيني) أنها كتبت في القرن الخامس وهي الآن محفوظة بالفاتيكان ولا يعبهها إلا نسخة الاسكندرية .

٣ — النسخة السينائية : وقد اكتشفها العلامة (تشيدرف) الألماني ، وقد كتبت في القرن الرابع .

٤ — النسخة السبعينية : وهي النسخة التي استدعى لها « بطليموس فيلادلفوس » سبعين من أحبار اليهود إلى الاسكندرية عام ٢٨٠ ق.م ليقوم كل منهم على حدة بترجمة التوراة من العبرانية إلى اليونانية ثم يقابلوا بعض تراجمهم على بعض وذلك ليصححوا تراجمهم المنفردة .

الترجمة إلى اللغة العربية :

يقول الأستاذ شنوده :

أما عن الترجمة إلى اللغة العربية : فيذهب البعض إلى أن أول ترجمة للعهدين معاً كانت عام ٧٥٠ ميلادية بمعرفة « يوحنا » أسقف أشبيلية بأسبانيا نقلا عن اللاتينية إلا أن ذلك غير مقطوع به ...

قيمة هذا المصدر عند الباحثين :

* قال « وستن » : إن كتاب : « نشيد الإنشاد » ، هو عبارة عن غناء فسق لا بد أن يخرج من الكتب الإلهامية .

* وقال « سملران » : كتاب الإنشاد كتاب مصطنع .

* قالت هيئة العلماء المسماة : « راشنلشت » أن هذه الكتب . محرفة ولا يمكن الاعتماد عليها وكم ألفوا من الكتب والرسائل يستهزؤن فيها بكتب العهد القديم .

http://kotob.has.it

* ثمانية كتب من العهد القديم كانت غير مقبولة عند المسيحيين إلى عام ٣٢٤ وهى :

كتاب استير

» باروخ .

» طوبيا .

» يهوديت .

» وزدم .

» ايكليزياستيكى .

الكتاب الأول لمقابيين .

» الثانى لمقابيين .

وفى عام ٣٢٥ ناقش مجمع تنفيذ صحة هذه الكتب فرفضها كلها ماعدا كتاب « يهوديث » وبقيت الكتب الأخرى فى موضع الشك والريبة على نحو ماذهب إليه (جيروم) ... الخ .

ومن هنا يبدو واضحاً أن العهد القديم لم يحتل مكانة تاريخية ولا دينية عند المسيحيين الأول ، فقد ظل زهاء ثلاثة قرون وفى كثير من أسفاره شك وريبة .

وإن أشد مايندهش له الإنسان أن يكون العهد القديم محترما عند المسيحيين ، دون مقابل من عند اليهود لحرموا الأناجيل .

— إن اليهود سعوا إلى صلب يسوع .

— واشتركوا فى قتل المبشرين والرسل .

http://kotob.has...

وإن المسيحيين بعد الحواريين يعلنون نسخ شريعة موسى بما جاء به يسوع .

ويذهب بولس فى تطويره للمسيحية إلى الاعتداء على الناموس اليهودى ... ومع ذلك فإن القوم يقولون إن العهد القديم مصدر لنحلتهم ..

وما دامت هى نحـــلة لهم فلهم مايشاءون فى اختيار مايحلو لهم من مصادر . . .

http://kotob.has.it

ثانيا : العهد الجديد

يقول الأستاذ شنودة :

وأما العهد الجديد فيتضمن سيرة السيد المسيح وأعمال رسله ورسائلهم ، ونبوءاتهم .

وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ — أسفار تاريخية وهى أناجيل : متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، وسفر أعمال الرسل .

٢ — أسفار تعليمية وعددها (٢١) سفرا .

٣ — سفر نبوى وهو رؤيا يوحنا اللاهوتى .

وعبارة الأستاذ ميخيل جرجس : العهد الجديد ، وهو مجموعة المصنفات المقدسة التى ختم فيها ميثاق الميراث السماوى للمسيحيين بأنهم أبناء يسوع المسيح . . . وبه ٢٧ سفرا منقسمة إلى ثلاثة أقسام ... الخ .

والذى يقوله الأستاذ شنودة والأستاذ ميخيل هو ما استقر عليه الرأى الأخير بين المسيحيين فى أوائل القرن الرابع الميلادى .

أما قبل ذلك فهناك فترتان :

الفترة الأولى : عدم وجود لأنجيل .

لأن متى بدأ بكتابة أول إنجيل عام ٣٨ على حد زعمهم .

الفترة الثانية : وجود كثرة كثيرة من الأناجيل .

http://kotob.has.it

فعند المرقيون إنجيل .

وعند أصحاب ديصان إنجيل يخالف الإنجيل الذى قبله .

وعند أصحاب مانى إنجيل .

وعند تلامس إنجيل يسمى : إنجيل السبعين .

وهناك أناجيل أخرى منها .

إنجيل معروف باسم التذكرة .

وإنجيل سرن تهس .

والإنجيل الأغنسطى .

وقد أجمع مؤرخو المسيحية على وجود هذه الكثرة من الأناجيل يقول آدم كلارك :

الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أول القرون المسيحية ، وكثرة هذه الأناجيل الكاذبة غير الصحيحة هيجت « لوقا » على تحرير إنجيله . ويوجد أكثر من سبعين انجيلا من الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية .

« ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى أن تحافظ على الأناجيل التى ادعت أنها صادقة — فى اعتقادها — فاختارت أربعة أناجيل من الأناجيل الشائعة .

وأول من ذكر الأناجيل الأربعة : « متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا » عام ٢٠٩ م هو « أوينيوس » ثم جاء من بعده « كليمنس اسكندر يانوس » عام ٢١٦م وأفتى بأن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم ، ثم حملت الكنيسة

http://kotob.has.it

شعبيا على اعتقاد صحتها هى فقط ورفض غيرها حتى صارت تلك الأناجيل هى المصدر المعتبر دون سواها .

والكاتبون المسيحيون يقرون أن هذه الأناجيل لا صلة لها بإملاء يسوع .

وليس لديهم ما يجعلهم يميلون إلى غير هذه الحقيقة لأن بطرس الحوارى أنكر يسوع ساعة المحاكمة كما جاء فى إنجيل يوحنا .

فقالت الجارية ألست أنت بطرس من تلاميذ هذا الإنسان قال ذاك لست أنا . ١٨/١٨ يوحنا

وسمعان بطرس كان واقفاً يصلى فقالوا له ألست أنت أيضاً من تلاميذه فأنكر وقال لست أنا . ٦٨/٢٥ يوحنا

قال واحد من عبيد رئيس الكهنة ... أما رأيتك أنا معه فى البستان فأنكر بطرس أيضاً . ١٧/٢٧/٢٦ يوحنا

وإذا كان الانجيل الرابع والأخير يصور بطرس غير وفى بإنكاره تلمذته ليسوع فان الإنجيل الأول المنسوب إلى متى يقر بذلك أيضاً يقول :

« والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ ، وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل إلى داخل وجلس بين الخدم لينظر النهاية » . ١٧/١٨/٢٦ متى

أما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلى فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدرى ما تقولين ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى ، فأنكر أيضاً بقسم إنى لست أعرف الرجل .

http://kotob.has

وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فان لغتك تظهرك ، فابتدأ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل . ٦٩/٧٤/٢٦

فبطرس ينكر أنه من أتباع يسوع .

ثم يقسم أنه ليس من أتباع يسوع .

ثم يلعن يسوع ويلعن أتباعه ويقسم أنه ليس منهم .

وإذن فليس عند المسيحية شبهة فى أن الصلة منقطعة تماما بين الأناجيل الأربعة وبين يسوع ، بل وبين الحواريين وبين يسوع لأن الكل حتى بطرس انكر صلته بيسوع ، وموقف بطرس هذا يظهر نزول الروح القدس على السبعين اختلافاً محضاً .

وظروف المحاكمة والاضطهاد وثورة اليهود التى تتعقب أتباع يسوع تمنع من تحقق الاملاء كما تمنع من شبهة إجازه شىء يكتب لذلك الانكار المتكرر من بطرس تجاه تبعيته ليسوع ...

وسوف نتحدث عن الأناجيل الأربعة إن شاء الله من واقع ما كتبه المسيحيون المتعصبون .

انجيل متى

(الإنجيل الأول)

كاتبه :

كاتبه : متى ويدعى لاوى بن حلفى ، وكان من العشارين أى جباة العشور وهى الضرائب لحساب الدولة الرومانية ، كان يعمل «صرافا» فى كفر

http://kotob.has.it

ناحوم إذ مر به يسوع وقال اتبعنى فترك كل شىء وقام وتبعه ثم اختاره يسوع بعد ذلك ضمن الاثنى عشر تلميذا .

ووظيفة العشار هذه وظيفة يمقتها اليهود وينظرون إلى صاحبها على أنه ظالم أو على الأقل : عنيف الطبع بل كانت وظيفة محتقرة عند اليهود كما ذكر ذلك الأستاذ ميشيل .

وفى الاصحاح التاسع من هذا الإنجيل مايفيد اختيار متى تلميذاً ليسوع قال:

« وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى ، فقال له : اتبعنى ، فقام وتبعه . ٩/٩

سبب الكتابة :

يقول الأستاذ زكى شنوده .

وبعد صعود السيد المسيح طلب المؤمنون أن يكتب لهم الإنجيل باللغة الآرامية فأجابهم إلى طلبهم فقد كتب هذا الإنجيل بناء على طلب . . .

لغة التدوين :

يختلف الكتاب فى اللغة التى كتب بها متى انجيله .

فيذهب الأستاذ ميشيل جرجس إلى أن لغة التدوين كانت عبرية .

ويذهب الأستاذ شنوده إلى أنها كانت باللغة الآرامية .

ويرى « جيروم » وابن البطريق أن متى كتب إنجيله باللسان العبرى فى بيت المقدس للمؤمنين من اليهود .

وهم وإن اختلفوا فى لغة التدوين فانهم متفقون على أن أقدم نسخة لهذا الإنجيل كانت باللغة اليونانية وأنها ضاعت .

http://kotob.has...

تاريخ تدوينه وترجمته :

• يرى ابن البطريق: أن متى دون انجيله فى عهد قلوديوس قيصر الرومان ولكنه لم يعين السنة التى تم فيها أو التى بدأ فيها تدوين الانجيل .

ويدعى أن الذى ترجم إنجيل متى هو يوحنا فيقول «فى عصر قلوديوس» كتب « متاوس » انجيله بالعبرية فى بيت المقدس ، وفسره من العبرية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل . والملك « قلوديوس » متأخر كثيراً عن عصر يسوع ، فالذى عاصر يسوع وصلبه كما يقولون هو « طيباروس » والذى تولى من بعده « غابيوس » ثم جاء من بعده الملك « قلوديوس » .

وإذا لاحظنا أن غابيوس ملك أربعة أعوام ، وأن قلوديوس ملك من بعده أربع عشرة سنة فيكون الوضع المتحقق أن الإنجيل كتب بعد صلب يسوع ، وأن بدأ تدوينه أو الانتهاء منه دائر حول فترة حكم الملك « قلوديوس » .

• ويرى جرجس زوين اللبنانى أن متى كتب بشارته فى أورشليم سنة ٣٩ م وعزى هذا الرأى إلى القديس « ايريموس » .

فنى رأى « زوين » أن التدوين كان عام ٣٩ م ، ولكنه لم يذكر لنا من هو المترجم .

• ويرى الدكتور « بوست » أن متى كتب إنجيله قبل خراب أورشليم وكانت لغة تدوينه باليونانية .

وبهذا يخالف الدكتور « بوست » رأى من قال إن متى كتب إنجيله بالعبرية ، أو بالسريانية ، ثم يذكر زمناً مشاعاً لتاريخ التدوين ، فإن أورشليم

http://kotob.has.it

خربها « تيطس » عام ٧٠ م كما زحف بجيشه لمحاربة اليهود لحاصر أورشليم ودمرها حتى الأساسات وخرب الهيكل .

وفى هذه الظروف حاول اليهود التقرب من حكام الرومان فوشى والى اليهودية بأسقف أورشليم سمعان أخو يعقوب الوسول لحكم عليه بالصلب .

والذى يؤكد شيوع زمن التأليف سرد قصة حياة متى فقد ذكر الأستاذ شنودة : أن متى كتب إنجيله باللغة الأرامية إجابة إلى طلب المؤمنين . وقد بشر فى فلسطين وصور وصيدا ، وانطلق إلى بلاد الحبشة وصنع بها عجائب كثيرة فآمن على يديه كثيرون ومن ثم أطلق الملك عليه جنوده فأمسكوه وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات » .

ولاشك أن هـــذه القصة تجعل من تاريخ تدوين إنجيل متى صعوبة فى التعرف على زمنه .

وهل الإنجيل الذى كتبه متى إلى المؤمنين فى بيت المقدس أو فى فلسطين هو بعينه الذى كان يبشر به فى الحبشة ؟

وهل كانت نسخة واحدة تلك التى كتبها إلى المؤمنين ؟

أم كان هناك نسخ أخرى إلى البلاد التى كان يعمل فيها على نحو ماعرفنا من نشاطه فى رحلاته إلى عديد من البلدان ؟

إن ذلك لما يضع تاريخ التدوين ، والترجمة فى ارتباك وحيرة وغموض وإبهـام .

ولهذا لايدهشنا أن تتعدد الآراء وتختلف ، وتتداخل ، ففى ذخيرة الألباب » حدد سنة التدوين بعام ٤١ م ولـكنه يطلق الألفاظ هائمة فيما يتعلق بلغة التدوين فيقول :

http://kotob.has

« إنها اللغة المتعارفة بين الشعب الفلسطيني آنذاك وهى إما العبرية أو السيروكلدانية ، ثم ترجم إلى اليونانية ثم لعبت به أيدى النساخ فضاع .

وإذن . فها أنت تلاحظ أن الإنجيل الأول : إنجيل متى

مجهول التاريخ

مجهول اللغة

مجهول المترجم

وأنت ترى مع هذه المجهولات فى أساسيات إثبات نسبة كتاب خطير كهذا إلى مصدرية المسيحية أن هناك إتفاقاً حول :

* أنه كتب بطلب المؤمنين من اليهود .

فهو مكتوب تحت باعث إنسانى .

وهو مكتوب لأمة خاصة هى أمة اليهود .

* وأن النسخة الأصلية معترف بضياعها أو على الأقل بعدم إمكان العثور عليها .

* كما ترى أن قصة حياة متى وتطوافه ونهايته الأليمة لا تساعد على تحقيق أى من المجهولات التى تجعل من نسبة إنجيله إلى مصدرية المسيحية أمراً غريباً ... ولذا فإننا نرى المستر « هورن » يقول :

ألف الإنجيل الأول سنة : ٣٧ أو سنة : ٣٨ أو سنة : ٤١ أو سنة : ٤٣ أو سنة : ٤٨ أو سنة ٦١ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد

أفليس من العجب إدعاء أن هذا كتاب مقدس ؟

http://kotob.has.it

انجيل مرقص

(الإنجيل الثانى)

كاتبه :

• يقولون : إن كاتب إنجيل مرقص اسمه يوحنا ويلقب بمرقص وأصله من اليهود القاطنين فى شمال أفريقيا ثم هاجر أبواه إلى فلسطين وأقام فى أورشليم وهو ابن أخت برنابا كما جاء فى رسالة بولس إلى أهل كولوسى :

(ومرقص ابن أخت برنابا) ١٠ / ٤

ومع أنه من أوائل الذين آمنوا بالمسيح لكنه لم يعد من الحواريين لأن المسيح إختاره ليكون من ضمن السبعين رسولا .

ذكر فى تاريخ الأمة القبطية أن الطوائف المسيحية أجمعت على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته ، وأنه فى بيت مرقص أكل الفصح مع تلاميذه وفى إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ .. يقول سفر الأعمال إن الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون فى بيته ، يقول فى تاريخ الأقباط : وقد بشر فى أنطاكية وآسيا الصغرى والخمس مدن الغربية ، ثم قصد إلى مصر فأسس كنيستها ، وكان أول بطريرك لها ثم غادرها إلى روما حيث وقع فى الأسر مع بولس ... كما وضع القداس الذى اقتبس منه بعد ذلك القديسون ... ثم عاد إلى الإسكندرية فأسس فيها أول مدرسة لاهوتية ...

وظل بمصر حتى قتله الوثنيون عام ٦٢

غير أن سفر الأعمال يروى قصة مفارقة مرقص لبولس بناء على مشاجرة بين برنابا خال مرقص وبولس من أجل مرقص كبشر بعدها أخذ برنابا

http://kotob.has

مرقص وسافرا معا إلى قبرص : يقول . لحصل مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقص وسافر فى البحر إلى قبرص ،وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعاً من الأخوة » ٣٦/٤١ فمرقص فى رأى بولس لا يصلح لمصاحبة برنابا وبولس للتبكريز أما برنابا فهو الذى اصطحب مرقص معه للتبكريز فى قبرص وبولس إتجه وحده إلى سورية ..

* ويقول ابن البطريق أن بطرس رئيس الحواريين هو الذى كتب إنجيل مرقص فى مدينة « رومية » ثم نسبه إلى مرقص

* وفى مرشد الطالبين : أن إنجيل مرقص كتب بتدبير من بطرس عام ٦١ من أجل أن يستخدمه بطرس فى تبشيره .

* ويصرح (جيروم)[١] أن بعض المتقدمين فى العلماء كانوا يشكون فى الباب الأخير من إنجيل مرقص .

سبب الكتابة :

يذكر فى كتاب : « مروج الأخبار فى تراجم الأبرار »

أن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحوارى ، وأنه صنف كتابه بطلب من أهالى رومية . ويجدر بنا هنا أن نذكر أن برنابا وبطرس كلاهما هوجم من بولس ، قال فى رسالته إلى غلاطية :

« ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما » .

(١/الإصحاح الثانى)

ورأى معه باقى اليهود أيضاً حتى إن برنابا أيضاً إنقاد إلى ريائهم، لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجمع : إن كنت وأنت يهودى تعيش أمياً لا يهودياً فلماذا تأمر الأمم أن

(١) جيروم هذا هو أحد الآباء الذين كلفوا فى القرن الخامس الميلادى لوضع نظام علمى للاهوت يقنع المثقفين الذين ألفوا التفكير الكلاسيكى ، راجع
Ouchesne : oe crt. Tome. III ; p. 18

http://kotob.has.it

يتهودوا نحن بالطبع يهود ولسنا خطاه ١٥/١٢ الإصحاح الثانى

فما قاله فى كتاب : مروج الأخبار فى تراجم الأبرار ، له سند من كتابات بولس نفسة فمعروف فى المصادر المسيحية أن الرسالة الموجهة إلى أهل غلاطية هى من تأليف بولس . والذى يدلنا على أن مرقص لم يقل بأن يسوع إله حادثة الاسكافى المصرى التى رواها الأستاذ شنوده : قال :

وكان أول من بشره مرقص إسكافياً اسمه (انيانوس) إذ كان حذاؤه حين وصل إلى الاسكندرية قد تهرأ من طول المسير فمال إلى هذا الإسكافى ليصلحه ، وحدث بينما كان هذا يستعمل المخرز أن أصاب يده فأدماها فصاح قائلا : « أيها الإله الواحد » ، فأخذ مرقص يده وشفاها ثم راح يبشره بذلك الإله الواحد الذى هتف باسمه وهو لا يعرفه فآمن الإسكافى بكلامه ودعاه إلى بيته ، وجمع له أقاربه وأصحابه فبشرهم .

لقد صادفت صيحة الإسكافى المصرى « أيها الإله الواحد » المعنى الرفيع الذى يعتقده مرقص وهو الله الواحد ..

فإذا أضيف إلى هذا أن مرقص ابن أخت برنابا ، وأنه ابن عم زوجة بطرس الرسول كما ذكر ذلك زكى شنوده فإنه لم يكن من المستبعد أن يقول مرقص بأن المسيح ليس إلها فقد قال بذلك برنابا كما هو مشهور فى إنجيله ، وكما قال بذلك بطرس الذى سبه بولس لأنه يخالف تعاليم إنجيله الذى يدعى أنه تلقاه من المسيح مباشرة .

وإذن فلا غرابة ولا عجب مستقبلا إن رأينا أريوس المصرى يقول بأن عيسى مخلوق وليس إبنا لله وأن الله واحد لا شريك له ولا ولد .

http://kotob.has.it

لغة التدوين :

• يرى زكى شنوده أن مرقص كتب إنجيله بلغة اليونان يقول :

وقد كتب إنجيله باللغة اليونانية .

• ويرى الدكتور بوست فى كتابة: قاموس الكتاب المقدس أن انجيل مرقص كتب باللغة اليونانية وشرح فيه بعض الكلمات باللغة اللاتينية .

فلا خلاف بينهم فى اللغة التى دون بها إنجيل مرقص وأنها كانت اليونانية وقد يكون عليها تهميشات باللاتينية .

تاريخ تدوينه وترجمته :

يختلف الكاتبون المسيحيون كثيراً فى زمن تأليف الإنجيل الثانى :

هل ألف الإنجيل الثانى زمن بطرس وبولس ؟

أو هل ألف بعد موتهما ؟ وقد قتل بطرس عام ٦٥ ، وقتل بولس عام ٦٨ أيام نيرون .

الذين يقولون بأن مرقص ألف إنجيله زمن بطرس وبولس لا يتفقون على عام معين .

• مرشد الطالبين يقول : قد زعم أن إنجيل مرقص كتب بتدبير من بطرس عام ٦١ م

• ويقول المستر « هورن » فى تفسيره المجلد الرابع :

ألف الإنجيل الثانى سنة ٥٦ أو ما بعدها إلى سنة ٦٥ ميلادية والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ م

والذين يقولون إن مرقص ألف إنجيله بعد موت بطرس وبولس لا يحددوه عاماً ومن هؤلاء القديس (أرينوس) فقد قرر أن مرقص

http://kotob.has.it

كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس ، دون أن يذكر تاريخاً .

أما الأستاذ شنوده فلم يذكر شيئاً عن تاريخ التدوين ولا عن ترجمته ، بل تحدث عن ترجمة الكتاب المقدس ككل دون أن يفصل فى ترجمة كل إنجيل على حدة . .

والأستاذ ميشيل جرجس أشار فى نصف سطر عن حياة مرقص وإنجيله . . ولم يزد عن قوله : كتب انجيله باللغة اليونانية :

ولعل الاضطراب فى شخصية كاتب إنجيل مرقص تعود إلى معاصرته لبطرس وبرنابا ثم بولس وأن شخصاً مثله لا يساوى بطرس لأنه من الحواريين ولا بولس لأنه صانع المسيحية ولا برنابا لأنه خاله وكثرة ترحال مرقص مع بولس وبرنابا فى رحلات عديدة وإختلاف بولس وبرنابا حول جواز قيامه بالتبكريز . . إلخ كل ذلك مضافاً إليه زحمة الحديد والنار فى عهود الإضطهاد لم تمكن التاريخ من معرفة من هو كاتب الإنجيل الثانى ؟

ومتى كتب ؟

ولعل افتقار الإنجيل الثانى إلى معرفة صاحبه الذى كتبه ، والتاريخ الذى كتب فيه . . لعل هذا الإفتقار يكون جديراً بأن الإنجيل الثانى ليس على درجة من الثبات تجعله كتاباً مقدساً ؟

فإن قالوا إنه مصدر نحله وللنحلة أن تتمذهب بما تحبه وتهواه ، قيل لهم لكم ذلك دون منازع لكنه ليس هو الإنجيل الذى نزل من السماء .

انجيل لوقا

[الإنجيل الثالث]

كاتبه :

كاتبه هو : لوقا البشير ، ولد فى أنطاكية ، ودرس الطب ونجح فى ممارسته

http://kotob.has

وكان مرافقاً لبولس الرسول فى أسفاره، وأعماله، وهو كاتب سفر الأعمال ويرى بعضهم أنه استشهد فى حكم نيرون.

ويقول البعض الآخر أنه انتقل إلى النعيم فى مدينة بتراس) سنة ٧٠ ميلادية.

وكتب إنجيله باليونانية على حد ماذكره الأستاذ ميشيل فى كتابة: الكنيسة المصرية.

وإلى هذا يذهب الأستاذ زكى شنوده

وقد جاء فى الاصحاح الرابع من رسالة بولس إلى أهل كولوسى قوله: يسلم عليكم لوقا الطيب وديماس » ١١٤/٤ كولوس.

وجاء فى رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس

لوقا وحده معى خذ مرقص وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة،
١١/١٢/٤

وهذا يدل على أن المراد من لوقا هو لوقا الانطاكى الطبيب كما صرح به ابن البطريق فى تاريخه.

ولكن الدكتور « بوست » يذهب إلى أن لوقا صاحب الإنجيل الثالث كان رومانيا نشأ فى إيطاليا.

ومن المؤرخين المسيحيين من يقرر أن لوقا كان مصوراً ولم يكن طبيباً.

فهو إذن مجهول النسب أأنطاكى أم إيطالى ؟

ومجهول الصناعة أطبيب أم مصور؟

وهو بالاتفاق ليس حوارياً ولا من السبعين المختارين الذين نزل عليهم الروح القدس.. وكل ماله من شرف أنه كان مرافقاً لبولس فى أسفاره وأعماله ...

http://kotob.has.it

سبب الكتابة :

• يرى ابن البطريق أن السبب الذى جعل لوقا يكتب إنجيله أن وجهه إلى رجل من عظماء الروم فيقول : وكتب لوقا إنجيله إلى رجل شريف من علماء الروم يقال له تاوفيلا وكتب إليه أيضاً (الابركسيس) الذى هو أخبار التلاميذ وهى الرسالة المسماة : أعمال الرسل .

والفقرات الأولى من الاصحاح الاول لهذا الإنجيل تؤكد أن لوقا كتب إنجيله الى رجل يسمى (ثاوفيلس) تقول الفقرات « إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز (ثاوفيلس) لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » ١/٤ الاصحاح الأول لوقا

فى هذه الفقرات نص على أن لوقا كتب عن الأمور المتيقنة عندهم كما كان يكتب كثيرون

وأن كتابته على التوالى موجهة إلى عزيز يسمى (ثاوفيلس)

• ويرى القس ابراهيم سعيد أن لوقا كتب إنجيله لليونان وأن انجيل متى كتب لليهود ، وانجيل مرقص كتب للرومان وانجيل يوحنا كتب الكنيسة عامة .

• وهناك من يرى أن لوقا كتب انجيله إلى المصريين لأن المسمى : ثاوفيلس هذا مصرى لا يونانى .

وعلى كل حال فإن السبب الذى كتب لوقا من أجله انجيله غير واضح ولا القوم الذين وجه إليهم هذا الإنجيل غير معلومين حتى على وجه التقريب

http://kotob.ha

« وقد صرح جيروم أن بعض القدماء كانوا يشكون فى بعض الآيات من الباب الثانى والعشرين من إنجيل لوقا ، وبعض آخر كان يشك فى الباب الأول والباب الثانى منه أيضاً ، ويصرحون : أن هذين البابين لم يكونا فى نسخة فرقة « مارسيونى » .

لغة التدوين :

يتفق المؤرخون المسيحيون على أن لغة التدوين التى كتب بها لوقا الإنجيل الثالث هى اللغة اليونانية .

تاريخ التدوين والترجمة :

• يقول الدكتور بوست : كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم وقبل الأعمال ، ويرجح أنه كتب فى قيصرية بفلسطين فى المدة التى كان بولس فيها أسيرا ما بين عام ٥٨ إلى ٦٠ من الميلاد .

• ويرى العلامة لارون أن لوقا حرر إنجيله بعد ان حرر مرقص إنجيله وذلك بعد موت بطرس وبولس .

• ويرى المستر « هورن » أن الإنجيل الثالث ألف سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ م . . على عادته المألوفة من ذكر سنين دون تدليل أو ترجيح

وإذن فهناك نقطتان :

أحدهما : متفق عليها وهى أن لغة التدوين كانت اليونانية

والثانية : الكاتب والتاريخ ، والقوم الذين كتب لهم لوقا هذا الانجيل . . فكل ذلك محل خلاف بين الكاتبين وليس عند المؤرخين المسيحيين إجابة تقنع التاريخ إذا سألناهم :

من هو كاتب الإنجيل الثالث ؟

وماهى جنسيته ؟

http://kotob.has.it

• ومن هم القوم الذين كتب لهم هذا الإنجيل ؟

• وما الزمن الذى وقع فيه تدوين هذا الإنجيل ؟

فلئن أجابوا ... فإنما تكون إجابتهم قوامها الحدس الذى تمليه أمزجة أصحاب النحل التى تتبع الهوى والتعصب ! !

فهل يقال لمثل هـذا الإنجيل فاقد السند ، والصاحب والأصل ... كتاب مقدس ؟

لئن قيل ... فذلك هوى تمليه منهجية العناد .. ! ولا تعرفه مناهج البحث العلمى ولا اصطلاحات علماء التحليل فى تاريخ الأديان .. ! !

إنجيل يوحنا

[الإنجيل الرابع]

كاتبه :

يذهب الأستاذ زكى شنوده إلى أن كاتب الإنجيل الرابع هو : يوحنا البشير ، ويؤرخ له فى إسهاب : فينسبه إلى بيئة فى بيت بصيدا من أعمال الجليل ويقول :

هو ابن زبدى وسالومى وأخو يعقوب ، وكانت أمه أخت العذراء مريم وكان يعمل هو وأخوه مع أبيهما زبدى فى صيد السمك ، فأمرهما السيد المسيح أن يتبعاه ، فتركا أباهما وتبعاه ...

ويقول : وقد مضى يوحنا إلى بلاد آسيا الصغرى ، وبدأ عمله فى مدينة أفسس ، وقد أخذ السيدة العذراء معه وهناك أقام طفلا ميتا ، وآمن أهل المدينة على يديه ، وقد رسم لهم كهنة وأساقفة يتولون رعايتهم ، وكان يخرج

http://kotob.has.it

من أفسس إلى نواح أخرى فى آسيا لنشر الدعوة ، وأسس كنائس كثيرة فى تلك البقاع ، ثم حكم عليه بالنفى فى عهد الامبراطور (دومتيانوس) إلى جزيرة « بطمس » وهناك كتب سفر الرؤيا .

وبعد قتل « دومتيانوس » سنة ٩٦ م رجع يوحنا إلى أفسس وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية .

والواضح من هذا النص :

• أن يوحنا المؤلف هو يوحنا الذى صاحب يسوع مع يعقوب وبطرس .

• وأنه أقام عدة كنائس ونشر دعوته قبل النفى وقبل أن يؤلف إنجيله

• وأنه ألف سفر الرؤيا فى المنفى .

• ثم ألف الإنجيل بعد أن خرج من المنفى إلى أفسس بعد أن قتل دومتيانوس سنة ٩٦ م . يقول الأستاذ زكى شنودة :

وكانت تسود كل كتاباته روح المحبة حتى أنه حين تقدمت به السن جداً وأقعدته الشيخوخة عن السير كانوا يحملونه إلى الكنيسة ويرفعون يديه ليقول كلمة واحدة هى : يا أبنائى أحبوا بعضكم بعضاً ، ومات وقد تجاوز المائة من عمره ودفن بالقرب من مدينة أفسس .

ويذهب « برطشنيدر » إلى أن الإنجيل الرابع وكذلك الرسائل المنسوبة إلى يوحنا ليست من تصنيف يوحنا الصياد ويقول : بل صنفها أحد ... فى ابتداء القرن الثانى .

وهذا الانكار تذهب إليه فرقة معروفة باسم (ألوجين) فى القرن الثانى من الميلاد فقد ذهبت إلى إنكار نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا ، وكذلك جميع التصانيف المنسوبة إليه .

http://kotob.has.it

ويرى الكاتب « استادلين » أن الانجيل الرابع من ثمار يراعة طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية دون ريب فى ذلك . والذى يقوى كل هذا . أن هذا الانكار وقع فى القرن الثانى من الميلاد . دون أن يرد عليه أحد من أحفاد يوحنا البشير ابن الصياد الحوارى .

فقد كان «أرينيوس» تلميذ «بوليكارب» التلميذ المباشر ليوحنا الحوارى موجوداً وسط ترديد إنكار نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا ، ومع هذا فلم يرد على هذا الانكار .

و « أرينيوس » هذا مشهود له بشدة الحفظ قال : « يوس بيس » فى تاريخه المطبوع عام ١٨٤٧ م : « قول أرينيوس » فى حق الروايات اللسانية هكذا :

سمعت هذه الأقوال بفضل الله بالامعان التام وكتبتها فى صدرى لا على الورق وعادتى من قديم الأيام أن أقرأها دائماً .

وكاتبوا دائرة المعارف البريطانية يؤكدون كل ماسلف من أقوال جهابذة المحققين الذين سجلنا آراءهم من قبل .

قالت دائرة المعارف البريطانية :

« أما إنجيل يوحنا فإنه لامرية ولاشك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين وهما القديسان : يوحنا ، ومتى وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى .

ولايخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لارابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإننا انرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ـ ولو بأوهى رابطة ـ ذلك الرجل الذى ألف هذا الكتاب

http://kotob.has.it

فى الجيل الثانى ، بالحوارى يوحنا الصياد الجليلى ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى .

والذى نلاحظه من كلام هؤلاء المسيحيين أن كاتب الانجيل الرابع شخصية غير معروفة تاريخياً .

وأنه على فرض ضعيف إن كان يوحنا الصياد هو الذى كتبه فقد كتبه فى سن الشيخوخة التى لا أمان معها على شىء من العلم ولا من الفهم ، فحسبما ذكر الأستاذ زكى شنودة أن يوحنا كتب أنجيله بعد أن خرج من منفاه بعد مقتل « دومتيانوس » عام ٩٦ م .

ويكون يوحنا قد قام بأعمال الكرازة وبناء الكنائس ورسم القساوسة والشمامسة قبل أن يكتب إنجيلا وهذا دليل العندية الكاملة فى التبشير المسيحى ، إذ أنه كان يدعو دون كتاب مقدس يعتمد عليه ولهذا قال السير آرثر فندلاى فى كتابه : الكون المنشور :

إن إنجيل يوحنا ليس له قيمة تستحق الذكر فى سرد الحوادث الأكيدة ويظهر أن كل محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دوراً بعيداً » .

وهذا النص يعطينا أحد تفسيرين :

الأول : أن المحتويات التى لعب فيها الخيال دوراً بعيداً قد تكون من خيالات الشباب الطموحة المغربة فى الأوهام وعندئذ يقوى افتراض أن الانجيل الرابع كتبه تلميذ من مدرسة الاسكندرية .

الثانى : أن المحتويات التى لعب فيها الخيال دوراً بعيد قد تكون خيالات مخرف ورثتها آلام النفى وخزعبلات الشيخوخة فيكون الكاتب هو يوحنا لكن تكون قيمة الانجيل على نحو ماذهب إليه المستر آرثر فى كتابه : الكون المنشور من أنه كتاب لايستحق الذكر فيما يتعلق بسرد الحوادث

http://kotob.has.it

الأكيدة ... ويكون كل ما جاء فيه بعد ذلك مخالفاً للأناجيل الثلاثة محض خيالات مخرف أو خيال حالم فى ظلمات السجن والمنفى . . .

سبب الكتابة :

فى بعض الفقرات الأولى من الاصحاح الأول جمل تدل على أن هذا الانجيل كتب ليشهد على شىء مطلوب معين ، قال :

كان إنسان «مرسل من الله اسمه يوحنا» . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكى يؤمن الكل بواسطته . (٦ ، ٧ الاصحاح ١)

فعبارة : هذا جاء للشهادة ... إلخ تدلنا على أن هذا الانجيل كتب تحت دافع معين .

غير أنه جملة : «مرسل من الله إسمه يوحنا» غير واضحة المعنى لأن فقرات من نفس الإصحاح تنفى عن يوحنا أنه كان نبياً ولا إيليا ولكنه صوت صارخ فى البرية .

(راجع الفقرات ١٩ — ٢٣ — الاصحاح ١)

فمن هم الناس الذين كتب لهم الانجيل الرابع ؟

• يقول يوسف الخورى فى مقدمة : «من تحفة الجيل» : أن يوحنا صنف إنجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا ، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته ، وذكر ما أهمله متى ، ومرقص ولوقا فى أناجيلهم .

• ويقول جرجس زوين اللبنانى : إن شيرمنطوس وأبيسون ، وجماعتهما كانوا يعتقدون أن المسيح ليس إلهاً بل هو إنسان ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم فاجتمع عموم أساقفة آسيا سنة ٩٦م وطلبوا من يوحنا أن يكتب عن المسيح وأن يأتى بإنجيل لم يكتبه الانجيليون الآخرون .

http://kotob.has.it

• وقال فى كتاب مرشد الطالبين : المقصود من كتابة الانجيل الرابع الإبقاء على بعض مسامرات المسيح ذات التروى مما لم تذكره الأناجيل الأخرى ، والافناء لبعض هرطقات أشهرها معلون كذبة فى شأن ناسوت المسيح وموته ... إلخ .

ومن هنا ندرك أن هذا الانجيل كتب لينصر مذهباً خاصاً يقول بألوهية يسوع ، ومن هنا جاء الفرق بين الأناجيل الثلاثة الأولى التى لم تذكر شيئاً عن ألوهية يسوع . وهذا الانجيل الرابع الذى كتب بخاصة ليستنصر لهذا المذهب الخاص .

على أن آخر جملة فى هذا الانجيل تؤكد أن كاتبه تلميذ وأن الغرض من كتابته بوجه خاص معين لاشهار أن يسوع إله ، قال فى آخر الاصحاح الحادى والعشرون :

« هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق .. إلخ.

ويفهم من هذا أن القول بألوهية المسيح سابق على تدوين الانجيل الرابع.

لغة التدوين :

يقول الأستاذ شنودة :

« سنة ٩٦ م رجع يوحنا إلى أفسس وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية .

تاريخ للتدوين :

• يقول السير أثر فندلاى فى كتابه : الكون المنشور : كتب يوحنا إنجيله حوالى سنة ١١٠ م .

• ويرى الدكتور بوست أنه ألف فى الفترة ما بين ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ م .

http://kotob.has.it

. ويرى هورن أن الانجيل الرابع ألف ســـنة ٦٧ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٨٩ أو ٩٨

. ويقول فى مرشد الطالبين : أنه لا يوجد اتفاق بين العلماء على ضبط السنة التى كتب فيها يوحنا انجيله ، فيزعم بعضهم أنه كتب سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم ، وجانب آخر يرى أنه كتب عام ٩٨ م بعد رجوعه من المنفى .

وهكذا يبدو للعلم وللتاريخ والباحث المصنف .

. أن شخصية كاتب الإنجيل الرابع ستظل محل شك أو اختلاف بين المؤرخين .

. وأن تاريخ كتابة هـذا الإنجيل مطموس الحقيقة وسيظل هكذا فلا سبيل إلى التعرف على سنته كما أنه لا سبيل إلى التعرف على كاتبه .

. وأن لغة التدوين تنفى إمكان نسبته إلى يسوع الذى لم يعرف إلا لغة اليهودية والجليل وهى اللغة العبرانية .

. وأن الإنجيل الرابع لم ينشىء إلهاماً جديداً فيما يتعلق بألوهية يسوع بقدر ما ساهم فى توسيع رقعة الخلاف بين المسيحيين القدامى الذين آمنوا بأن عيسى ليس إلهاً ولـكنه بشر والذين ظنوا أن يسوع إله ...

وإذا كان الإنجيل الرابع قد كتب بخاصة لنصرة هذه الفـكرة فقد اتسعت الهوة بين القائلين ببشرية يسوع من قدامى المسيحيين ، والقائلين بألوهيته .

http://kotob.has.it

حول الأناجيل الأربعة

- من ناحية الكم .
- من ناحية السند .
- من ناحية مستوى الكاتب .

أولا : من ناحية الكم

عدد الإصحاحات فى كل إنجيل غير متساوية ، فبينما نجد الإنجيل الأول (إنجيل متى) يتكون من ثمانية وعشرين إصحاحا ، نجد الإنجيل الثانى (إنجيل مرقص) يتكون من ستة عشر إصحاحا .

وبينما يتكون الإنجيل الثالث : إنجيل لوقا من أربعة وعشرين اصحاحا نجد الإنجيل الرابع : إنجيل يوحنا يتكون من واحد وعشرين اصحاحا .

على أن الاصحاح الحادى والعشرين لا يعترف به المحقق (كروتيس) فقد قال إن هذا الإنجيل كان عشرون بابا فألحقت كنيسة (أفسس) الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا .

فكيف اختلف الكاتبون فى الكم إلى هذا الحد المشوه لصحة فكرة الإلهام التى يدعونها .

ألا يكون الاختلاف فى الكم دليلا على النزعة الفردية عند كل كاتب فتكون فكرة الإلهام آخر الفروض احتمالا فى تحديد الباعث على تدوين الأناجيل ؟

فإذا أضيف إلى خلخلة الكم خلخلة السند أفيبقى افتراض الإلهام مقبولا بعد العمر الطويل الذى انقطع فيه السند ؟

http://kotob.has.it

ثانياً : من ناحية السند

يقول المسيو شارل جنبير :

« إن أغلب الفقرات التي يظهر فيها من الأناجيل يبدو أنها صدرت عن محرري هذه الأناجيل لا عن عيسى أما تلك التي يرجح أنها مبنية على حديث صحيح له فلا تعدو الأربع أو الخمس ، ولا يمكن أن نصفها بأقل من أنها خاطئة أساساً في ترجمتها النص الأصلي ويجب إبدال تعبير «ابن الإنسان» فيها بكلمة إنسان ... » .

« ومن المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد فقدت الكثير من وضوحها في ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل ، وأنها تأثرت في مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة في الشرق .

« وكانت هذه الكتيبات — وأهمها مجموعة الأحاديث المنسوبة إلى متى والروايات المنسوبة إلى مرقص — المصادر الأولى لإنجيلنا ... إلا أنها لم تكن لتضم سوى عناصر شتى مشوشة من حياة عيسى كما تصورها المسيحيون عندما أوشك جيل أصحابه على الانقراض .. وقد حاول المحررون المتتابعون لتلك الأناجيل خلال الثلث الأخير من القرن الأول المسيحي أن ينسقوا رواياتهم ويدخلوا عليها شيئاً من الانسجام ، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام مادة يصعب مراسها ، فضلا عن شبه استحالة تحقيق الواقع وتخليصه من الإضافات الخيالية التي كانت في طيات الروايات ..

فالمسيو شارل يرى :

أن عديداً من الألفاظ التي أطلقت على المسيح في الأناجيل هي من بنات أفكار محرري الأناجيل .

http://kotob.has.it

وأن الأحداث الخاصة بالصلب قد حررت بعد أن فقدت ذاكرة المؤرخين كثيراً من الوضوح فيما يتعلق بوقائعها .

وأن ماجاء فى إنجيل متى ومرقص بشأن حياة عيسى إنما هى نصوص مشوشة لم يجد المحررون سبيلا إلى تنسيقها وانسجام وقائع أحداثها ...

وهذه شهادة كافية فى انقطاع السند بأسلوب النقد التحليلى للنصوص .

رأى «فاستس» :

ويأتينا صوت الناقد الجرى «فاستس» من أعظم علماء فرقة «مانى كيز» من جوف سنى القرن الرابع الميلادى يدوى قائلا :

أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الإسم ونسب إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ليعتبره الناس . وقد أذى بذلك المريدين لعيسى إيذاء بليغا فقد ألف الكتب التى تمتلىء بالأغلاط والمتناقضات .

رأى السيد آرثر فندلاى :

قال فى كتابه : الكون المنشور .

إن الأناجيل لاتعتبر سجلات تاريخية .

فأولها مرقص كتب حوالى سنة ٧٠ م

ولوقا كتب بين سنة ٨٠ وسنة ٩٥ م

ومتى كتب حوالى سنة ١٠٠ م

ويوحنا حوالى سنة ١١٠ م

وليس للأخير قيمة تستحق الذكر فى سرد الحوادث الأكيدة ويظهر أن كل محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دوراً بعيداً ... ؟

http://kotob.has.it

رأى دائرة المعارف البريطانية :

قال فى المجلد الحادى عشر : قد وقع النزاع فى أن كل قول مندرج فى الكتب المقدسة هل هو إلهامى أم لا ؟

وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها ، فقال جيروم ، وكرتيس ، وأرازس ، وبركوبيس وكثيرون آخرون من العلماء : أنه ليس كل قول منها إلهاميا ثم قالوا فى المجلد التاسع عشر : إن الذين قالوا إن كل قول مندرج فيها إلهامى لايقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة .

رأى دائرة المعارف الفرنسية :

قال فى المجلد السابع عشر : إن الناس قد تكلموا فى كون الكتب المقدسة إلهامية ، وقالوا إنه يوجد فى أفعال مؤلفى هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات مثلا : إذا قوبلت الفقرة ١٩ ، ٢٠ من الاصحاح العاشر من إنجيل متى بالفقرة ١١ من الاصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقص بسعه آيات من أول الاصحاح الثالث والعشرين من كتاب أعمال الرسل يظهر ذلك ، وقيل أيضاً : أن الحواريين ما كان يرى بعضهم بعضاً صاحب وحى كما يظهر هذا من مباحثاتهم فى محفل أورشليم ، ومن إلزام بولس لبطرس ، وقيل أيضاً : إن القدماء المسيحيين ما كانوا يعتقدونهم مصونين عن الخطأ .

أليس من الحق إذن ما قاله السير آرثر فندلاى فى كتابه : الكون المنشور :

يجب أن يعلم كل إنسان أنه لاتوجد وثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة عيسى ؟

أوليس من الحق أيضاً ماقاله الأستاذ نظمى لوقا المسيحى المصرى :

http://kotob.has.it

« وأعنى بالمسيحية هنا ماجاء به المسيح من نصوص كلامه لاما الحق كلامه وسيرته من التأويل ؟ !

أوليس القسيس « فندر » ومعاونه القسيس « فرنج » كانا مخطئين أو مغالطين عندما ظنوا بأنفسهم القدرة على مناظرة المرحوم الشيخ رحمة الله الهندى فى محفل عام سنة ١٢٧٠ هجرية فيما يتعلق بالسند ؟

لقد سجل عليهم التاريخ هزيمتهم النكراء عندما هربا ولم يستطيعا إتمام المناظرة ، وبهت الذى كفر ، والله لايهدى القوم الظالمين .

ثالثا : من ناحية مستوى الكاتب

يقول المسيو شارل جنيبر :

وتصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث مما يتمم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك اتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه ، ولاشك أيضاً فى أنه لم يعتمد أحد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الواقع تسمح له بأنه يضع صورة واضحة لحياة المسيح ، فلم يكن عملهم إذن سوى أن يربطوا - فى كثير أو قليل من المهارة - بين أطراف من المرويات وأن يشكلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية كما أن عناصرها تبدو مجموعة فى أطار مصطنع ، وأننا لنلحظ فى ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصاً كثيراً وفجوات خطيرة نلحظها فى إنجيل مرقص الذى بلغ به الحرص أن تحاشى الحديث عن مولد عيسى وطفولته ... لذلك نرى الإنجيل الأول ثم الإنجيلين الثالث والرابع يحاول كل على طريقته

http://kotob.has.it

أن يسد هذا النقص ويملأ تلك الفجوات .. ومن الواضح أنه لا يربط أياً منها بالواقع التاريخى علاقة تذكر اه .

والنتيجة لهـــذا التخلخل فى الكم والسند وعقلية المحررين يقولها المسيو شارل :

« وهكذا لم نعد نستطع أن نميز فى وضوح الجوانب التاريخية لشخصية عيسى ، ولم نعد نملك المراجع اللازمة لتحديد أحداث حياته فى دقة ... وخلاصة القول فيما يتعلق بشخصيته أنه يمكن التكهن ببعض ملامحها من خلال الروايات الإنجيلية ، أما سيرته فليس لنا سوى الأمل فى التعرف على شىء من مراحلها ...

وإذا كانت هذه هى النتيجة التى توصل إليها المسيو شارل جنيبر بعد دراسته لأصول المسيحية ... فإن فى القرآن الكريم كثير غناء وأقوى دليل انفرد بتوضيح حياة عيسى والدفاع عما أثاره اليهود من حوله ... ولذا قال الله جل شأنه :

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ... »

نتائج :

وعلى أساس ما نقلناه من آراء علماء المسيحية فان النتائج العلمية من هذه الدراسة هى :

١ ــ أن الأناجيل المعاصرة ليست هى الإنجيل الذى نزل على سيدنا عيسى عليه السلام وجاء ذكره فى القرآن الكريم .

٢ ــ أن الكاتبين والمحررين لهـــذه الأناجيل ليسوا على مستوى

http://kotob.has.it

من المعرفة الكافية بحياة السيد المسيح ، ولا بذى كفاءة فكرية فى التدوين والتاريخ .

٣ — أنهم لم يتفقوا على منهج معين فى الكتابة بل اتبع كل هواه وهذا يفسر تماماً فكرة الإلهام حيث لايوجد اتفاق فى الكم ولا فى طريقة العرض .

٤ — أن لفيفاً من العلماء المسيحيين أقروا بعدم إمكان الدفاع عن اتصال السند ... وعلى هذا فليس لإنجيل عيسى وجود يذكر فى التاريخ الكنسى ذاته[1] ..

(١) راجع كمال الموضوع فى كتابنا : أضواء على المسيحية . لنشر بالكويت

http://kotob.has.it

برنابا وإنجيله

من هو برنابا ؟

• جاء فى الإصحاح الرابع من أعمال الرسل المنسوب تدوينه إلى لوقا:

« ويوسف الذى دعى من الرسل (برنابا) الذى يترجم : ابن الوعظ ، وهو لاوى قبرصى الجنس ، إذ كان له حقل باعه ، وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل (٤/٢٧ أعمال الرسل)

• وفى الإصحاح التاسع من نفس الرسالة :

« ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه (برنابا) وأحضره إلى الرسل . . . »

(٩/٢٧/٢٦ أعمال الرسل)

• وفى الإصحاح الحادى عشر يقول :

« فسُمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا (برنابا) لكى يجتاز إلى أنطاكية ، الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب ، لأنه كان رجلا صالحا وممتلئاً من الروح القدس والإيمان فانضم إلى الرب جمع غفير .

ثم خرج (برنابا) إلى طرطوس ليطلب شاول ، ولما وجده جاء به إلى أنطاكيا ... » (٢٢ ، ١١/٢٥ أعمال الرسل)

• والإصحاح الثانى عشر ممهور بهذه الخاتمة :

« ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعد ما كملا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقص» ١٢/٣٤ أعمال الرسل

http://kotob.has.it

• وفى الإصحاح الثالث عشر :

« وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون (برنابا) وسمعان الذى يدعى نيجر ، ولوكيوس القيروانى ، ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس الربع ، وشاول ، وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه »

(٢٠١ / ٣ أعمال الرسل)

• وجاء فى الإصحاح الرابع عشر :

« فلما سمع الرسولان (برنابا) وبولس مزقا ثيابهما ، واندفعا إلى الجميع صارخين وقائلين : أيها الرجال لماذا تفعلون هذا ...

نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وما فيها »

(١٤ ، ١٥ ، ١٦/١٤ أعمال الرسل)

• وجاء فى الإصحاح الخامس عشر :

« ثم بعد أيام قال بولس (لبرنابا) لنرجع ونفتقد إخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم ؟

فأشار (برنابا) أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذى يدعى مرقس .

وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما .

فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر و(برنابا) أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص .

وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعا من الأخوة .

(٣٦ - ٤١/١٥ أعمال الرسل)

http://kotob.has.it

هذه النصوص من سفر أعمال الرسل الذى كتبه لوقا صاحب الإنجيل الثالث تنص صراحة على أن برنابا :

— باع حقله وسلم ثمنه إلى الرسل لينفقوه على التبشير

— وأنه الذى قدم بولس « شاول » عدو القساوسة إلى التلاميذ الذين أبدوا الرعب والهلع عند رؤيته .

— وأنه كان رجلا صالحا ممتلئا من الروح القدس والإيمان .

— وأنه اختير رسولا إلى أنطاكية وانضم بدعوته إلى الرب جمع غفير .

— وأن الروح القدس اختارته مع بولس للعمل الذى دعتهما إليه .

— وأنهما أكملا معاً الخدمة فى أورشليم .

— وأن برنابا وبولس تبرآ من الناس عندما فتنوا بهم وقالوا لهما إن الآلهة تشبهوا بالناس ونصحوهم أن يعبدوا الله الذى خلق السموات والأرض والبحر وكل ما فيها .

— وأن مرقص كاتب الإنجيل الثانى كان مهملا وبسببه حدثت مشاجرة بين برنابا وبولس... انفصلا على أثرها وأخذ برنابا مرقص .

— وأن كل النصوص التى فيها دعوة للعمل من أجل التكريز قدم اسم برنابا على اسم بولس .

وهذه النصوص تضىء صفحة برنابا المشرقة باعتراف صريح من أحد الرسل المعترف بهم لدى أعضاء مجمع نيقية ٣٢٥ م فإن أعمال الرسل هذه منسوبة إلى لوقا صاحب الإنجيل الثالث أحد الأناجيل الأربعة التى وقع عليها الاختيار لتكون هى الكتاب المعتمد عند جميع المسيحيين .

فهل يمكن التقليل من قيمة برنابا ؟ مع ملاحظة أنه أنصع شرفاً فى علاقته بالمسيحيين من شاول الذى كان يقتلهم ويتجسس عليهم .

http://kotob.has

وأن شاول « بولس » لم يهتد إلى طريق المصالحة مع القساوسة إلا بشفاعة برنابا ؟

وأن برنابا تقدم عليه فى كل عمل تبشيرى ؟

وأن كبار رجال المسيحية الأول مثل لوقا ومرقص يشهدان له ويقفان إلى الرأى الذى يقول به ؟

بل إن بولس «شاول» ليعترف فى رسالته إلى أهل كولوسى بقيمة مرقص وقيمة خاله برنابا إذ يقول :

« يسلم عليكم ارسترخس المأسور معى ومرقص ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا ، إن أتى إليكم فاقبلوه» ٤/١٠ كولوسى

فهل ترد منزلة برنابا كرسول مبشر ، وطاهر ممتلىء بالروح القدس ، ومبعوث خاص من الروح القدس للعمل بالتكريز ؟

والمسيو شارل جنبير لم يشأ أن يسير فى فلك إنكار الجميل لما صنعه برنابا بل إنه ليجعله فى منزلة أعلا من الحواريين فيما يتعلق بالتبشير فيقول :

« ولم يكن أصحاب عيسى هم السبب فى هذا النشاط ، بل لم يكن يدور فى خلدهم تبريره فلما علموا بنتائجه بعثوا إلى أنطاكية برسول مؤتمن يدعى برنابا ، ليدرس هذا الموقف الذى يبدوا أنه أثار لديهم الشكوك والقلق ، غير أن حماس الأتباع الجدد لم يلبث أن انتقل إلى برنابا نفسه الذى رأى فى ظاهرة انتشار الدعوة نعمة إلهية فكرس كل جهوده فى إخلاص عميق لمواصلة هذه المبادأة المستمرة فى مجال العمل التبشيرى ، ورحل إلى طرسوس حيث كان يقيم حينئذ بولس وعاد به إلى أنطاكية ليشركه فى العمل

فهل ينكر الشمس إلا من فى عينه رمد ؟

http://kotob.has.it

أو ليس فى إنكار قيمة برنابا وآرائه إنكار لرسالة الأعمال التى كتبها لوقا، وإنكار لقيمة مرقص »

أو ليس فى قيمة لوقا ومرقص فيما يتعلق بآرائهما فى برنابا إنكار لقيمة ما كتباه من الأناجيل ؟ ؟ !

فكيف يستقيم الاعتراف برسالة الأعمال التى تذخر بفضل برنابا وجهوده ونشاطه مع إنكار منزلة برنابا وأعماله وآرائه .

وكيف يستقيم الاعتراف بإنجيل مرقص وأنجيل لوقا مع الإنكار لآرائهما فى منزلة برنابا ومصاحبته ؟ !

أفيكون الدافع إلى إنكار قيمة برنابا وقائع المشاجرة التى وقعت بين برنابا وبولس من أجل مرقص ، ثم تعصبت الكنيسة إلى بولس ضد برنابا؟

ولئن صح هذا الافتراض فلم تنجرف الكنيسة المرقصية وراء هذا التعصب، ولم تتعصب هى لبرنابا الذى أثار مشكلة مع بولس من أجل مرقص مؤسس الكنيسة المرقصية ؟

وأى شىء امتاز به بولس حتى يفضل دينياً على برنابا ؟

وما الرأى فى الجمع الغفير الذى انضم إلى الرب بسبب تكريز برنابا ؟ أمقبول فى عداد شعب الكنيسة أم غير مقبول ؟

أما شارل جنيبير فيقول فى معنى الإجابة عن هذا : ... ولولا برنابا لما استطاع بولس حتى الاتصال بالمجتمع .

ونرجع فنسأل :

• هل فى العرف والعادة يمكن أن يتغلب رجل قاطع طريق على رجل فاضل كريم ؟

• وهل فى العرف والعادة يتساوى فى الدرجة السابقون فى الإيمان والأصحاب للأنبياء مع التائبين الذين اتبعوا الهدى آخر النهار ؟

http://kotob.has

ولا يهمنا فى كثير أو فى قليل الدفاع عن برنابا ولا عن أنجيله ، بقدر مايهمنا ـ للبحث العلمى النزيه الحق ـ أن يأخذ الرجل مكانته حسبما أعطته النصوص التى اعترف بها المسيحيون الأوائل ، وفقا لما بذله من جهادمخلص مقابل ذلك الإنكار الذى وقع عليه دون وجه حق بينما فاز خصمه وغريمه بولس بأعظم الألقاب وأعلا المراتب ومن قبل كان للمسيحية قاتلا وعليها كان جاسوساً ...

وأما فيما يتعلق بإنجيل برنابا فلا يهمنا فى قليل ولا فى كثير كذلك أن يصح نسبته إليه أو ترفض فهو على أيةحال غير مقبول عندنا نحن المسلمين كإنجيل يمكن أن ينسب إلى عيسى عليه السلام على أنه وحى نزل عليه ، فليس إنجيل برنابا بالإنجيل الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم ، فإن الذى فى القرآن الكريم إنجيل أوحى الله به إلى سيدنا عيسى عليه السلام « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين » .   ٤٦ ـ المائدة

وفرق كبير بين إنجيل هو وحى الله إلى نبيه عيسى عليه السلام وإنجيل كتبه حوارى ومهما كان صحيحاً فى مضمونه فإنه عمل بشر .

ومن هنا فإن موضوع برنابا وإنجيله يطرق من حيثية العدل فى البحث العلمى ... دون كبير اهتمام لما فى الإنجيل البرنابى من محتوى ...

http://kotob.has.it

حول إنجيل برنابا

• أول الخيط :

فى عام ٤٩٢ م أصدر البابا « جيلاسيوس الأول » أمراً يحرم مطالعة عدد من الكتب كان منها كتاب يسمى : إنجيل برنابا ومفاد هذا الأمر :

— أن إنجيل برنابا له وجود حقيقى فى حقبة من أحقاب التاريخ .

— وأن هذا الإنجيل كان شائعاً معروفاً بين المسيحيين .

— وأنه كان كذلك قبل أن يولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

• لغة التدوين :

يتحدث الدكتور خليل سعادة عن لغة التأليف لهذا الإنجيل فيقص علينا قصتين :

الأولى : تتعلق بالتدوين باللغة الإيطالية .

الثانية : « « الأسبانية .

النسخة الإيطالية :

• كان « فرامرينو » راهباً لاتينيا، عثر على رسائل كان « ايرينايوس » قد كتبها ليندد فيها بالقديس بولس ، وأن « ارينايوس » أسند تنديده هذا إلى إنجيل القديس برنابا ، فأصبح « فرامرينو » من ذلك الحين شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل ، واتفق أنه أصبح فى حين من الزمان مقرباً من البابا سكتس الخامس فحدث يوماً أنهما دخلا معا مكتبة البابا ، فران الكرى على أجفان البابا . فأحب « فرامرينو » أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا ... فكان الكتاب الذى وضع يده عليه أولا هو إنجيل برنابا فكاد

http://kotob.h

أن يطير فرحاً بهذا الاكتشاف فخبأه إلى أن استأذن البابا بعد أن أفاق من نومه وانصرف حاملا ذلك الكنز الذى طالما اشتاق إلى مطالعته … ولم يلبث مليا بعد مطالعته أن اعتنق الدين الإسلامى .

هذه رواية الراهب « فرامرينو » على نحو ما هو مدون فى مقدمة النسخة الأسبانية كما رواها المستشرق « سايل » فى مقدمة له لترجمة القرآن الكريم ،

. وبعد حلقة مفقودة … عثر « كريمر » أحد مستشارى ملك بروسيا على هذه النسخة الإيطالية وكان مقيما وقتئذ فى « أمستردام » فأخذها سنة ١٧٠٩ م من مكتبة أحد مشاهير وجهاء المدينة ، ولم يزد « كريمر » على تعريف صاحبها بغير هذه الألقاب المبهمة إلا أنه ذكر فى عرض الكلام عنه أن هذا الوجيه كان يعد النسخة المنوه عنها ثمينة جداً فأقرضها « كريمر » ثم بعد أربعة أعوام أهداها إلى البرنس « ايوجين سافوى » الذى كان مولعاً بالعلوم والآثار التاريخية رغم كثرة حروبه ومشاغله السياسية .

ثم انتقلت النسخة المذكورة عام ١٧٣٨ م مع سائر مكتبة البرنس المنوه عنه إلى مكتبة البلاط الملكى فى « فينا » حيث لا تزال هناك حتى الآن ، وتقع فى (٢٢٥) صحيفة سميكة مجلدة تجليداً متيناً ولون التجليد أدكن ضارب إلى الصفرة النحاسية .

ويذهب البعض إلى أن هذا التجليد قد يكون من صنع مجلدين استدعاهم الدوق « دى سافوى » .

http://kotob.has.it

النسخة الأسبانية :

فى أوائل القرن الثامن عشر وجدت نسخة مكتوبة باللغة الأسبانية تقع فى اثنين وعشرين ومئتى فصل (٢٢٢) تقع فى عشرين وأربعمائة صحيفة (٤٢٠ صحيفة) وكانت حالتها كما يدعى الدكتور خليل سعادة : جرعليها الدهر ذيل العفاء فطمست آثارها ، ودرست رسومها هذه النسخة أقرضها دكتور (هلم) من « دهلى » المستشرق الشهير « سايل » ثم تناولها بعد « سايل » الدكتور « منكهوس » أحد أعضاء كلية الملكة فى اكسفورد .

الترجمة ومصير النسخة الأسبانية :

وقد نقل الدكتور « منكهوس » اللغة الأسبانية إلى اللغة الإنجليزية ثم أعطى الأصل للنسخة الأسبانية وترجمتها الإنجليزية إلى الدكتور « هويت » أحد مشاهير الأساتذة .

الأمانة العلمية عند هويت :

يقول الدكتور خليل سعادة « بخصوص النسخة الأسبانية التى لم أعثر على كيفية فقدانها سوى أنه عهد بترجمتها إلى الدكتور « منكهوس » فدفعها إلى الدكتور هويت ثم طمس بعد ذلك خبرها وعفى أثرها ...

— الدكتور « هلم » أقرض النسخة الأسبانية إلى المستشرق « سايل » ،

— المستشرق « سايل » أعطاها إلى الدكتور منكهوس و « منكهوس » هو الذى نقلها إلى الانكليزية .

— « منكهوس » دفع بالنسخة الأسبانية التى هى الأصل مع الترجمة التى قام بها إلى الدكتور هويت عام ١٧٨٤ م .

http://kotob.has

ـ وعند الدكتور هويت تختفى النسخة أصلا وترجمة ، ولم يظهر عنده إلا شذرات فى محاضراته على طلابه .

يقول الدكتور خليل سعادة :

« ولقد أشار الدكتور هويت المنوه عنه فى إحدى الخطب التى كان يلقيها على الطلبة إلى هذه النسخة حيث استشهد ببعض الشذرات منها ، ولقد طالعت هذه الشذرات وقابلتها بالترجمة الإنكليزية المنقولة عن النسخة الإيطالية الموجودة الآن فى مكتبة بلاط « فينا » ، فوجدت الأسبانية ترجمة حرفية عن تلك ولم أر بينهما فرقاً يستحق الذكر ... » .

والسؤال الآن موجه إلى الدكتور هويت : لم أخفيت الأصل الأسبانى ، وترجمة الدكتور منكهوس ؟

هل يرجع السبب إلى الخوف الشديد من ظهور الترجمة وسط المسيحيين حتى لا يتحولوا إلى الإسلام كما تحول من قبل الراهب اللاتينى « فرامرينو » ؟ وإذا فرضنا جدلا أن هذا هو الدافع فقد كان هناك مبرر آخر وهو مبرر علمى محض قبل أن يكون مبرراً دينياً ذلك أن المستشرق سايل علق على النسخة الأسبانية بأنه مسطور فى صدرها أنها مترجمة عن الإيطالية بقلم مسلم ، على نحو ما جاء فى محاضراتك أنت يا دكتور هويت ؟ والنسخة الإيطالية موجودة حتى الآن فى مكتبة البلاط الملكى بفينا وقد اطلع عليها فى فجر القرن العشرين الدكتور خليل سعادة . . . أفلا كان من الأمانة العلمية أن يتحقق بما ادعيته على سايل أن النسخة الأسبانية عليها مثل هذا التعليق ؟

أفلا يكون الدفع عن عدم قيامك بمثل هذا التحقيق العلمى هو ما نسبته أنت إلى سايل ؟ أو سلوك مقتد بالبابا جلاسيوس الذى حرم هذا الإنجيل من قبل ؟

http://kotob.has.it

ليس هذا الانجيل عربيا :

ويذهب الدكتور خليل سعادة إلى أن أنجيل برنابا ليس عربياً ويخطىء الدكتور هويت فى زعمه الذى نشره عام ١٧٨٤ م من أن النسخة العربية موجودة فى الشرق فيقول :

إنه قول مبنى على السماع لأنه لم يعثر على نسخة عربية لإنجيل برنابا قط.

ثم إنه لم يذكر فى كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء من الأعصر القديمة أو الحديثة حتى ولا فى مؤلفات من انقطع منهم إلى البحث والمحاورة الدينية مع أن إنجيل برنابا يعد لهم أمضى سلاح فى مثل تلك المناقشات .

بل لم يرد له ذكر فى فهارس الكتب العربيـــة القديمة عند الأعارب والأعاجم ، أو المستشرقين الذين وضعوا الفهارس لأندر الكتب العربية من قديم أو حديث .

تشكيك ليس عليه دليل :

غير أن الدكتور سعادة الذى نقل إنجيل برنابا من الإنجليزية إلى العربية عام ١٩٠٨ يذهب عاطفيا دون دليل إلى أن الأصل العربى وإن فقد فإنه يميل إلى أن الأصل العربى كان موجوداً ولئن لم يكن كاتبه عربيا فهو يرى أنه يهودى أندلسى أسلم .

وإن كان لا يهمنى أنا شخصياً ولا يهم المسلمين جميعاً مناقشة هذا الرأى للدفاع عن انجيل برنابا فإن هذا الرأى غير سليم من الناحية العقلية والتاريخية فأية مصلحة ليهودى إذا أسلم أن يترجم أو يكتب انجيلا ينسبه إلى برنابا ؟ رغم أن اليهودى لا يؤمن بعيسى فموقف الصدوقيين والكتبة والفريسيين على نحو ما شرحه لنا شارل جنيبير معروف بأنهم كانوا يكرهون يسوع فلماذا يرتكب يهودى الشطط ليؤلف كتاباً مسيحياً ؟

http://kotob.ha

وإذا كان هـذا اليهودى قد أسلم فـا فائدة ترجمة انجيل برنابا فى إسلامه ؟

بل هو كمسلم ممنوع من قراءة شيء من التوراة أو الإنجيل ؟ فقد روى روى فى مسند الإمام أحمد رضى الله عنه عن جابر رضى الله عنه أنى سيدنا عمر بن الخطاب النبى صلى الله عليـه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الـكتاب ، فقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم قال ، فغضب وقال: اتتهوكون فيها يابن الخطاب والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتـكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ، والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى .

وفى رواية أخرى :

والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم، إنكم حظى من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين .

ليس إنجيل برنابا وحده الذى يقول بنبوة عيسى:

والذى يجعلنا نرفض ماذهب إلى افتراضه الدكتور خليل سعادة أنه هو نفسه يذكر أن انجيلا مماثلا لمحتويات انجيل برنابا كان قد ظهر قبل انجيل برنابا هو الإنجيل الأغنسطى يقول الدكتور خليل سعادة : بيد أن هناك إنجيلا يسمى بالإنجيل الإغنسطى طمست رسومه وعفت آثاره يبتدىء بمقدمته تندد بالقديس بولس وينتهى بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد ويذكر أن ولادة عيسى كانت بدون ألم ولما كان كل ذلك فى انجيل برنابا فمن المحتمل أن يكون ذلك الإنجيل الأغنسطى أبا لإنجيل برنابا .

فهل الإنجيل الأغنسطى كذلك كتبه يهودى أندلسى أسلم ؟

ما دام أن إنجيل برنابا قد سبق بإنجيل مماثل له فى المحتوى والتنديد

http://kotob.has.it

بيولس ؟ فلم لم تربط بين الانجيلين فى الموضوع بدل أن تفترض أن انجيل برنابا ألفه يهودى أندلسى أسلم .

الترجمة إلى اللغة العربية :

عرفنا أن انجيل برنابا نقل من الأسبانيـــة إلى الإنجليزية بواسطة الدكتور منكهوس ، وأن هذه الترجمة قد اختفى أثرها عند دكتورهويت.

أما نقل إنجيل برنابا إلى العربية فقد تكفل به الدكتور خليل سعادة المسيحى .

كان المحقق « لونسدال راغ » نائب مطران الكنيسة الانكليزية فى « فنيس » والسيدة حرمه « لورا » قد نقلا انجيل برنابا من لغته الايطالية إلى اللغة الانجليزية فاستأذنهما الدكتور خليل سعادة فى نقل هذه الترجمة إلى اللغة العربية وكانت ترجمة نائب المطران لونسدال وزوجة « لورا » قد أخرجت فى ثوب قشيب من الطباعة يضم النص الايطالى مع الترجمة الانجليزية .

عن هـذه النسخة نقل الدكتور خليل سعادة انجيل برنابا إلى اللغة العربية ترجمة حرفية يقول عنها :

« ولا بد قبل الختام من الالماع إلى إننى آليت على نفسى ترجمة هـذا الانجيل بالحرف الواحد متوخيا أبسط الألفاظ وأسهل الأساليب معرضا فى ذلك عن تنميق العبارات وترشيد الكلام مفضلا الأمانة فى الترجمة والبساطة فى التعبير على الفصاحة والبلاغة متى كان فيهما أقل عدول عن الأصل فهو مطابق من كل وجه للترجمة الانجليزية المأخوذة عن الأصل الايطالى خلا الأعداد الموجودة فيه فإنى وضعتها من عندى تسهيلا للإشارة إلى الكلام عند الحاجة .

وقد طبع الدكتور خليل سعادة ترجمة فى مطبعة كلارندن باكسفورد .

وحول هذا يقول :

http://kotob.has

وأهدى مثل هذا الشكر إلى حضرة أمين مطبعة كلارندن فى اكسفورد التى التزمت طبع هذا الأنجيل ووضعت بين أيدى القراء كتاباً نادراً فكان ذلك من أجل الخدمات العلمية المتعددة التى قامت بها هذه المطبعة الشهيرة .

سبب تأليف هذا الإنجيل :

والسبب الذى من أجله كتب برنابا أنجيله مدون فى مقدمته يقول :

أيها الأعزاء : إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً مجوزين كل لحم نجس الذين ضل فى عدادهم بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً .

فالعلة الباعثة على كتابة هذا الإنجيل هى تلك التعاليم المنحرفة فى نظر برنابا عن التعاليم التى كان يسمعها من يسوع الذى عاش معه وعاصره .

وفى عداد العابثين المضللين بولس الذى من أجله كتب برنابا إنجيله .

وإذن فإنجيل برنابا معروف كاتبه ومعروف سبب الكتابة واللغة التى دون بها : الإيطالية ، والأسبانية ، وتاريخ التدوين مجهول .

وقد رفض البابا جلاسيوس عدة أناجيل كان من بينها إنجيل برنابا لأنه لا يتفق مع مبادىء مسيحية بولس .

مفارقات بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة :

يقول الدكتور خليل سعادة :

http://kotob.has.it

ويباين هذا الأنجيل الاناجيل الأربعة المشهورة فى عدة أمور جوهرية :

أولها ـ قوله : أن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله .

وذلك على مرأى ومسمع من ستمائة ألف جندى وسكان اليهودية من رجال ونساء وأطفال .

والثانى : أن الابن الذى عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل لا إسحاق ، وأن الموعد إنما كان بإسماعيل .

والثالث : أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل محمد،وقد ذكر محمداً باللفظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية الذيول ، وقال إنه رسول الله وأن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحرف من نور : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

والرابع : أن يسوع لم يصلب بل حمل إلى السماء وأن الذى صلب إنما كان يهوذا الخائن الذى شبه به .

وسيان كانت هذه التعاليم مطابقة لما جاء فى الإسلام أو غير مطابقة فإن إنجيل برنابا عند المسلمين ليس هو أنجيل الله الذى أوحى به إلى سيدنا عيسى .

إنه إنجيل مثل كل انجيل مسيحى آخر .

لا سند له .

مجهول التاريخ .

مشكوك فى لغته الأصلية

إنه إنجيل مسيحى يحابه أعمال بولس المسيحى

وقد ورد فى رسالة الأعمال المنسوبة إلى لوقا فى الإصحاح الخامس عشر أن مشاجرة وقعت بين برنابا وبولس.

http://kotob.ha

فكلاهما له اتصال بالعمل المسيحى وكلاهما له إنجيل يعمل به فى التكريز، فسيان عندنا نحن المسلمين إذا اتفق بعض الأطراف المتنازعة من المسيحية ببعض ما يقولونه مع التعاليم الإسلامية فعندنا كتاب الله : القرآن الكريم قوى السند والتاريخ لا يحتاج إلى دليل ولا إلى حجة أخرى .

مع ملاحظة أن تعاليم برنابا وردت فى أنجيل سابق هو الأنجيل الأغنسطى ، وكان بطرس ومرقص يقولان كذلك بما كان يقوله برنابا وإنجيل اغنسطى .

وكم حرم البابا جلاسيوس ، وبجمع تيقية من عشرات الأناجيل...والله أعلم بما كان فيها من تعاليم . . فقد ورث المجتمع المسيحى عديداً من العقائد التى جعلت منه جمهرة متصارعة جعلت عقيدتها كرة تتلقفها فى المجامع بالضرب والتكفير والطرد والحرمان .

ثالثا — الرسائل

اعتمد رجال الكنيسة لعقائدهم ثلاثة مصادر :

- المصدر الأول : التوراة وقد سلف عرضها
- المصدر الثانى : الأناجيل وقد انتهينا من الكلام فيها نقلا عنهم .
- المصدر الثالث : وهو رسائل الرسل — والحديث عنها يتناول :
- معناها
- وعددها وآراء علماء المسيحية فيها
- لغة تدوينها
- ومن هم كاتبوها

http://kotob.has.it

معنى الرسائل :

العهد الجديد يتضمن كما ذكر الأستاذ زكى شنوده المحامى المصرى .

— الأسفار التاريخية وهى الأناجيل الأربعة « وسفر أعمال الرسل » .

— والأسفار التعليمية وهى الرسائل التى عددها ٢١ رسالة [ماعدا أعمال الرسل]

— والسفر النبوى وهو رؤيا يوحنا اللاهوتى

فمعنى الرسائل فى الاصطلاح الكنسى : الأسفار التعليمية التى تحكى مواعظ وأحوال السيد المسيح فى مقابلة ما تحكيه الأناجيل من الأخبار الماضية.

عدد الرسائل :

• أعمال الرسل الذى نسبت كتابته إلى لوقا صاحب الإنجيل الثالث وتقع فى ٢٨ ثمان وعشرين إصحاحاً .

• رسائل بولس وهى أربع عشرة رسالة :

رسالة إلى أهل رومية وعدد إصحاحاتها ستة عشر (١٦)

رسالة إلى أهل كورنثوس رقم (١) وعدد إصحاحاتها ستة عشر (١٦)

« « « « رقم (٢) « « ثلاثة عشر (١٣)

رسالة إلى أهل غلاطية : وعدد إصحاحاتها ستة (٦)

« « « أفسس : « « ستة (٦)

« « « فيلبى : « « أربعة (٤)

« « « كولوسى : « « أربعة (٤)

« « « تسالونيكى رقم (١) وعدد إصحاحاتها خمسة (٥)

http://kotob.ha

رسالة إلى أهل تسالونيكى رقم (٢) : وعدد إصحاحاتها ثلاثة (٣) .

« « « تيموثاوس رقم (١) : وعدد إصحاحاتها ستة (٦) .

« « « « رقم (٢) : « « أربعة (٤) .

رسالة إلى تيطس : وعدد إصحاحاتها ثلاثة (٣) .

« « فليمون : وليس بها إصحاحات .

رسالة إلى العبرانيين : وعدد إصحاحاتها ثلاثة عشر (١٣) .

● رسالة يعقوب إلى الإثنى عشر سبطا الذين فى الشتات وعدد إصحاحاتها خمسة (٥) .

● رسالتان لبطرس :

الأولى : وعدد إصحاحاتها خمسة (٥) .

الثانية : « « ثلاثة (٣) .

● الرسائل الثلاث ليوحنا :

الأولى وعدد إصحاحاتها خمسة (٥) .

الثانية : وليس بها إصحاحات .

الثالثة : « « «

● رسالة يهوذا : وليس بها إصحاحات .

● رؤيا يوحنا اللاهوتى: وعدد إصحاحاتها اثنان وعشرون (٢٢) .

آراء علماء المسيحية فى هذه الرسائل :

يقول شارل جنيبير :

الدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهلة غريباً حقاً : مزيج من دعوى الإثنا عشر

http://kotob.has.it

الأساسية ، ومن الأفكار اليهودية التى يرجع بعضها مباشرة إلى النصوص المقدسة القديمة بينما يرجع البعض الآخر إلى اعتبارات دينية حديثة نسبياً ثم من المفاهيم المنتشرة فى الأوساط الوثنية اليونانية ، ومن الذكريات الإنجلية والأساطير الدينية الشرقية .

ويرى (هورن) أن :

الرسالة العبرانية ، والرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، إسنادها إلى الحواريين بلاحجة وكانت محل شك حتى عام ٣٦٣م .

ويقول « هورن » : لا توجد فى الترجمة السريانية الرسالة الثانية لبطرس ورسالة يهودا ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ومشاهدات يوحنا .

ويقول « واجرس » : من علماء فرقة البروتستانت : إن فريقاً من علماء البروتستانت يعتقدون كذب الرسالة العبرانية ، ورسالة يعقوب ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهودا ، ومشاهدات يوحنا .

ويعتقد دكتور « بلسن » من علماء البروتستانت : أن جميع الكتب ما كانت واجبة التسليم إلى عهد « يوس بيس » ، ويصر على أن رسالة يعقوب ، ورسالة يهودا ، والرسالة الثانية لبطرس . والثانية والثالثة ليوحنا ليست من تصنيفات الحواريين .

ويقول « الأرذر » : إن مشاهدات يوحنا لا توجد فى الترجمة السريانية القديمة .

ويثبت (بروبرا يوالد) بالشهادة القوية أن إنجيل يوحنا ورسائله وكتاب مشاهداته لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد .

http://kotob.has.it

وصرح يوس بيس : فى تاريخه : إن الرسالة الأولى لبطرس صادقة إلا أن الرسالة الثانية له ما كانت داخلة فى الكتب المقدسة فى زمان من الأزمنة كما ذكر فى الباب الخامس والعشرين من الكتاب السادس من تاريخه أن « أرجن » قال فى المجلد الخامس من شرح إنجيل يوحنا أن بولس ما كتب شيئاً إلى جميع الكنائس والذى كتبه هو سطران أو أربعة سطور » .

ويقول « فاستس » :

إن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الإسم ونسب إلى الحواريين ورفاقهم .

لقد شهد علماء المسيحية على العهد الجديد أنه فقير إلى الدليل الذى يثبت نسبته إلى كاتبيه ، أما نسبته إلى الوحى أو إلى يسوع فذاك أمر مستحيل التحقيق على نحو ما ذهب إليه المسيو شارل جنيبير فى كتابه : المسيحية : نشأتها وتطورها :

« وغالب الظن أنه قد ألفت فى هذه الفترة كتيبات سجل فيها محرروها ما رأوه جديراً بالعناية من مجموعات حكم منسوبة إلى أستاذهم ، أو حكايات عن مراحل حياته وجدوا فيها عبرة وتمييزاً لشخصيته ... ولم يعن أحد بما نسميه اليوم بـ « التحقيق التاريخى » ذلك المنهج الذى يفترض الشك ، والذى يتنافى مع دوافع الإيمان المطلق لدى هؤلاء الكتاب الذين افتقروا إلى روح النقد .

وكانت هذه الكتيبات وأهمهـــا مجموعة الأحاديث المنسوبة إلى متى والروايات المنسوبة إلى مرقص المصادر الأولى لأناجيلنا ، إلا أنها لم تكن لتضم سوى عناصر شتى مشوشة من حياة عيسى كما تصورها المسيحيون عندما أوشك جيل أصحابه على الانقراض ، وقد حاول المحررون المتتابعون

http://kotob.has.it

لتلك الأناجيل خلال الثلث الأخير من القرن الأول المسيحى أن ينسقوا رواياتهم ويدخلوا عليها شيئاً من الانسجام ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام مادة يصيب مراسها ، فضلا عن شبه استحالة تحقيق الواقع وتخليصه من الإضافات الخيالية التى كانت فى طيات الروايات المتوارثة ... اهـ .

لغة التدوين :

لا يكاد يشذ واحد من موثقى التاريخ الكنسى عن الاتفاق بأن اللغة التى كتبت بها هذه الرسائل هى اللغة اليونانية .

كاتبوها :

وكاتبو الرسائل هم :

لوقا ، بولس ، يعقوب ، بطرس ، يوحنا ، يهودا .

لوقا :

هو كاتب الإنجيل الثالث وحول شخصيته ضباب كثيف ... يقولون : إنه كان طبيباً من أصل يهودى رافق بولس فى حله وترحاله وأعماله ، وقد ورد اسمه فى رسائل بولس إلى « فليمون » يسلم عليكم ابتراس المأسور معى فى المسيح يسوع ، ومرقص وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معى » ٢٤ / فليمون .

وفى رسالته إلى أهل كولوسى : يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس ١٤ / كولوسى .

وفى رسالته الثانية إلى الابن تيموثاوس « لوقا وحده معى ١١ / تيموثاوس ٢ .

بينما يراه الدكتور بوست أنه لم يكن أنطاكيا بل كان روميا ويراه آخرون أنه كان مصوراً لا طبيباً .

http://kotob.has

بولس :

يهودى من طرسوس تشبع بالتراث اليونانى على أيدى أساتذة الفلسفة الذين جمعوا بين التفكير الفلسفى والأسلوب الخطابى على نحو ماشرحه المسيو شارل جنيبير .

وقد ورد إسمه فى رسائل الأعمال .

جاء فى الاصحاح التاسع :

أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب ٩/١ أعمال « ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل ... » ٩/٢٦ أعمال .

ويتحدث بولس عن نفسه فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس :

« أنا الذى كنت قبلا مجدوفاً ومضطهداً ومفترياً »

٢/١٣ تيموثاوس

ويقول فى الاصحاح الثانى والعشرين من الأعمال :

واضطهدت هذا الطريق فى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء . ٢٢/٤ أعمال

وفى الاصحاح الثالث عشر من أعمال الرسل .

وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه . ١٣/٢ أعمال

وأما شاول الذى هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه ، وقال أيها الممتلىء كل غش وكل خبث يا ابن أبليس ياعدو كل بر ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة . ٩ ، ١٣/١٠ أعمال

http://kotob.has.it

ففى النصوص ألفاظ تجعل بدء حياة بولس سيئة لاتنبىء بمستقبل شريف طيب مع السالكين سبل الله المستقيمة فكيف يسبق الحواريين، والذى نزلت عليهم من قبله الروح القدس فيكون هو دون السابقين عليه المؤسس للتكريز والكنائس والتنظيمات الكهنوتية واللاهوتية ؟

إلى جانب هذا فإن سفر الأعمال يحتفظ بوقائع التذبذب والضعف والخوف فى أقواله .

جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين :

« ... فقال أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية ولكن ربيت فى هذه المدينة »

٢٢/٣ أعمال

فتفرس بولس فى المجمع وقال أيها الرجال الإخوة إنى بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه .

١ ، ٢٣/٢

ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون صرخ فى المجمع أيها الرجال الإخوة أنا فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم ، ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك .

٢٣/٨/٦ أعمال

وجاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من رسالة الأعمال :

فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف أيجوز أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضى عليه .

٢٢/٢٥ أعمال

وهكذا تظهر النصوص أن بولس كذاب حيث يتنصل من مسيحيته ليكون فريسياً ، وأنه يتفرس الجموع ليلون نفسه حسب الموقف المعين

http://kotob.has.it

ولما فشل فى أول الأمر وضرب على فمه قال إنه فريسى ليحدث تصدعاً فى الجماعة .

وأنه يقول بمذهب : الغاية تبرر الوسيلة . حيث طلب النجاة من الضرب بالسياط بادعائه أنه رومانى .

وهذه النصوص كذلك توضح لنا أنه كان شخصية مجهولة .

فهو غير معروف عند الحاكم الرومانى .

وهو غير معروف عند الصدوقيين والفريسيين .

فلو كان داعية كان له من الصيت الذائع ما يكشف اللثام عن شخصيته فى أى مجتمع يرومه .

أما وأنه ينتحل لنفسه جنسيات وديانات فلأنه رجل ليس بذى شىء فى السمعة والشهرة فكيف يدعى أنه كان مبشراً ...

وكان بودى أن البحاثة العالم مسيو شارل جنيبير يكشف لنا عن هذه الشخصية التى أضفى عليها كثيراً من الأضواء التى تجمعت حول عبقريته صنفتها تيارات عديدة من الفكر والثقافة وارتبط بها مستقبل المسيحية المنفصلة تماما عن بيئتها الأولى .

يقول السير آرثر فندلاى فى كتابه : الكون المنشور .

« إن بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى بالدين المسيحى ، الدين الذى ولد طفلا عـــلاقا متكاملا فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بأمر الأمبراطور قسطنطين .

يقول شارل جنيبير :

« وكان المعنى الضمنى لهـذا الإجراء التفرقة بين المسيحية واليهودية » ودفع الأولى ـ المسيحية ـ إلى أن تصبح ديناً متميزاً .

http://kotob.has.it

وصارت هذه النتيجة أمراً محتما بفضل نظريات بولس فى المسيحية ، تلك النظريات المتأثرة بالفكر الهلينستى ، والتى غيرت تغييراً عميقاً من تطوير الحواريين الإثنا عشر لعيسى وحياته وموته .

ويقول :

لذلك كله نستطيع وصف بولس بأنه منشىء المستقبل للدين المسيحى .

يقول « ول ديورانت : أن المسيحية كانت حسب تعاليم المسيح وبطرس يهودية ثم أصبحت فى تعاليم بولس نصف يونانية وهكذا تساعد الطفرة والرؤيا على تحويل ابن ابليس الممتلىء بكل الخبث والشر إلى رسول يكرز بدين جديد ...

يعقوب :

هو أخو يوحنا بن زبدى الصياد الحوارى يقول عنه الأستاذ زكى شنوده : هو يعقوب البار تلميذ السيد المسيح قال عنه كليمنضوس الاسكندرى « إن بطرس ويعقوب ويوحنا وقد كانوا مميزين من الرب لم يتخاصموا على المجد معاً بعد صعود المخلص بل انتخبوا يعقوب الصديق أسقفاً على أورشليم .

قال فى تاريخ الأمة القبطية : إنه اشتهر بالطهارة حتى أنه ليقال له يعقوب البار .

ويقول الأخوان شحاده ونقولا خورى : أن أول أسقف على الكرسى الأورشليمى كان يعقوب الرسول ، وهو على رأى معظم آباء الكنيسة ابن يوسف النجار من امرأته الأولى ...

ولما تأسست الكنيسة فى أورشليم انتخب أسقفاً لها وذلك سنة ٣٤ م

http://kotob.has.it

وقد ترأس المجمع الذى عقده الرسل فى أورشليم بشأن الختان لحكم فيه ألا يثقل على المؤمنين من الأمم بل يجب أن يعفوا من الختان ،

ويحتفظ الاصحاح الخامس عشر بهذه الفتوى الجريئة ليعقوب .

الفقرات ١٢/٢١/١٥ أعمال .

وبالاضافة إلى هذه الفتوى فله أعمال مسيحية أخرى منها .

ـ أنه ألف خدمة القداس الالهى الذى درجت عليه سائر الكنائس المسيحية إلى أن قام باسيليوس الكبير سنة ٣٢٥ فاختصرها .

ـ وكتب إحدى الرسالات السبع الجامعة إلى اليهود الذين فى الشتات .

ـ وأخيراً نال موت الشهادة سنة ٦٢ م حين طرحه اليهود من على جناح الهيكل ورجموه بالحجارة » اه .

بطرس :

قال فى الاصحاح العاشر من الإنجيل المنسوب إلى متى :

وأما أسماء الإثنى عشر رسولا فهى هذه : الأول سمعان الذى يقال له بطرس ، واندراوس أخوه .

ويعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه ، فيلبس ، وبرثولماوس ، توما ، ومتى العشار ، يعقوب بن حلفى ، ولباوس الملقب تدّاوس ، سمعان القانونى ، ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه .

١ ، ٤/١٠ متى

هو سمعان بطرس من مدينة صيدا الواقعة على نهر طبرية فهو على رأس قائمة الحواريين فى النص السالف .

http://kotob.has.it

ويحتفظ إنجيل متى لبطرس بعدة نصوص توضح موقفه من يسوع .

قال فى الاصحاح السادس والعشرين من الإنجيل المنسوب إلى متى :

فأجاب بطرس وقال له : وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً

٢٦/٣٣ متى

فرد عليه يسوع متنبئاً :

قال له يسوع : الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات .

٢٦/٣٤ متى

وكان مقتضى إيمان بطرس بيسوع ألا يرد عليه بل يدعو ربه أن ينجو من هذه النبوءة . ولكنه رد قائلا :

قال له بطرس : ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك .

٢٦/٣٥ متى

هكذا أبدى بطرس فدائية تجاه نبوءة يسوع .

أفكان يتحدى يسوع فى نبوءته ؟

أم كان يثق من إيمانه المطلق بيسوع ؟

فلننظر :

يقول الاصحاح السادس والعشرون :

أما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلى .

٢٦/٦٩ متى

http://kotob.has.it

وكان حسب وعده بالفدائية أن يقول : نعم ، ولـكنه تجاهل أو تغابى قال متى عنه فى الإنجيل :

فأنـكر قدام الجميع قائلا : لست أدرى ما تقولين ٢٦/٧٠ متى

ويتكرر السؤال :

« ثم إذا خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصرى ٢٦/٧١ متى

وكان مقتضى ما أبداه من الشجاعة أن يعترف ولـكنه غير موقفه ، يقول متى :

فأنـكر أيضاً بقسم أنى لست أعرف الرجل » ٢٦/٢٧ متى

لقد أنـكر فى الأول

وأنكر فى الثانية مؤكداً إنكاره بالقسم

ويتكرر الموقف مرة ثالثة

و بعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً منهم ، فإن لغتك تظهرك ٢٦/٧٣ متى

لقد دلت لهجته على تبعيته ليسوع فلم يكن هناك مهرب من الاعتراف فإن الإنكار والقسم عليه لايفيد ، ولـكنه أمعن فى الإنكار بلعن يسوع ، قال عنه متى :

فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل

وللوقت صاح الديك ٢٦/٧٤ متى

فتحققت نبوءة يسوع فى بطرس أنه سينكره ثلاث مرات فخرج يبكى

http://kotob.has.it

بكاءمراً... ولبث فى فقرات إنجيل متى وهو كاذب وحانث فى يمينه ومخالف وعده لأستاذه ...

قال فى كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار :

بطرس هذا ومعه مرقص كانا ينكران ألوهية المسيح ويقول عن مرقص : صنف إنجيله بطلب من أهالى رومية وكان ينكر ألوهية المسيح

فرقص وأستاذه بطرس معاً ينكران ألوهية المسيح التى نادى بها يوحنا على ما نسب إليه واختلقه بولس وتشاجر مع بطرس وبرنابا من أجل ذلك .

كما تحدث هو فى رسالته إلى أهل غلاطية الإصحاح الثانى

ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما

إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم ١٤/١١ غلاطية

فانظر كيف كان بطرس مع يسوع ، وانظر كيف يكون مع بولس... وانظر كيف يختلف فى اعتقاده الكاتبون من بنى جلدته ونحلته ... ؟!

يوحنا :

هو يوحنا الحوارى ابن زبدى الصيادى الذى كان يحبه المسيح حتى أنه استودعه والدته وهو فوق الصليب وقال لها : «يا امرأة هذا هو ابنك» ثم قال ليوحنا «هو ذا أمك» ، واشترك يوحنا مع بطرس فى إقامة المقعد عند باب الهيكل وقد نفى أيام الاضطهاد وعاد إلى أفسس وتوفى فيها هرما عجوزا ... وهو الذى نسبوا إليه تدوين الإنجيل الرابع والسفر النبوى «الرؤيا»

وحول أسفار الرؤى يقول شارل جنيبير :

http://kotob.has

... واسترسلوا فى سذاجتهم وبساطة مشاعرهم فأصبحوا لا يفرقون بين الخيال والذكريات الحقيقية، ولقد خلطوا بينهما فى تلك التعاليم التى نشروها من حولهم ، وأصبح أتباعهم لا يستطيعون التمييز — حتى ولو أرادوا — بين واقع الأحداث وما أضفاه عليها الإيمان من صور شتى وكان تحمسهم للعقيدة لا يدع لهم مجالا لمقاومة ما توحى به الرؤى والتهيئات الفردية فكل ما يمليه اتصال الواحد منهم اتصالا خيالياً مباشرة بالروح القدس يؤخذ قضية مسلمة وفرضا ضرورياً على الجميع يؤمنون به إيماناً لا يعلو عليه بل لا يدانيه إيمانهم بالواقع المباشر الذى يمليه التاريخ » اه

ومرة أخرى يكرر المسيو شارل هذا المعنى فيقول :

... وتبلور إيمانهم وركز على فكرة واحدة ثابتة هى قولهم لأنفسهم :

لا يمكن أن يكون عيسى قد تنكر لنا ، ولا يمكن أن يكون موته أمراً نهائيا ، وكانت النتيجة المحتومة لمثل هذا التبلور والتركيز لدى أمثال هؤلاء السذج المتحمسين فى أملهم وترقبهم — أن يروا الرؤى ويصدقوا بها) اه

ولعل الظروف النفسية والسياسية فى ظل عهود الاضطهاد التى قيل أن يوحنا كتب فيها سفر الرؤيا تسعف نتيجة بحث المسيو شارل على الأخذ بها فقد قال الأستاذ زكى شنوده أن يوحنا كتب سفر الرؤيا فى منفاه عهد الإمبراطور (دو ميتانوس) ، وكانت كتابة هذا السفر قبل أن يكتب الإنجيل الرابع المنسوب إليه فقد كتبه بعد مقتل (دومتيانوس) سنة ٩٦ م بعيد خروجه من المنفى وعودته إلى أفسس ...

يهوذا :

هل هو يهوذا الأسخريوطى الذى خان المسيح ؟

http://kotob.has.it

إنجيل متى يذكره باسم تداوس ، وبرنابا يقرر أنه ليس هو يهوذا الأسخريوطى بل هو شخص آخر

ويقول الأستاذ زكى شنوده يقول :

لقبه (تدواس) ويدعى كذلك لباوس وهو ابن حلفى وأخو يعقوب وسمعان ، وبوس ، ومن الإثنى عشر تلميذاً . . . . وهو الذى كتب رسالة يهوذا التى تتضمنها أعمال الرسل .

http://kotob.ha

ثانيا - المجامع

[العصر الذهبى]

- أهمية دراستها
- معنى المجمع
- أنواع المجامع
- أهم المجامع التاريخية

أهمية دراستها :

١ - والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى : أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر (ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله) ، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوى فاحش ، وضرب من ضروب السفه فى الدين ، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية.

(ص ٣٩ المسيحية : شارل جنيبير)

٢ - يجب علينا أن لاننسى أنه - يسوع - لم يؤسس شيئا : لم يأت بدين جديد ولا حتى بأى طقوس للعبادة جديد ، لم يأت إلا بتصور شخصى فريد للتقوى فى إطار الديانة اليهودية ، تلك الديانة التى لم يزعم قط أنه يدعى التغيير من معتقداتها أو من شرعها وشرائعها .

(ص ٤٨ المسيحية : شارل جنيبير)

http://kotob.has.it

٣ - (ويجب علينا أن لا ننسى أن أصحاب عيسى وإن رحلوا من القدس في رعب وحيرة بعد أن خاب ما كانوا يتوقعونه ، وبعد أن نزلت بهم الضربة العنيفة القاصمة لآمالهم فلعلهم لم يستسلموا للناس كل الاستسلام... فلما انتهت الفترة الأولى من الاضطراب عاد تأثير حديثه قويا بالغ القوة وخاصة بالنسبة إلى بطرس... وكانت دعوة عيسى لديهم مرتبطة بشخص عيسى نفسه ، فإن هم أقروا باختفائه إلى الأبد ، كان ذلك إقراراً بالتخلي عن كل أمل لهم في تحقق كلمته ... وتبلور إيمانهم وركز على فكرة واحدة ثابتة هي قولهم لأنفسهم : لا يمكن أن يكون عيسى قد تنكر لنا ، ولا يمكن أن يكون موته نهائيا ، وكانت النتيجة المحتومة لمثل هذا التبلور والتركيز أن يروا الرؤى ويصدقوها) (ص٥٠ المسيحية شارل جنيبير)

٤ - وكانت فكرة حلول مملكة الله الفكرة الأساسية في دعوة عيسى، أما دعوة الحواريين فقد تحولت إلى فكرة مركزة هي : أن عيسى هو المسيح الموعود ، وإلى قرب عودته إلى هذه الدنيا ، وهذان الموضوعان اللذان توضح لنا مجموعة أعمال الرسل أن الإثنى عشر من الأصحاب سوف يعودون بها إلى القدس لشرحها وتنمية أسرارها)

(ص ٥٣ المسيحية شارل جنيبير)

٥ - إننا نعلم تماما أن الحواريين الإثنى عشر والأتباع المباشرين لعيسى لم يكونوا ليستطيعوا القيام بنشاط يذكر في القدس ، بل كان موقفهم هو موقف أستاذهم فيما مضى (ص ٦٥ المسيحية شارل جنيبير)

٦ - (ولعلنا نستطيع القول بأن بطرس ويعقوب الأكبر ، ويعقوب الأصغر وأيضاً يوحنا ماتوا قتلى)

(ص ٦٦ المسيحية شارل جنيببر)

http://kotob.has.it

٧ — ولما أصبح مبدأ دخول المشركين فى الدين الجديد مقبولا وجد أنه من الصالح تيسير تطبيقه ، وكان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان ، وأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح ، بل أن المسيح أتى خصيصاً ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد وأذعن الإثنا عشر لبولس »

(ص١٠٤ المسيحية : شارل جنيبر)

٨ — إن بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى بالدين المسيحى
ص ١١٧ الكون المنثور . آرثر فندلاى

٩ — ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما
الفقرة ١١ — غلاطية

١٠ — فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص ، وأما بولس فاختار سيلا وخرج ...
٣٩ ، ١٥/٤٠ أعمال الرسل

هذه النصوص توضح أن عيسى - عليه السلام - وأن الحواريين ماتوا ولم تتم بعد حدود العقيدة التى يؤمن بها الأتباع :

- فدعوة عيسى إلى قرب حلول مملكته إذن لم تتم .
- والحواريون لا يصدقون أنهم خدعوا فأنشأوا فكرة عودة المسيح إلى الدنيا .
- وبولس يحلل ما حرم عيسى ، ويجبر الحواريون على قبول « وضعياته » .

http://kotob.has.it

ثم هو كذلك يلقى نفس المصير فيقتل فى عهود الاضطهاد ، تلك التى شنها جل الأباطرة حتى أن الفتيات المسيحيات العذارى ليجبرن على ممارسة البغاء إن هن رفضن عبادة الآلهة الرومانية كما ذكر ذلك المستر جروف ساموبل داو « Grove.S.Dow » وقد أصدرت عهود الاضطهاد عدة مراسيم بهدم الكنائس وإحراق الكتب المسيحية ، وحبس القساوسة وطردهم من الوظائف ، على نحو ما وصفه المستر روستو فزتيف « Rostovzteff » .

ومعنى هذا أن العقيدة المسيحية التى حاول بولس تأسيسها ونشرها لم تجد المناخ السياسى والاجتماعى الذى يساعد على نشرها ... وإذن فكيف اكتملت وكيف انتشرت ؟

تأتى المجامع المسكونية ، والمحلية لتلقى لنا الضوء على هذه التساؤلات فتبرز لنا كيف صنعت المجامع المسيحية عقيدة الكنيسة ! !

ومن هنا تأتى أهمية دراسة المجامع ، يضاف إلى هذا أن المجامع توضح الخطوط الفاصلة بين انفصال الكنيسة إلى شرقية وإلى غربية ، وهل كانت تلك الخطوط الفاصلة من أسباب سياسية أو من أسباب فكرية دينية ! !

كذلك تبين لنا دراسة المجامع كيف انفصلت الكنيسة الأرثوذكسية ، والكاثوليكية والبروتستانتية ، وكيف نشأت البابوية . . . الخ وكيف حدث نزاع بين الدولة والكنيسة ، وكيف نشأت حركة الاصلاح الدينى.. الخ .

فأهمية دراسة المجامع المسيحية ترجع إلى :

— أنها تبرز العوامل التى ساهمت فى بناء العقيدة المسيحية ونشرها .

— وكيف انفصلت جغرافياً الكنيسة إلى شرقية وغربية .

— وكيف انفصلت عقائدياً إلى أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستانتية .

http://kotob.has.it

ـ وكيف نشأت البابوية .

ـ وكيف نشأت فكرة الاصلاح الدينى .

ـ وكيف نشأت فكرة فصل الدين عن الدولة فى أوربا .

معنى المجمع المسيحى :

يقول الأستاذ ميشيل جرجس : المجامع هيئات شورية فى الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها فى حياتهم حيث عقدوا المجمع الأول بأورشليم سنة ٥١ - ٥٢ للميلاد برياسة يعقوب الرسول للنظر فى مسألة الختان عند الامم ، ومن ثم نسجت الكنيسة على منوالهم بعد ذلك .

والأستاذ زكى شنودة يشرح معنى المجمع بنفس الألفاظ والمعانى التى ذكرها الأستاذ ميشيل .

فالمجمع إذن عندهم هيئة شورى .

لكن هل هى شورى ملزمة ؟ أو شورى غير ملزمة ؟

إن كانت ملزمة فكيف يصدر عفو عن قرارات حرمان وقعت على بعض الهراطقة مثل آريوس المصرى أسقف الاسكندرية ؟ لأن المخالف للنص يعد مرتداً وقد وقع العفو دون توبة من هرطقته على ما يدعى ؟

وإن كانت غير ملزمة فلم وقع قرار الحرمان والطرد ؟

وهل هى شورى خاضعة للنص أو مطلقة حسب منطق العقل ؟

إن كانت خاضعة للنص فلم حللتم عدم الختان والنص يوجبه ؟

إن قلتم إنها شريعة اليهود لا نلزم بها الأمم .

قيل لكم لقد خالفتم النص : « ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء . .

فإن قلتم بالنسخ سلم لكم ، وسئلتم أين دليله عندكم ؟ لكن هل تعترفون بالنسخ ؟

http://kotob.has.it

وإن كانت شورى مطلقة حسب منطق العقل ، قيل لكم قد خرجتم على الوحى والشرع وأصبحتم فى عداد الفلاسفة فهل تكون الفلسفة ديناً منسوباً إلى وحى السماء ؟

أنواع المجامع :

يقول الأستاذ زكى شنودة : والمجامع نوعان :

مجامع مسكونية أو عالمية .

ومجامع مكانية أو إقليمية .

أما المجامع المسكونية فقد عقدت مرات معدودات فى القرون الاولى وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار ، وكان السبب الرئيسى لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغى فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها .

وأما المجامع المكانية فهى التى كانت الكنائس وما تزال تعقدها فى حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة أو رفضها أو النظر فى بعض الشئون المحلية الخاصة .

والسؤال الآن هل تحقق انعقاد مجمع مسكونى ؟

وإذا كانت الكنيسة المصرية لا تعترف بالمجامع الأربعة الأخيرة التى تعقب المجمع الرابع « مجمع أفسس الثانى » المنعقد سنة ٤٤٩ ميـــلادية فهل ما تزال هناك حقيقة لمفهوم المجمع المسكونى حتى بعد انسحاب الكنيسة الأرثوذكسية .

* * *

http://kotob.has.it

أهم المجامع المسيحية وآثارها :

نقلة إلى اضطهاد جديد ؟ . .

يقول الأستاذان شحادة ونقولا خورى :

ومع أن الكنيسة المسيحية قد ارتاحت فى هذه الآونة من اضطهاد الملوك الوثنيين فقدظهر فيهامبتدعون الذين أقلقوا راحتها (وأزعجوا) ضمائر أبنائها الأمر الذى استدعى عقد عدة مجامع لأجل تقرير العقائدالقويمة «اه .

لكن كيف خرجت المسيحية من عهود الاضطهاد إلى عهود الأمان والاستقرار ؟

إن علماء مقارنة الأديان ،أو الكاتبين من العقائديين المسيحيين يحاولون تجاهل هذه النقطة أو إغفالها ، وقد يفسون وسط زحمة الحديث عن معتقداتهم بعض الدلائل التى تشير من بعيد دون توضيح لكيفية خروج المسيحية من عهد الشهداء إلى عهدها الذهبى .

يقول الأستاذان شحاده ونقولا خورى : آمن قسطنطين الكبير بالمسيح سنة ٣٢٤ فنقل كرسى المملكة إلى البيزنطة وسماها القسطنطينية نسبة إليه . واعتز الدين المسيحى به فأصبح دين الحكومة الرسمى . . اه .

وهذا تصوير مندمج الحلقات متداخل الأطوار غامض الأسباب ؛ فإن قسطنطين لم يؤمن بالمسيحية إلا عند الموت ، ولما عمدوه عمدوه على مذهب أريوس المصرى الموحد .

ويقول الأستاذ زكى شنودة « إن آريوس سعى عند الامبراطور للعفو عنه فأرسل الامبراطور طلباً بذلك إلى اثناسيوس ، ولكن اثناسيوس رفض الطلب فثارت ثائرة الامبراطور وعفى عن آريوس ففرح أنصاره . . اه .

ولم يذكر لنا الأستاذ شنودة لما عفى الامبراطور عن آريوس رغم أنف أثناسيوس ؟

http://kotob.has.it

تلك بعض الشواهد التى تعطينا نماذج لمنطق الكاتبين فى العقائد المسيحية أما الكاتبون فى التاريخ السياسى للقرون الوسطى فإنهم يصفون لنا التفسير الدقيق لكيفية انتقال المسيحية من عهود الاضطهاد إلى عهود الأمان . وهل انتقل قسطنطين من بوذيته إلى مذهب التثليث الذى كان يدعو إليه اثناسيوس إلى مذهب التوحيد الذى كان يدعو إليه آريوس ؟ ثم يوضحون لنا علل ذلك كله …

قسطنطين والعهد الذهبي للمسيحية :

يقول شارل جنيبير :

. هيأت الظروف الحل الوسط ، كما ساعدت على الاسراع به ، فقد انتهى الأمر بالامبراطور جالير - وكان أشد المضطهدين للمسيحية حماسا - عام ٣١١ م أن تكشف له عقم جهوده فاضطر إلى التراجع أمام العقبات التى أثارها لحكمه عناد الكنيسة الهائل ، واستسلم لفكرة التسامح مع المسيحيين ثم مات بعد ذلك بفترة قصيرة .

. ثم أصبح موته مجالا لتنافس عدد كبير من طالبى الحكم الذين حاول كل منهم استرضاء الأنصار وكسب أكبر قدر من التأييد من طوائف الشعب المختلفة .

. وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة أن تبيع تأييدها معتمدة على ما تملكه من قوى تجعل منها حليفاً يعتز به كل طالب للحكم .

. وكان أحد المتنافسين على العرش وهو قسطنطين رجلا موثوقا به لديها بل رجلا سبق له تقديم الدلائل على نيته الحسنة تجاه المسيحية ، ولم يكن قسطنطين قد تحول بعد إلى المسيحية ، غير أنه كان ذا فكر تأليفى واسع الآفاق ، وكان مثله فى ذلك مثل أبيه قسطنطين كلوروس الذى يرى أنه تجاهل

http://kotob.has.it

خلال ولايته لبلاد الجول آخر قوانين الاضطهاد ـ كان يوفق فى رحاب ضميره بين احترامه لدين الأجداد العتيق وبين خوفه من إله المسيحيين ، ثم كان بالإضافة إلى ذلك يصل الكثير من القسس الذين اعتادوا التردد على أبيه ويدرك مدى استعدادهم لمؤازرة الحكام ويعرف تمام المعرفة أنهم ليسوا بالذين يرفضون ـ فى الواقع العملى ـ التنازل للدولة عن أهم ماتطلب منهم التنازل عنه فى سبيل الحفاظ على مقومات الحكم ، اهـ

لكن لماذا فعل قسطنطين هذا مع أنه لم يعتنق بعد المسيحية ؟

يجيب شارل جنيبير بقوله :

« لقد نمى إليه أن منافسه ماكسنتيوس Maxentius كان يدعم قوى جنده الوافر العدد الشديد البأس بتأييد سائر الآلهة الوثنيين الذين أقام لهم الصلوات وذبح لهم القرابين ، بل ونمى إليه أيضاً أن هذا الأمير نفسه كان يستعين بالسحر وبالسحرة ... فلم يبق لقسطنطين إلا أن يستعين بالمسيحيين » اهـ

فمن أجل الحصول على نصر سياسى سعى قسطنطين إلى الذهاب بعيداً مع المسيحيين ونقلهم من الليل المظلم وهم يستخفون تحت الضباب فى الليل الدامس إلى النهار السياسى المضىء ببريق الآمال لأنهم تعبوا من إراقة الدماء ولذع السياط ... وأبدوا استعدادهم للعيش فى رحاب الدولة .

وكم كان دقلديانوس يحاول إخضاعهم للدولة بأسلوب العنف فعاندوا ...

لكن قسطنطين الوثنى غلبهم بحيلة ماكرة فأعلن غداة انتصاره على خصمه « ماكسنتوس » فى موقعة « جسر ملفيان » MILvian bridge بإيطاليا سنة ٣١٢م مرسوم « ميلان » ـ أملا سياسياً ـ حتى يتم له فتح الجزء الشرقى من

http://kotob.has.it

الامبراطورية بعد أن تم فتح الجزء الغربى ، لأن المسيحية كانت متمركزة فى القسم الشرقى أكثر من القسم الغربى [1] .

ومهما يكن من أمر فإن مرسوم « ميلان » هذا جعل من المسيحية ديانة مرخصة ، كما ساوى بينهـا وبين غيرها من الديانات الأخرى داخل الإمبراطورية الرومانية .

ومن هنـا يبدو أن سياسة قسطنطين الدينية تمثل حلقة انتقال ، كما أنها تعبر عن تطور فـكرى أكثر منها عن تحول روحى على نحو ما ذكره اوستروجراس Ostrograsky .

فالتحول من عهود الاضطهاد إلى عهود الأمن واستقرار سببه قبول رجال الـكنيسة التنازل عن كثير من المبادىء والخضوع لسلطة الدولة ورغبة قسطنطين فى الحصول على اتباع أكثر ، فهو تحول سياسى لمصلحة الطرفين الـكنيسة من جانب والدولة من جانب آخر .

يقول المؤرخ الانجليزى «فيشر» فى كتابه تاريخ أوربا العصور الوسطى القسم الأول « ... ومع ذلك يبدو أن الغرض الذى هدف إليه قسطنطين بميله إلى جانب المسيحيين ظل غير واضح للعيان ، وذلك حتى انتصاره المبين فى وقعة جسر « ملفيان » سنة ٣١٢م ، إذا بات الامبراطور يؤمن بالمسيح وبإله الشمس القهار ، فحبا المسيحيين بكثير من التسامح على حين احتفظ لنفسه بمنصب الـكاهن الأعظم Pontifex Maximums وهو المنصب الإمبراطورى فى الديانة الرومانيـة الوثنية ، ثم إن العملة فى أيام قسطنطين ضربت وعلى وجه منها علامة الصليب وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس ، وانقضى من عهد قسطنطين ما يزيد على عشر سنين قبل أن يصدر

---

1 — Iden. p. 57 Cammed. Hit. Vol. 1 pp. 5—6.

http://kotob.has.it

الأمر بعقوبة الجند على تقديم القرابين إلى « جوبيتر » كبير آلهة الرومان ، أو أن يستبعد الشعائر الوثنية من حفلات الإمبراطورية الرسمية اﻫ

يقول لوت Lot : « أما بلاطه فقد أصبح يغص بالأساقفة والقساوسة من مختلف المذاهب المسيحية جنباً إلى جنب مع الكهنة والفلاسفة الوثنيين، هذا فى الوقت الذى صارت وظائف الدولة الكبيرة قسمة بين الوثنيين والمسيحيين ، كما نقشت على نقوده شارات المسيحية والوثنية اﻫ

فعندنا الآن كاتبان من الغرب المسيحى وهما كذلك مسيحيان يريان أن قسطنطين أعطى إذناً بالأمان للمسيحيين كفكرة سياسية محضة من أجل الحفاظ على مقومات الحكم ، وأن بلاطه الإمبراطورى كان ممتلئاً برجال الدين من المسيحيين والوثنيين على السواء ، وأن شعار الدولة جمع كذلك بين رمزى الديانة المسيحية والوثنية ، وكذلك العملة المالية رسم عليها شعار مزدوج يرمز للدين المسيحى والدين الوثنى .

فهل كان قسطنطين مسيحيا فمتى كان مسيحياً ؟ وما نحلته ؟

أما أن قسطنطين مسيحى الديانة فذلك أمر اختلف فيه المؤرخون المسيحيون .

يقول « اوسترجراس » Ostrograsky « الواقع أن توجد أدلة كثيرة تثبت إيمان قسطنطين بالمسيحية ، كما توجد أدلة أخرى عديدة توضح استمرار اعتقاده فى الوثنية » اﻫ

يقول المؤرخ كيم Cam « ... فإن قتل قسطنطين لزوجته وولده يدل على أنه لم يتأثر إطلاقاً بتعاليم المسيحية وأخلاقها .

وهكذا يمكن القول بأن قسطنطين ظل حتى أواخر حياته وثنيا مع الوثنيين ، وأثناثيوسيا مع الاثناسيوسيين ، وأريوسيا مع الأريوسيين » اﻫ

http://kotob.has.it

يقول المؤرخ فيشر : « فالواقع أن الكنيسة المسيحية باتت مذئذ متمتعة بحماية السلطات المدنية ومع أن الامبراطور لم يعتنق المسيحية رسمياً ، ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٨ » اه .

وعلى فرض قبول رأى المستر فيشر فهل كان تعميد قسطنطين على مذهب اثناسيوس القائل بالتثليث أو على مذهب آريوس القائل بالتوحيد ؟

الكاتبون من المسيحيين فى العقائد المسيحية يحاولون طمس هذه الحقيقة ولكن الكتاب للتاريخ منهم يفضحون الأمر فضيحة سافرة يقول بينس Byncs « لعـــل بقاء المذهب الآريوسى فى الشرق كان من العوامل التى أدت بالامبراطور قسطنطين إلى تغيير رأيه فاستدعى آريوس من منفاه سنة ٣٢٧ م .

ونستطيع أن نعلل هذا التغيير الذى طرأ على مسلك قسطنطين بما كان يعتزم من نقل عاصمته إلى القسطنطينية وهو الأمر الذى تم فعلا سنة ٢٣٠ مما استلزم استرضاء أهالى الجزء الشرقى من الإمبراطورية »[1] .

ويؤكد هذا المعنى المؤرخ فاسيليف Vasiliev « أن قسطنطين كان على استعداد تام لتغيير ميوله المذهبية بل الدينية — وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية ، ذلك أن ظل يؤيد المذهب الاثناسيوسى طالما كانت عاصمته فى الغرب وطالما اعتمد على الغرب فى قوته ، ولكنه عندما شرع فى نقل عاصمته إلى الشرق وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان القسم الشرقى من الامبراطورية لم يجد غضاضة فى تغيير عقيدته أو ميوله نحـــو المذهب الآريوسى ... ولم يلبث أن توفى أريوس سنة ٣٣٦ ، ولم يلبث أن لحق به الامبراطور سنة ٣٣٧ بعد أن تم تعميده على فراش الموت وفق مبادىء المذهب الأريوسى .

1—Bynes. op. cit. pp. 26—30.

http://kotob.has.it

فقسطنطين عطف على المسيحية سياسياً من أجل الحفاظ على مقومات النصر له على خصمه ، ثم دافع عن مذهب التثليث الاثناسيوسى طالما كانت عاصمته فى روما . ومن أجل ذلك رأس مجمع نيقية عام ٣٢٥ وقرر طرد آريوس فلما احتاج إلى نقل عاصمته إلى القسم الشرقى الذى توجد به أكثرية مسيحية تعتنق مذهب أريوس أحضره وعفا عنه وعقد له مجمع صور سنة ٣٣٤ وألغى قرار الطرد ، ومال إلى المذهب الأريوسى . ولما مات تعمد على بروتوكرل مذهب أريوس الموحد فالأمر لايعدو التلاقف السياسى من شخصية ذات وزن فى المعيار العسكرى والسياسى ، وليست بذات وزن فى الميعاد الاجتماعى .

ذلك أنه إذا سئل من هو قسطنطين هذا ؟

أجاب المؤرخ الإنجليز « فشر » فى كتابه تاريخ أوربا القرون الوسطى القسم الأول :

وكان قسطنطين ابناً غير شرعى لضابط رومانى يرجع أصله إلى إقليم إيلليريا من صاحبة حانة بمدينـــة نيش بالصرب الحالية ، وتولى أبوه الامبراطورية على النظام الدقلديانوسى ، فلما مات بمدينة يورك ببريطانيا نادت حاميتها الرومانية بقسطنطين امبراطورا سنة ٣٠٦ م حسب الطريقة الوبيلة التى عمل دقلديانوس ماعمل من اصطلاحات ابتغاء الحيلولة دون وقوعها بعده[١] .

فهو ابن غير شرعى من امرأة ساقطة .

ووصل إلى الحكم بالأسلوب الدموى .

---

(١) تاريخ أوربا القرون الوسطى القسم الأول ص ٤ .

http://kotob.has.it

ذلك هو الرجل الذى نقل إلى المسيحية فى رحاب ملكه من عهود الاضطهاد إلى عهود الأمان والاستقرار ...

وهو الرجل الذى شهدت فى عهده المسيحية انقساماً مريراً كان أخطر على كيانها من اضطهاد الجلادين ... وبسبب ذلك كانت المجامع ...

المجمع المسكونى الأول

مجمع (نائيس) نيقية سنة ٣٢٥ م

سبب انعقاد المجمع :

يقول الأستاذ زكى شنودة :

كان السبب الرئيسى لعقد المجمع هو النظر فى بدعة أريوس الذى نادى بأن « يسوع المسيح ليس أزلياً وإنما هو مخلوق من الآب ، وأن الإبن ليس مساوياً للآب فى الجوهر » .

فى حين أن الكنيسة تؤمن بأن يسوع المسيح قد ولد من الآب لا من العدم ، وأنه مساو له فى الأزلية والجوهر .

فأراد الملك قسطنطين أن يحسم النزاع ضماناً للاستقرار الأمن فى الدولة بعد أن ضمنت الحكومة للمسيحيين فى مرسوم ميلان حرية التعبد جهاراً . فأرسل بذاته رسائل إلى الفرق المتخاصمة ... وفى هذا يقول ابن البطريق فى تاريخه .

بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان لجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع فى مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة (٢٠٤٨) وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان :

http://kotob.has.it

• فمنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهـــان من دون الله وهم البرابرانية ويسمون : الريميتين[1] .

• ومنهم من كان يقول : إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها ، وهى مقالة سابليوس .

• ومنهم من كان يقول : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب .

• ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، ويرون أن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بالروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية

• ومنهم من كان يقول : إنهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح وطالح وعدل بينهما وهى مقالة مرقيون وأصحابه ، وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين ، وأنكروا بطرس .

• ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح وهى مقالة بولس الرسول .
[وهى مقالة الثلثمائة وثمانية عشر أسقفا] اه

وقائع الاجماع :

يقول الأستاذ زكى شنودة :

---

(١) جاء فى مقال الأنبا شنودة (البابا شنودة ، حالياً) الذى نشرته مجلة الهلال عدد ديسمبر ١٩٧٠ قوله فى التعليق على آية القرآن الكريم : «وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » قال الأنبا شنودة والمسيحية لم تقل فى يوم من الايام بألوهية العذراء . وهذا النص يرد عليه»

http://kotob.has.it

وعند افتتاح جلسات المجمع دخل الامبراطور قسطنطين وتصدر الاجتماع ، ثم ألقى خطاباً حض فيه على فض المشاكل بالحكمة ، ثم طلب إلى أريوس أن يشرح مذهبه فقال :

إن الابن ليس مساوياً للآب فى الأزلية وليس من جوهره ، وقد كان الآب فى الأصل وحيداً فأخرج الابن من العدم بإرادته ، والآب لا يمكن أن يراه أو يكيفه أحد ولا حتى الابن ، لأن الذى له بداية لا يعرف الأزلى ، والابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب .

وعندئذ دارت مناقشة حادة بين أريوس ، وأثناسيوس رئيس شمامسة الاسكندرية جاء فيها :

أريوس : إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا : خلقنى أول طرقه

أثناسيوس : معنى خلقنى هنا ولدنى كما ورد فى داود النبى أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك .

أريوس : إن الابن قال : أبى أعظم منى ، فالابن إذن أصغر من الآب ولا يساويه فى الجوهر .

أثناسيوس : إن الابن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح من نفس النص إذ يقول السيد « لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت إنى ماض إلى الآب لأن أبى أعظم منى .

أريوس : أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فذكر أنه قال : السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساوله .

أثناسيوس : يعنى أن الابن بولادته الأزلية من الآب قد ملك كل سلطان

أريوس : إن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله : وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات إلى الآب وحده

http://kotob.has.it

فإذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلها ؟

أثناسيوس : إن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه .

أريوس : إن المسيح قال : أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتى بل مشيئة من من أرسلنى ، وإذن فهو عبد للآب ودونه .

أثناسيوس : إن المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب كونه إلها صار إنساناً كقوله : إلهى إلهى لماذا تركتنى ، وبصفته إلها من رآنى فقد رأى الآب ، وقال : أنا فى الآب والآب منى ...

أريوس : إن يوحنا قال فى بشارته عن الآب : كل به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان ، فهذا القول يدل على أن الابن آلة استخدمها الآب لصنع الخلائق ، فالابن ليس إلها خالقا .

أثناسيوس : إن الآب خلق بالابن أى بواسطة الابن الخالق كما يقال بنى الملك المدنية بإبنه . . ؟

أثارت هذه المناقشة فوضى وإنقساماً أنهاها قسطنطين بالجنوح إلى مذهب القائلين بأن يسوع إله وهو مذهب بولس وكان عددهم ٣١٨ من مجموع الحاضرين ٢٠٤٨ على نحو ما اعترف به ابن البطريق فى تاريخه والأستاذ شنوده

وهنا يبدو سؤال : لماذا مال قسطنطين إلى رأى الأقلية ؟

يقول فيشر . إن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالا إلى جو غريب تمام الغرابة ، أو شعوراً بانقلاب مباغت مفاجىء ، بل يبدو الولوج فى المسيحية عملية رفيقه فى كثير من التدرج الشعورى والعاطفى ، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ، فالديانة القديمة من طقوس وأسرار . . يضاف إلى ذلك إن القول بوجود واسطة بين الله والناس أمر مألوف ، اهـ

http://kotob.has.it

وإذن فإن ميل قسطنطين إلى رأى الأقلية فى مجمع نيقية الأول كان باعثه هو التذبذب بين التثليث الوثنى والمذهب الأثناسيوسى .

ويوم أن يصطدم هذا المذهب مع مصالح قسطنطين السياسية فسوف يعود إلى مذهب أريوس على نحو ما مضى وما سيأتى فى مجمع صور القادم عام ٣٣٤ م

نتائج المجمع :

يقول الأستاذ شنودة :

- وقد حكم المجمع على أريوس بحرمانه ونفيه وحرق كتبه .
- ووضع الجزء الأول من قانون الإيمان ابتداء من عبارة نؤمن بإله واحد . . حتى عبارة « وليس لملكه انقضاء » اه

[يعنى الثمانية أسطر التى فى الوسط] ص ١٤٢ - ١٤٣ تاريخ الأقباط ج ١

- وحرمان كل من يخرج على هذه العقيدة . .
- وحدد اليوم الذى يقع فيه عيد الفصح .
- ووضع عشرين قانوناً تتضمن بعض النظم الكنسية ، والأحكام الخاصة برجال الاكليروس . .

والذى يحدو إلى السؤال هو كيف يتصدى قسطنطين الوثنى لرياسة المجمع الأول .

وكيف يؤخذ برأيه فى عقيدة هو لا يؤمن بها فقد أجمع المؤرخون على أن قسطنطين ظل وثنياً إلى مرض الموت فسمح بتعميده على مذهب أريوس .

وما هى مصدرية القول بقانون الايمان ، إذ لم يرد فى الأناجيل ولا فى أعمال الرسل ووصاياهم شىء كهذا ؟

وهل قانون الإيمان الذى وضع شطره الأول بمجمع نيقية كامل فى مادته أو ناقص سوف يكمل فيما بعد . . ؟ وما قيمته الدينية بالنسبة إلى عدم اعتماده على مصدر من الوحى ؟

http://kotob.has.it

. وهل رأى الأقلية المغلوبة على أمرها يحترم عرفاً وقانوناً ؟

إذن أن قسطنطين دعا ٣١٨ أسقفاً وهم الذين مالوا إلى القول بألوهية يسوع وبالواسطة لجمعهم وقال لهم : «قد سلطتكم اليوم على مملكتى لتصنعوا ماينبغى لكم أن تصنعوه مما فيه قوام الدين ، وصلاح المؤمنين » .

فأى دين كان يريد قسطنطين قوامه ، وأى المؤمنين كان يريد صلاحهم[1] ؟.

مجمع صور عام ٣٣٤ م

يقول فاسيليف : عندما شرع قسطنطين فى نقل عاصمته إلى الشرق ، وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان القسم الشرقى من الامبراطورية لم يجد غضاضة فى تغيير عقيدته أو ميوله نحو المذهب الأريوسى » اه

وهكذا ... تم عقد مجمع صور سنة ٣٣٤ م لإلغاء قرارات مجمع نيقية السالف ، وقرر العفو عن أريوس وأتباعه ، وبذلك دارت الدوائر على اثناسيوس الذى عزل فى العام التالى ونفى إلى تريف بفرنسا حيث ظل حتى أطلق سراحه الامبراطور جوليان ٣٦١ - ٣٦٣ م الذى كان بحكم وثنيته لايهتم بأمر الأريوسيين أو الاثناسيوسيين على نحو ماذكره المؤرخ لوت LOT وهذا المجمع لايذكره المسيحيون بالتصريح وإن كانت كتاباتهم لاتستطيع إغفاله .

يقول الاستاذ شنوده :

أما تعاليم آريوس فقد انتشرت بعد موته أكثر مما انتشرت فى حياته ، وأصبحت خطراً حقيقياً يهـــدد الكنيسة بالانهيار ، وقد اشتد ساعد الآريوسيين بمعاضدة الأمبراطور ... فصمد لهم البابا اثناسيوس » اه

(١) راجع باستفاضة كتابنا : أضواء على المسيحية ط الكويت عام ١٩٦٨ م

http://kotob.has.it

فالاستاذ شنوده : يذكر انتشار مذهب آريوس بعد موته ، وأنه أصبح خطراً بمعاضدة الامبراطور ، لكنه لم يذكر لنا من هو الامبراطور هذا الذى عاضد آريوس ؟

ولم يذكر لنا كيف عاضد هذا الامبراطور آريوس ؟

وكذلك فعل الأخوان : شحاده ونقولا خورى : فقد ذكرا أن مجمعاً عقد فى صور بأمر ملكى دون أن يوضحا لنا مهمة هذا المجمع ولا قراراته وعبارتهما :

« وكان مكسموس هذا قد فقدت عينه ورجله فى أثناء الاضطهادات السابقة ، وفى أيامه عقد مجمع كنائس فى مدينة صور بأمر ملكى شهده آباء الكنيستين الأنطاكية والاسكندرية ، وبعد انتهاء الاجتماع زاروا مدينة أورشليم . . » اه

فكأن هناك اتفاقا وجدانياً . أو كأن هناك إصطلاحاً فكرياً بين كتاب التاريخ الكنسى على اغفال ملابسات مجمع صور ٣٣٤ م الذى ألغى فيه قسطنطين قرارات مجمع نيقية ٣٢٥ م بسبب تغير ظروف السياسة من الغرب إلى الشرق داخل أمبراطوريته .

وإذن فالمجامع والعقائد فى يد الأمبراطور كالكرة فى يد الطفل يقذف بها فى الاتجاه الذى يحلو له ... فمرة مع اثناسيوس المصرى لأنه يقول بعقيدة تتفق مع ميول الأمبراطور مادام يقيم فى عاصمته بالقسم الغربى ، ومرة مع آريوس المصرى الذى طرد وشرد لأن آراء آريوس تتحقق أهدافاً سياسية للأمبراطور فى القسم الشرقى الذى سينقل عاصمته إليه ...

http://kotob.has.it

المجمع المسكونى الثانى

المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١ م

(انفصال الكنيسة سياسياً)

سبب انعقاد المجمع :

كان قسطنطين قد قسم الأمبراطورية قبل وفاته بين أبنائه الثلاثة :

فأخذ قطسطنين الثانى الغرب .

وأخذ قسطنطيوس الشرق .

وأخذ قنسطانس الجزء الأوسط من شمال أفريقيا .

يقول فاسيليف : وهنا نجد كل حاكم من هؤلاء الحكام الثلاثة يعمل على توطيد نفوذه عن طريق المذهب السائد فى بلاده .

فاتجه قسطنطيوس نحو تشجيع المذهب الآريوسى فى حين اتجه أخواه إلى تأييد المذهب الاثناسيوسى مما جعل الخلاف المذهبى يتطور إلى انقسام فى الكنيسة بين الشرق اليونانى والغرب اللاتينى .

وعندما توفى قسطنطين الثانى أصبحت مهمة الزود عن المذهب الاثناسيوسى تقع على كاهل رجال الدين فى الغرب وكان عليهم أن يتكاتفوا بعد أن توحدت الامبراطورية تحت حكم قسطنطيوس ٣٥٣ - ٣٦١ م الذى راح يعمل على فرض المذهب الأريوسى على جميع أجزاء الأمبراطورية شرقاً وغرباً بعد مقتل « قنسطانس » .

ولم يغب الأمر طويلا فلم يلبث الأمبراطور تاؤديوس ٣٧٩ - ٣٩٥ م أن عمل على إلغاء المذهب الآريوسى والانتصار المذهب الاثناسيوسى فكان مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١ م .

http://kotob.has.it

يضاف إلى هذا السبب السياسى أسباب دينية أخرى ، تلك الهرطقات التى قال بها .

مكدونيوس وهى إنكار لاهوت الروح القدس ، فقد رأى أن روح القدس مخلوق كسائر المخلوقات .

. أوسابيوس الذى أنكر وجود الثلاثة أقانيم وقال : إن الثالوث ذاتاً واحدة وأقنوما واحداً .

. أبو ليناريوس أسقف اللاذقية الذى أنكر وجود النفس البشرية فى المسيح ، واعتقد أن لاهوته قام مقام الروح الجسدية فى احتمال الآلام والموت

يقول الأستاذ شنودة : وكان الغرض من عقد المجمع محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين .

وقد عقد فى مدينة القسطنطينية بأمر الأمبراطور ثاؤديوس الكبير ، وحضره مائة وخمسون أسقفاً ... الخ اه .

لهذا فإن الكاتب المسيحى : تونل بن نعمة الله بن جرجس يروى : عن الرهبان البندكيتيون قولهم : أن المجمع الذى لم يكن أربابه إلا مائة وخمسين أسقفاً لاينضم فى سلك المجامع المسكونية إلا بعد أن يقرره جميع الكنائس ، اه .

نتائج المجمع :

. يقول المؤرخ بورى Bury فى كتابه : تاريخ رسالة الأمبراطورية الرومانية .

أعلن الأمبراطور ثاؤديوس فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م عدم شرعية المذهب الأريوسى ، كما فرض عقوبات مشددة على أتباع المذهب الأريوسى فى جميع أنحاء الأمبراطورية ، اه

. كما قرر المجمع : اثبات أن الروح القدس هى روح الله ، وهى حياته فهى من اللاهوت الإلهى .

http://kotob.has.it

• ولعن مكدونيوس وأشياعه وكل من يخالف هذا القرار من البطاركة ...

• يقول الأستاذ شنودة : ثم وضع المجمع تكملة قانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية ، وهى التى تبدأ بعبارة « نؤمن بالروح القدس » وتنتهى بعبارة « وحياة الدهر الآتى آمين » .

(يعنى الأسطر الأربعة الأخيرة) ص ١٤٣ تاريخ الأقباط ج١

(وأما مقدمة القانون فستوضع فى مجمع أفسس سنة ٤٧١ م)

• كما وضع المجمع سبعة قوانين أخرى تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها.

ملاحظة :

المثلثون من المسيحيين يستفيضون فى شرح هذا المجمع بينما هو لا يمثل مجمعاً مسكونياً فى نظر الرهبان البندكيتيون لأنه قاصر على بضعة عشرات من الأساقفة .

وهو مثل مجمع صور المنعقد عام ٣٣٤ م فيما يتعلق بانعقاده بأمر الملك ومواجهة الخصوم .

فكلا المجمعين انعقد تحت سلطان الامبراطور ، وكلا المجمعين كان يعبر عن إتجاه سياسى مضاد لكلا الإمبراطورين : الإمبراطور قسطنطين الذى جنح أخيراً إلى مذهب أريوس ، والإمبراطور ثاوديس الذى جاء مناصراً لمذهب أثناسيوس ... وكلاهما كان يمتطى المذهب الدينى الذى يضمن له رواجا سياسياً فى حكمه ومملكته ... فلم يعترف بمجمع هكذا ولا يعترف بمجمع آخر ... مع ملاحظة أن قانون الإيمان لم يكن قبل موجوداً ، وأنه بعد لم يكتمل ... والكل فى صراعه العقدى إما خاضع لنص يؤوله ؟ أو خاضع لاجتهاد فكرى تسنده بعض النصوص ... والكل تحت ظل الصليب يؤمن

http://kotob.has.it

بيسوع ... والكل فى هذا الإيمان ليس عنده دليل فقد اختلف بطرس مع بولس ، واختلف بولس مع مرقص ، واختلف بولس مع برنابا ... والاختلاف فى العقائد مازال يتطور حتى ثورة التصحيح التى ولدت كنيسة جديدة هى كنيسة مارتن لوثر ؟؟

يقول ابن البطريق وهو يصور نتائج هذا المجمع :

« زادوا فى الأمانة التى وضعها الثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا فى نيقية : الايمان بروح القدس ، الرب المحي المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والإبن مسجود له ، وأثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاثة خواص ، توحيد فى تثليث ، وتثليث فى توحيد كيان واحد فى ثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد » اه .

ولئن كان هذا الذى قاله مجمع نيقية وباركه وزاد عليه مجمع القسطنطية فأنى للبابا شنودة قوله [1] : إن المسيحية تقول :

ليس الله واحداً من ثلاثة آلهة لأنه لا يوجد سوى إله واحد لا شريك له .

وابن البطريق يقول حاكياً قرار المجمع القسطنطينى الأول :

وأثبتوا أن الآب والإبن وروح القدس ثلاثة أقانيم : وثلاثة وجوه ، وثلاثة خواص .

إن قال هى كالنار ، لها ذات هى النار ، وتتولد منها حرارة ، وينبثق منها نور ؟

قيل : العلم المادى لم يطلق على الحرارة إسم النار ، ولا أطلق على النور إسم الحرارة ، ولا قال إن الكل هو النار .

---

(١) راجع رسالته القرآن والمسيحية ص ١٥ ، ١٦ مطبعة المجد بالاسكندرية

http://kotob.has.it

مع أن تشبيه الله بالماديات أمر يرفضه العقل والدين مطلقاً .

والوجوه التى ورد ذكرها فى كلام ابن البطريق وجوه متعددة بمقتضى اللفظ والتعدد تتخالف وتتغاير ، وكذلك الخواص ... فلا سبيل إلى تأويل الخصائص والوجوه والأقانيم بأنها كل فى واحد أو واحد فى كل كما قال : تثليث فى توحيد أو توحيد فى تثليث ؟

فإلى أى منطق يكون هذا الكلام أقرب ؟ إن هذا الكلام لا يسنده نص من كلام يسوع ولا نص من كلام حوارى مخلص ، ولا من كلام محررى تاريخ المسيح .

يقول مسيو شارل جنيبير : والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى : أن عيسى لم يدع قط أنه المسيح المنتظر ولم يقل عن نفسه أنه « ابن الله » وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل سوى خطأ لغوى فاحش وضرب من ضروب السفه فى الدين أ هـ .

كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التى استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع .

المجمع المسكونى الثالث

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م

(الصراع على السلطة بين الكنيستين)

الجو الذى سبق إنعقاد المجمع :

كانت الكنيسة فى الشرق قد أسلمت زمامها للأباطرة الذين ازداد تدخلهم فى الشئون الدينية للكنسية حتى غدا من العسير توقف تدخل

http://kotob.has.it

الامبراطور البيزنطى فى شئون الكنيسة الشرقية وأصبح الامبراطور فى القسطنطينية يمثل نوعا من القيصرية البابوية Caesaro Papism التى تعنى : الجمع بين السلطتين السياسية والدينية .

ومن الواضح أن هذه السياسة وضع أسسها قسطنطين نفسه منذ اعترافه بالمسيحية وإنشائه القسطنطينية .

أما فى الغرب فقد كان الوضع مختلفاً لأن الامبراطورية الغربية أصيبت بالضعف بعـــد انقسام العالم الرومانى فلم تتمكن من فرض سيطرتها على الكنيسة ، وهنا وجد رجال الكنيسة الغربية فرصتهم بل ضالتهم المنشودة فى أسقف روما ليجعلوا منه إمبراطوراً دينياً فعملوا على تحويل كرسى أسقف روما إلى بابوية تكون لها السيادة العليا على الكنيسة فى مختلف بلدان العالم .

وهنا قام التنافس بين روما والقسطنطينية حول الزعامة الدينية على العالم المسيحى .

القسطنطينية تعتمد على أنها مركز الأباطرة ، ومحل إقامتهم فبسط سلطان أسقفها على العالم المسيحى تابع للبسط السياسى لسلطان الإمبراطور .

وروما ترى أنها خزانة التراث المسيحى منذ رحل إليها بطرس وهكذا قام الصراع ... وانعكس ذلك على إبداء الرأى فى المسائل الدينية التى كانت تعرض على المجامع . وكان مجمع أفسس الأول ٤٣١ م من مثار هذا الصراع .

أسباب إنعقاد المجمع :

السبب فى عقد هذا المجمع على نحو ما ذكره الأستاذ شنودة ونقولا

http://kotob.has.it

خورى ، وشحاده خورى : محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين ومنهم :

• بيلاجيوس البريطانى : الذى اعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه ولم تتسرب منه إلى نسله ، وأن الإنسان حين يولد يكون كآدم قبل الخطيئة ، ومن ثم يمكن للإنسان بمحض إرادته أن يبلغ أسمى درجات الكمال .

وعلى ذلك فإن بيلاجيوس البريطانى ينكر فكرة الفداء ...

• نسطور أو نسطوريوس : الراهب وأسقف القسطنطينية الذى نادى بانفصال طبيعة اللاهوت فى السيد المسيح عن طبيعة الناسوت ورتب على ذلك :

• أن اللاهوت لم يولد ، ولم يصلب ، ولم يقم مع الناسوت .

• عدم جواز تسمية السيدة العـــذراء بوالدة الإله ، وتسميتها أم يسوع فقط .

• وأن يسوع الظاهر ليس إلهاً ولكنه مبارك بما وهبه الله من الآيات . .

قال فى تاريخ الأمة القبطية : إن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلهاً فى حد ذاته بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة .

ويقول ابن البطريق : إن نسطور كان يرى :

أن هذا الإنسان الذى يقول إنه المسيح بالمحبة اتحد مع الآب .

ويقال إنه الله ، وابن الله ليس بالحقيقة ، ولكن بالموهبة ... اه .

وحول حضور نسطور هذا المجمع يدور خلاف .

الأستاذ شنودة ذكر : أن نسطور جاء ومعه أربعون أسقفاً من أشياعه وبذل كل جهد فى إثبات صحة معتقداته .

http://kotob.has.it

ويرى بعض المؤرخين أن نسطور وبطريرك انطاكيا علموا بما دبر لرأيهم من لعن وطرد فلم يذهبوا إلى المجمع .

وقد حضر هذا المجمع مائتان بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير أو ثاؤديوس الصغير .

نتائج المجمع

— لعن نسطور ونفيه إلى مصر .

— مريم العذراء أم الله .

— للمسيح طبيعتان : واحدة لاهوتية ، والأخرى ناسونية بشرية .

— وضع مقدمة قانون الإيمان من قوله « نعظمك يا أم النور الحقيق » إلى قوله « يا رب أرحم يا رب آمين » .

(يعنى الأسطر الخمسة الأولى)

(فيكون قانون الإيمـان قد ألف على فترات ثلاث .

فى مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م وضع وسطه المكون من ثمانية أسطر .

فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م وضعت مؤخرته المكونة من أربعة أسطر .

فى مجمع أفسس سنة ٤٣١م وضعت المقدمة المكونة من الأسطر الخمسة الأولى .

وكل فقرة من قانون الإيمن لتأليفها سبب :

فعند ما قال أريوس إن الابن أصغر ومخلوق : وضع المجمع الفقرة الوسطى .

وعند ما قال مكدونيوس أن روح القـــدس مخلوق : وضع المجمع الفقرة الأخيرة .

http://kotob.has.it

وعند ما قال نسطور إن مريم ليست أما لله : وضع المجمع المقدمة .

فهل القول بطبيعتين للمسيح توافق عليه الكنيستان : الشرقية ، والغربية ؟

المجمع المسكونى الرابع

يقول الأستاذ ميشيل جرجس فى كتابه الكنيسة المصرية :

يوجد مجمعان بهذا الاسم وهما .

١ — مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م .

٢ — مجمع خليقدولية سنة ٤٥١م .

أولا : مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م .

(أعاصير الخلاف)

سبب انعقاد المجمع :

كان أوطاخى رئيس دير بالقرب من القسطنطينية قد تطرف فى الجدل مع الأريوسيين فقال إن طبيعة المسيح الناسوتية اندمجت فى اللاهوتية فعقد أسقف القسطنطينية له مجمعاً محلياً لمحاكمته على هرطقته وحكم عليه بقطعه من الكنيسة .

هذا الحكم لم يرق أوطاخى فأرسل التماسا إلى الامبراطور ثاوديوس الصغير فعقد له مجمعاً برياسة بابا الاسكندرية « ديسقورس » وحضر هذا المجمع يوليوس نائباً عن أسقف روما ، وناقش المجمع « أوطاخى » فاعترف بتمسكه بقانون الإيمان النيقى فحكم المجمع ببراءته .

هذا القرار الذى صدر من هذا المجمع الذى ترأسه بابا الاسكندرية لم يصحب مزاج أسقف روما فلم يعترف به .

http://kotob.has.it

فلما مات الامبراطور تيوديسيوس (ثاوديوس) طاب لأسقف روما وكان على صلة طيبة بـ « مركيانوس » خليفته أن يعقد مجمعاً آخر النظر فى قرارات مجمع أفسس الثانى فوافق ...

ومن هنا برزت عضلات الخلاف المذهبى والسياسى بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية وأن للتصدع بينهما أن يبدو من خفاه .

ثانياً : مجمع خلقيدونية ٤٥١ م .

(تحقق انفصال الكنيستين مذهبياً)

سبب انعقاد المجمع :

(١) سعى أسقف روما إلى عقد مجمع يناهض قرارات مجمع أفسس الثانى . فانعقد المجمع أولا فى مدينة القسطنطينية وقد حضر البابا « ديسقورس » بطريرك الاسكندرية ومعه أساقفته وذلك للنظر فى قضية : هل للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية ، أو طبيعة واحدة .

يقول بطريرك الاسكندرية : هما طبيعتان فى طبيعة واحدة : إنهما اللاهوت والناسوت التقيا فى المسيح ويسمى هذا المذهب بمذهب الطبيعة الواحدة . Monophysite

وتقول الكنيسه الغربية بالطبيعتين والمشيئتين ويسمى بالمذهب الملكانى الذى يرى أن المسيح له طبيعتان : فهو إله من طبيعة أبيه ، وهو بشر من طبيعة أمه ، يقول بورى المؤرخ Bury : هذه المشكلة استمرت قائمة تمثل سبباً للخلاف الدينى والتباعد بين الشرق والغرب ويقول (دوشى) Duche نلاحظ أن الخلاف حول تفسير بعض المسائل الدينية كان دائماً من العوامل التي زادت من اتساع الفجوة بين الكنيستين : الشرقية والغربية .

http://kotob.has.it

وكان سبب ذلك الخلاف فى الأصل الحقيق هو طموح الكنيسة الغربية للسيطرة على العالم المسيحى بما فيه الكنيسة الشرقية على نحو ما ألمحنا إليه سابقاً .

سير الأمور فى جلسات المجمع .

يقول الأستاذ زكى شنوده :

وقد اشتد الخلاف بين الفريقين فى اليوم الأول حتى إذا كان اليوم الثانى منع البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسات . واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق وحكموا بعزل ديسقورس ونفيه ، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين مخالفين بذلك قانون الإيمان » ا . هـ

وبمقتضى هذا الحكم غضبت الكنيسة الشرقية وسمت هـــذا المجمع بمجمع اللصوص ، وعارضه بطريرك القسطنطينية وأعلن عدم احترامه للقرارات فأمر رئيس المجمـع بحرمانه وطرده ، لحدث عراك شديد وصخب عنيف .

(ب) ولما وقعت هذه المشاكسات والفوضى أمر الامبراطور «مركيانوس» وزوجة الإمبراطور بوليخيريا ، فانتقل المجمع من مدينة القسطنطينية إلى البسفور فى مدينة « خليقيدونية ، وانتهى إلى القرارات التالية .

نتائج المجمع :

• المسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعـة واحدة فالألوهية طبيعية ، والناسوتية طبيعية ، التقيا فى المسيح .

• لعن ديسقورس وكل من يشايعه فى مقالته ونفيه إلى فلسطين .

http://kotob.has.it

• أبطال قرارات مجمع أفسس الثانى المنعقد بتاريخ ٤٤٩ م .

يقول الأستاذ زكى شنوده : ولا تعترف الكنيسة القبطية بمجمع خليقيدونية ولا بقراراته ، كما لا تعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك . ومن هنا فقد ظهر التصدع الذى كانت تخفيه المجامع داخل أسوارها المغلقة .

ويستنتج الأستاذ شنوده فى آخر البحث الخامس الذى عقده للحديث عن المجامع يستنتج : أن هذه المجامع كانت فى بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحى ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة فى يد الامبراطور لتنفيذ أغراضه مستغلا فى ذلك بعض الأساقفة وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان » .

ولكنه استنتاج يرفضه سرده هو للأحداث بأن المجامع من أول لحظة أقيمت فيها وهى تحت سلطان الدولة ولنرجع إلى مقتطفات من كلامه هو لنستبين منه الدليل .

• قال فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م : وقد عقد فى نيقية عاصمة بثينيه بآسيا الصغرى فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر الامبراطور قسطنطين الكبير وقد حضره بنفسه .

ويقول :

وعند افتتاح جلسات المجمع دخل الامبراطور قسطنطين وتصدر الاجتماع ثم ألقى خطابا حض فيه على فض المشاكل بالحكمة » .

• وقال فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م : وقد عقد فى مدينة القسطنطينية بأمر الامبراطور ثاوديوس الكبير .

http://kotob.has.it

. وقال فى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م : وقد عقد فى مدينة أفسس بأمر الامبراطور ثاوديوس .

. وقال فى مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م : وقد عقد مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ ميلادية بأمر الامبراطور تاوديوس .

. إلا فى مجمع خليقيدونة سنة ٤٥١ ميلادية فلم يذكر اسم الامبراطور الذى أمر بانعقاده ... فدلت هذه النصوص على أن ما قاله الأستاذ شنوده ليس مستقيما ، لأن المجامع كلها التى تعترف بها الكنيسة القبطية كانت بأمر الامبراطور ... والمؤرخون السياسيون يقررون أن الأباطرة جميعاً استخدموا الدين سلاحا لكسبهم السياسى ... ولو كانت المجامع حقا للدفاع عن الايمان لما تركت أعمال الحواريين التى لا يوجد منها شىء فى قانون الإيمان ولا فى وقائع عمل المجامع خاصة فيما يتعلق بالعقيدة التى هى لب الإيمان ...

انقسام الكنيسة الأرثوذكسية

ولئن وجدنا الأستاذ زكى شنوده وهو يصور لنا موقف الكنيسة المصرية القبطية برفضها قرارات مجمع خليقيدونية ٤٥١ م . ويرى أن هذا المجمع وما جاء بعده كان أداؤه فى يد الامبراطور من أجل تحقيق طموح لبعض الأساقفة ...

لئن كان ذلك هو مذهب الكنيسة المصرية فإن كنيسة أورشليم الأرثوذكسية تعترف بقرارات مجمع خليقيدونية هذا يوضح ذلك بالنصوص السافرة الأخوان شحادة ونقولا خورى فى كتاب : تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ، يقولان « ومات بطرس أسقف القبائل العربية فخلفه افسكولاوس ثم يوحنا الذى صحب « يوفيناليوس » مع عدة أساقفة

http://kotob.has.it

من فلسطين لحضور المجمع المسكونى الرابع الذى عقد فى خلكيدون سنة ٤٥١ م على عهد الإمبراطور « مركيانوس » ضد هرطقة « افتيشيس » وديوسقورس القائلين ، بأن فى المسيح طبيعة واحدة فقط ، وكان عدد آبائه ستمائة فعلموا أن فى المسيح طبيعتين متحدتين بدون اختلاط ولا انفصال ، وقد تقرر فى هذا المجمع بطريركية أسقف أورشليم وتأيدت سائر مطالبه المذكورة » آنفاً ، فكان « يوفنا ليوس » أول من سمى بطريركياً على الكرسى الاورشليمى .

فتبين من هذه الدراسة التى تستند إلى مراجع أساسية من حصيلة ما كتبه المسيحيون أنفسهم أن الكنيسة المسيحية :

أولا : تنازلت عن كثير من عنادها ورضخت لرياسة الدولة فى عهدها الوثنى تحت سلطه الامبراطور قسطنطين .

ثانياً : أن الكنيسة تمزقت سياسياً مع تمزق الامبراطورية الرومانية . فصار كل قسم منها تحت سلطة ولد من أبناء قسطنطين ، وراح كل زعيم قسم يدافع عن المذهب الذى يسود مملكته .

ثالثاً : أن الامبراطورية فى الغرب سمحت لأساقفة روما بالتفانى والتعالى حتى صار أسقف روما يطمع فى السيطرة على الكنيسة المسيحية فى أنحاء الدولة بكل أقسامها فنشأ صراع بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما .

رابعاً : تبلور هذا الصراع عند ما انعقد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م وانتهى هذا المشوار بالانقسام فى مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ م . حيث لم يعترف أسقف روما بقرارات هذا المجمع لأن رياسة هذا المجمع كانت لبابا الاسكندرية « ديسقورس » .

http://kotob.has.it

خامساً : انتصر أسقف روما بانعقاد مجمع خلقيدونيه سنة ٤٥١ م الذى تم فيه اقصاء بابا الاسكندرية ونفيه وطرده فغضبت لذلك الكنيسة الأرثوذكسية المصرية ، ولم تعترف بهذا المجمع ولا بما يليه من المجاميع فيما بعد .

سادساً : ومن هذا المجمع انقسمت الكنيسة الأرثوذكسية فى أورشليم إذ قبلت قرارات المجمع وأخذت هى الأخرى حظها فاعترف لأسقفها بالبطريركية على الكرسى الأورشليمى .

وما تزال هذه الطوائف منفكين إلى نهاية مطافهم حتى تأتيهم البينة إن شاء الله .

المجمع المسكونى الخامس

مجمع قسطنطينية الثانى سنة ٥٥٣ م

(نشأة الكنيسة اليعقوبية)

أسباب انعقاد المجمع :

كان جستين رجلا قروياً جاهلا بكل الأمور ما عدا الفنون الحربية ، واستطاع أن يصل إلى عرش الامبراطورية . ولكنه لم يعقب فاتخذ ابن اخته « جستنيان » خلفا له .

وكان جستين قد بلغ شهرة فائقة فى اضطهاده للمذهب الأريوسى والتعصب للمذهب الاثناسيوسى .

http://kotob.has.it

لكن « جستنيان » لم يكن يرمى فى سياسته الدينية إلى هذا اللون من العلاقات بين شعبي المذهبين ، بل أراد السيطرة على شئون الدولة والكنيسة معاً على اختلاف مذاهبها بحيث يصبح « جستنيان » إمبراطوراً وبابا فى نفس الوقت .

يقول المؤرخ بورى Bury « ولما كانت هذه الغاية تتطلب منه أن يقضى على الوثنيين والهراطقة قضاء تاماً ، فإن جستنيان تمسك بالمراسيم التى أصدرها أسلافه فى هـــذا الشأن ، كما أقصى كل من يدين بتعاليم الهللينية وفلسفتها عن مهنة التدريس ، كما أنه أبعد اليهود عن كافة مناصب الدولة » اهـ .

ولكنه مع هذا لم يستطع أن يتخذ موقفاً حازماً فما يتعلق بمذهب الطبيعة الواحدة « المونوفيزيقيه » وهى المشكلة التى هددت باتساع فجوة الشقاق والصراع الدينى بين كنيسة روما وكنيسة قسطنطينية .

وقد أراد جستنيان أن يسلك سبيل سلفه جستين فى القضاء على مذهب آريوس (Monophysite) لكنه لم يستطع لأن زوجته (تيودورا) وهى صاحبة الرأى المسموع عند الامبراطور منعته لميلها العقدى إلى هذا المذهب ، مما جعل الامبراطور يتأرجح بين المذهبين .

ولكن انتصار جستنيان فى إيطاليا شجعه على اتخاذ رأى حاسم يرضى زوجته ، فاستغل فرصة دخول جيوشه روما وحاول فرض المذهب المونوفيزيقيه) على البابا فجليوس Vigilius ولكنه رفض فسيق إلى القسطنطينية حيث عقد المجمع الخامس سنة ٥٥٣ م .

وسبب آخر يذكره ابن البطريق ، هو :

أن بعض الأساقفة إعتنق فكرة تناسخ الأرواح ، وسار فيها إلى

http://kotob.has.it

منتهى المدى حتى قال : إنه ليس هناك قيامة ، وبعض القساوسة زعموا أن شخص المسيح لم يكن حقيقياً بل كان خيالا ، فاجتمع لذلك المجمع الثانى القسطنطينى وكانت عدة الحاضرين أربعين ومائة (١٤٠) أسقفاً .

ونحب أن نلقى الضوء على شخصية الإمبراطورة (تيودورا) زوج « جستنيان » لندرك كيف كانت الظروف التى تعقد فيها المجامع .

يقول المؤرخ الإنجليزى فيشر المسيحى :

« . . وأدى به البحث عن زوجة فى أزقة تلك الأحياء وأوساطها إلى العثور على امرأة دلت على أنها جوهرة غالية تلك هى الإمبراطورة تيودورا التى كان أبوها قبرصياً يشتغل بترويض الدببة لملعب القسطنطينية وكانت هى قبل زواجها من جستنيان ممثلة وعاهرة . كذلك عركتها كثرة الرحلة وكثرة الشقاء حتى جمعت فى شخصها كل صفة من الصفات التى تلصق بمهنتها وتجاربها مما تشمئز منه نفوس الناس ... » اهـ [1] .

وهكذا تقع حياة المسيحية فى عهدها الذهبى بين إمبراطور جاء من غير طريق شرعى من سيدة تعمل فى حانة هو قسطنطين وبين إمبراطورة عاهرة لها من الصفات ما تشمئز منه نفوس الناس هى الإمبراطورة « تيودورا » .

نتائج المجمع :

. تأييد مذهب الطبيعة الواحدة [2] .

---

(١) تاريخ أوربا العصور الوسطى جـ ١ ص ٤٦

(٢) يحاول الكاتبون تحريف نتائج هذا المجمع فيقول ابن البطريق أن المجمع الثانى فى قسطنطينة أقر جميع قرارات مجمع خليقيدونية وليس هذا صحيحا حسب الظروف السياسية التى ذكرناها وقد وقعت أنا فى هذا الخطأ فى كتابى أضواء على المسيحية .

http://kotob.has.it

• ولعن وطرد أصحاب فكرة تناسخ الأرواح .

• وإثبات أن عيسى كان شخصية حقيقية .

• ولعن من قال إنه كان خيالا ...

وكان من آثار هذه القرارات :

• تشجيع أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة على إقامة كنيسة منفصلة حتى اليوم تعرف باسم الكنيسة اليعقوبية التى أسسها أسقف الرها يعقوب براديوس فى القرن السادس على نحو ما ذكره العلامة المؤرخ « ستفينسون » Stephenson

— إزدياد عداء البابوية للإمبراطورية الشرقية، وبالتالى محاولة إضعاف نفوذ الأباطرة البيزنطيين فى إيطاليا .

فهل تترك العقيدة والإتجاه نحو الله هكذا . ؟

أظن أن صاحب العقيدة لن يترك الناس حيارى فسوف يرسل إليهم نوراً ...

المجمع المسكونى السادس

مجمع قسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ م

(رد الفعل ونشأة الكنيسة المارونية)

سبب انعقاد المجمع :

يقول لوت Lot « وقد ظل النفور سائداً بين القسطنطينية وروما بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح حتى استولى المسلمون فى القرن السابع على الشام ومصر ، وهى المراكز الرئيسية للمذهب المونوفيزيتى (الطبيعة الواحدة) ومن ثم لم يعد الأباطرة البيزنطيون فى حاجة إلى استرضاء أهل الشام

http://kotob.has.it

ومصر ... فعمل الإمبراطور قسطنطين الرابع على استرضاء البابا «أجاثون» Agathon – ٦٧٨/٦٨١ م حتى تم عقد مجمع صدر عنه قرارات تدين مذهب الطبيعة الواحدة ووجوب التخلص منها وإعدام رسائلها وكتبها .

ويذكر ابن البطريق فى تاريخه : أنه فى القرن السابع الميلادى ظهر رجل يسمى يوحنا مارون ٦٦٧ م وكان يدعو إلى عقيدة أن المسيح له طبيعتان ولكن له مشيئة واحدة ، فانزعج لذلك أصحاب المذهب القائل بالطبيعتين والمشيئتين واجتمع لذلك ٢٨٩ تسعة وثمانون ومائتا أسقف لمحاكمة من يخالف المذهب الملكانى .

نتائج المجمع :

يقول ابن البطريق حاكياً ما جاء من قراراته عن هذا المجمع :

وقالوا : إننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الإبن الوحيد الذى هو الكلمة الأزلية الدائم،المستوى مع الآب الإله فى أقنوم واحد ووجه واحد يعرف تاما بناسوته ، تاماً بلاهوته فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين فى أقنوم واحد ... الخ .

فخرجت بذلك طائفة المارونية ، وكونت لها صفاً جديداً مع صفوف الكنائس المنفصلة من قبل كالكنيسة المصرية القبطية ومعهم الأحباش والأرمن ، والسريان ...

وكانت القرارات :

. المسيح له طبيعتان وله مشيئتان .

. لعن وطرد كل من يقول بالطبيعة الواحدة أو يقول بالمشيئة الواحدة .

http://kotob.has.it

المجمع المسكونى السابع

مجمع نيقية الثانى سنة ٧٨٧ م
(فصل الكنيسة إداريا)

سبب انعقاد المجمع :

يقول المؤرخون السياسيون من المسيحيين فاسيليف Vasiliev . «دايهل» Diehi ، « مركايس » Marcais ، « تومسون » Thompson .

إن أهم مشكلة صادفت ليو الثالث واستمرت آثارها طوال عدة قرون فى تاريخ غرب أوروبا فضلا عن شرقها هى مشكلة : عبادة الصور والأيقونات

. لقد ظهر رأى ينادى بتحريم هذه العبادة بعد أن ذاعت .

. وكان فى مواجهة هذا الرأى مؤيدون لعبادة الصور ويرونها أمراً طبيعياً .

وكان ليو الثالث نفسه والمثقفون معه من أنصار الرأى القائل بالتحريم وكان الرهبان والأساقفة من أنصار مذهب العبادة وكانت عبادة الإيقونات قد انتشرت انتشاراً سريعاً وواسعاً فى القرن الثامن مما تطلب من الامبراطور ليو الأيسورى علاجا سريعا وحاسما لهذه المشكلة .

على أن هناك من يرى أن السبب فى تضخم هذه المشكلة هو النظام الديرى ، فقد أصبحت الأديرة اليونانية ذات خطر كبير على الدولة بعد أن تضخمت ثروتها وتضاعفت ممتلكاتها وازدادت حقوقها ومسموحاتها مع الإعفاء من الضرائب .

فأصدر ليو الثالث مرسومه عام ٧٢٦ م بتحريم عبادة الإيقونات وقضى بازالة التماثيل والصور الدينية من الكنائس ، والأديرة ونفذ ذلك على

http://kotob.has.it

حياته الخاصة فأنزل رجال الإمبراطور الصليب الأكبر المقام فوق بوابة القصر الإمبراطوراطورى فى القسطنطينية ولمـــا ثار الناس أخضع ثورتهم بالقوة

عندئذ وقف البابا جريجورى الثانى والبابا جريجورى الثالث موقفاً عنيداً من سياسة « اللاايقونية » فأصدر البابا جريجورى الثالث قراراً ضد الامبراطور عام ٧٣١ م.

ولكن البابا واجه هذا القرار بقرار اقتصادى عنيف ودينى فاصل.

- فأصدر ليو الثالث قراراً بحرمان البابوية من حقوقها وأملاكها فى صقلية وجنوب إيطاليا.
- وفصل الكراسى الأسقفية فى هـذه الجهات عن سلطة البابا دينيا وقضائياً .
- وجعل هذه الأسقفيات تحت سلطان بطريرك القسطنطينية .

وهكذا جاء النزاع اللاإيقونى ليشعل النار ويزيدفيها ومات ليو الثالث سنة ٧٤١م وجاء من بعده قسطنطين الخامس ٧٤١ - ٧٧٥م فورث عن والده هــــذا الميراث الثقيل ، وهو الخلاف بين الإيقونية واللاإيقونية ، وانتهز الإيقونيين عباد الصور والتماثيل الفرصة وأشعلوا الثورة فى البلقان تلك المنطقة التى تؤمن بهذه العبادة فاعتمد قسطنطين الخامس على مساعدة الأقاليم الاسيوية وأخمد الثورة سنة ٧٤٢م ،

وكان الرجل حازما فلم يشأ أن يستمر فى استخدام العنف فعقد مجمعاً فى القسطنطينية سنة ٧٥٣ — ٧٥٤ م لتبرير السياسة الدينية فى تحريم الصور والإيقونات .

لكن البابوية ردت الدعوة وأنزلت اللعنة على كل من يحضره واعتذر

http://kotob.has.it

عن عدم الحضور بطارقة أنطاكيا وبيت المقدس والاسكندرية لأنهم كانوا في حماية المسلمين .

وبذلك فلم يحضر المجمع سوى ثلثمائة وأربعين أسقفا برياسة بطريرك القسطنطينية .

وكانت قرارات هذا المجمع الذى يعتبر مسكونيا بالاسم فقط هى :

* تحريم تصوير المسيح فى أى شكل من الأشكال .
* تحريم عبادة صور القديسين لأنها ضرب من الوثنية .
* تحريم طلب الشفاعة من مريم العذراء .

فكان هذا المجمع سلاحا قويا فى يد قسطنطين الخامس ضد أنصار الأيقونية فعمل على التنكيل بالديريين بل إنه عمل على هدم الحياة الديرية فى بلاده بمختلف الطرق والوسائل لأنه كان يصفهم بأنهم أنصار «الإيقونية»

ثم مات قسطنطين الخامس سنة ٧٧٥ م وخلفه ولده « ليو الخزرى » « ليو الرابع» فأظهر فى بادىء الحكم تسامحا تجاه الايقونيين ولكنه سرعان ماتحول إلى منهج أبيه ضدهم لما وجدهم رفعوا رؤسهم ليحاربوا الدولة ، ولكن حكمه لم يدم طويلا فمات سنة ٧٨٠ م بعد حكم قصير لم يتجاوز خمس سنوات ٧٧٥ — ٧٨٠ م فانتقلت السلطة إلى أرملته (إيرين) التى قامت بالوصاية عدة سنوات على ابنها الصغير قسطنطين « السادس » ٧٨٠ — ٧٩٧ م وهى من أمهر النساء وأشهرهن فى التاريخ وأكثرهن عنفا وميلا للشر كما يقول الكاتب الأوربى « فاسيليف » Vasiliev

ويفسر لنا المؤرخ الانجليزى فيشر عنفها وميلها للشر بقوله .

إتهم أهل روما البابا بتهمة السيمونية[١] والزنا والحنث بالأيمان فمن

---

(١) السمونية مأخوذة من سيمون وهو ساحر أراد الحصول على بركة روح =

http://kotob.has.it

يكون زعيما للفصل فى تلك القضية التى يقف فيها خليفة المسيح على وجه الأرض موقف المتهم .

هنا ، قال أصحاب الرأى بغرب أوربا : إن الفصل فى تلك القضية لايمكن أن يكون من اختصاص السيدة الاثينية الجميلة « رينى » التى أقامت نفسها إمبراطورة فى الدولة البيزنطية بالقسطنطينية بعد أن أمرت بسمل عينى ابنها قسطنطين السادس ، وحكمت عليه بالسجن ليقضى حياته فى ظلام ليس بعده ظلام ... » اه[1] .

وقد سلط الله عليها جيوش المسلمين فى عهد هارون الرشيد فدفعت الجزية عام ٧٩٨ م وحاولت التقرب من شارلمان أمبراطور الغرب الجديد بقصد الزواج منه لتوحيد الشرق والغرب المسيحى ضد الإسلام والمسلمين ولكنها فشلت وزجت فى السجون[2] .

= القدس من أحد الرسل أتباع المسيح بمال قدمه لذلك الغرض ليقوم هو على بيع هذه البركة بثمن معلوم للراغبين فى اعتناق المسيحية ، ثم نقل إلى اصطلاح كنسى فى العصور الوسطى ومعناه : تعيين رجال الكنيسة فى الوظائف الكنسية بطريقة بيع هذه الوظائف أحيانا لمن يدفعون فيها ثمنا غاليا .

وفى الاصحاح الثانى من أعمال الرسل نص يقول : وكان قبلا فى المدينة رجل اسمه « سيمون » يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلا أنه شىء عظيم » ٩ الاصحاح الثامن / أعمال الرسل . اه

(١) يقول اوستروجورسك Ostrogorsky بلغ قسطنطين السادس سن الرشد ، ولكنه لم يستغنى عن أمه التى حقدت عليه وكرهت أن يشاركها فى الحكم فدبرت له مؤامرة فى القصر سنة ٧٩٧ م انتهت بالقبض عليه وسمل عينيه وبالتالى عزله وارساله إلى أحد الأديرة ، ليقضى عشرين سنة محروما من نعمة البصر اه

(٢) Bryce : the Holy roman empire p. 61 & 61 & Cam Mad Hist vol 2. p. 624 & vol 2. pp. 24—26.

http://kotob.has.it

هذه الأثينية الجبلة القاسية لم تلبث بمجرد أن آلت إليها مصائر الأمور أن أعلنت الحقيقة التى أخفتها عن زوجها فى حياته وهى : أنها من أشد أنصار الإيقونية .

وكان رد الفعل من هـــذه الأمبراطورة الأيقونية عنيفا على مجمع اللا إيقونيين وأخمدت كل محاولة قام بها أنصار الاصلاح اللا إيقونى ، كما عينت فى منصب بطريرك القسطنطينية « طرسيوس » وهو من دعاة الإيقونية المتحمسين لها .

وجاء ذلك العمل برداً وبلسما استقبلته رئتا البابوية فهللت لهـا وانعقد المجمع المسكونى السابع فى نيقية سنة ٧٨٧ م الذى أقر بقـاء الصور والإيقونات على أساس احترامها وتبجيلها كما يقول « إديم » Idem لا على أساس عبادتها .

(واجتمع لهذا ٢٧٧ أسقفا) .

نتائج المجمع

وكانت قراراته كما يلى :

- تقديس صور المسيح والقديسين .
- وضع الصور فى الكنائس المقدسة ، والبيوت ، والطرقات ، لأن النظر إلى ربنا يسوع ووالدته والقديسين يشعرنا بالميل إلى التفكير فيهم .

http://kotob.has.it

المجمع المسكونى الثامن

(ا) مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٨٦٩ م

تكوين فرقة الكاثوليك وفرقة الأرثوذكس

سبب انعقاد المجمع :

أثار بطريرك القسطنطينية مسألة انبثاق الروح القدس فذهب إلى أن الروح القدس انبثق عن الأب وحده ، وعلى العادة خالفه بطريرك روما وقال : أن انبثاق الروح القدس كان من الآب والابن معا .

فاجتمع نفر من الأساقفة للنظر فى هذه المسألة بعد أن احتالوا على عزل بطريرك القسطنطينية « فوسيوس » وأتوا بآخر يميل معهم ويرى مايرونه ، ويسمى الكاثوليك فى تاريخ الكنيسة هذا المجمع بالمجمع الغربى اللاتينى .

نتائج الاجتماع :

* الروح القدس منبثق من الآب والابن معا .
* كل من يريد أمراً يتعلق بالمسيحية وعقائدها يرفع دعواه إلى كنيسة روما
* جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التى يقوم بها رئيس كنيسة روما .
* لعن البطريرك المعزول فوسيوس وحرمانه هو وأتباعه .

* * *

http://kotob.has.it

المجمع المسكونى الثامن

(ب) مجمع قسطنطينية الخامس سنة ٨٧٩ م

سبب الانعقاد :

استطاع البطريرك « فوسيوس » أن يعود إلى مركزه فعمد إلى ما كان قرره المجمع الغربى اللاتينى — مجمع القسطينية الرابع سنة ٨٦٩ م ليبطله ، وليقرر مذهبه هو مكانه . فعقد لذلك مجمعاً سمى بالمجمع الشرقى اليونانى .

نتائج الاجتماع :

• إلغاء قرارات المجمع السالف .

• الروح القدس منبثق عن الآب وحده .

• لا اعتراف إلا بالمجامع السبعة التى آخرها مجمع نيقية الثانى سنة ٧٨٧ م .

وبذلك تم انفصال الكنيسة الشرقية رياسة واسما ومذهبا والكنيسة الغربية كذلك رياسة واسما ومذهبا .

• فالكنيسة الشرقية رياستها . فى بيزنطة قسطنطينية .

— واسمها : الكنيسة الشرقية الارثوذكسية ومعنى : ارثوذكس مستقيم الرأى Orthodox

— ومذهبها : أن الروح القدس منبثق من الآب وحده .

— ولا تعترف للبابا فى روما بالسيادة على كنائسها .

• والكنيسة الغربية رياستها فى روما .

— واسمها : الكنيسة البطرسية الكاثوليكية ومعنى : كاثوليك ثابت على المبدأ القديم Catholic

http://kotob.has.it

— ومذهبها : أن الروح القدس منبثق عن الآب والابن معاً .

— ويدعى أنه صاحب السيادة على كنائس الامبراطورية ... يقول فى وصفها هذا الاستاذ نوفل نعمة الله جرجس فى سنوسته سليمان « وهى تدعى أنها أم الكنائس ومعلمتهن ... »

مناطق نفوذ الكنيسة :

ونفوذ الكنيسة الرومية الأورثوذكسية : بلاد الشرق . اليونان وروسيا ، وجزر البحر الأبيض ، وبلاد العرب .

ونفوذ الكنيسة الغربية البطرسية الكاثوليكية . بلاد الغرب فى إيطاليا وبلجيكا ، وفرنسا ، وأسبانيا ، والبرتغال ... الخ .

ملاحظة :

إلى هذا العصر عام ٨٧٩ م صار لدى الشعب المسيحى عدة كنائس .

(ا) « الكنيسة المصرية القبطية وتسمى بالكنيسة المرقسية ، وقد انشقت عن عالم المسيحية منذ عام ٤٥١ م حيث لم توافق على قرارات مجمع خليقيدونية عام ٤٥١ م الذى حكم بطرد « ديسقورس بطريرك الأسكندرية لأنه يعتقد أن للمسيح طبيعة واحدة التقى فيها اللاهوت والناسوت .

(ب) « وأن الكنيسة الارثوذكسية انقسمت إلى كنيسة قبطية ، وأخرى أورشليمية لأن الأخيرة اعترفت بقرارات مجمع خليقيدونية التى رفضتها الكنيسة القبطية المصرية .

(حـ) — الكنيسة اليعقوبية : وقد انشقت عن العالم المسيحى كأثر للمجمع القسطنطينى الثانى سنة ٥٥٣ م لأنه كان يقول بالطبيعة الواحدة وقد قرر هذا المجمع ذلك المعتقد فى مواجهة من يقول بالطبيعتين .

http://kotob.has.it

(د) * الكنيسة المارونية : وقد انشقت عن العالم المسيحى لأنه كان يقول بالمشيئة الواحد للطبيعتين اللتين للمسيح ، وكان المجمع القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠ م قد قرر أن للمسيح طبيعتان ومشيئتان .

(هـ) * الكنيسة الشرقيـة الارثوذكسية التى انفصلت فى المجمع القسطنطينى الرابع بشقيه عام ٨٦٩ م ؛ ٨٧٩ م لانها ذهبت إلى أن الروح القدس منبثق عن الآب فقط .

(و) * الكنيسة الغربية البطرسية الكاثوليكية . انفصلت لأنها تقول بأن الروح القدس منبثق عن الآب والابن معاً .

ومن هنا فإن صفة المسكونية بعد هذا الانفصال لاتكاد تكون حقيقة إذا أطلقت فقد تم الانفصال بين الكنيستين فإذا ماعقد مجمع فهو إما مجمع ملى لأنه خاص بنحلة واحدة ؛ وإما مجمع مكانى إقليمى لأنه خاص بحل مشكلات مكان أو إقليم معين .

http://kotob.has.it

مجامع الكنيسة البطرسية الغربية الكاثوليكية

نشأة البابوية وتطورها

يقول المؤرخ الأوربى لوت Lot

• «ولكن حياة شارل العظيم أثبتت أنه لم يكن كغيره من ملوك البرابرة وإذا قورن بمعاصرته الإمبراطورة (إيرين) - وهى المرأة الشريرة التى أخذت تعبث بمصير الإمبراطورية البيزنطية فى ذلك الوقت - فإنه لا يوجد أى وجه للمقارنة» اهـ.

ويقول المؤرخ «أومان» Omon فى كتابه عصور الظلام The Datk Ages

وهكذا يبدو أن شبح هذه المرأة الشريرة العابثة التى تحكمت فى مصائر الإمبراطورية البيزنطية ٧٩٧ - ٨٠٢ م كان من العوامل التى شجعت البابوية على قطع آخر الخيوط التى ربطتهم بالإمبراطورية الشرقية» اهـ

كانت رغبات الامبراطورة (إيرين) من العوامل التى أفسدت الحياة الدينية بين الشرق البيزنطى والغربى البابوى ... فكان للكنيسة الغربية مجامعها التى تدعى أنها عالمية نظراً للوضع الذى أضفته الكنيسة الغربية على شخصيتها.

• وقد نشأت البابوية نتيجة ضعف الإمبراطورية الغربية بعد التقسيم لأنها لا تستطيع فرض سلطانها على الدولة والكنيسة معاً كما فعلت الإمبراطورية البيزنطية فى الشرق، وسرعان ما وجدت الكنيسة الغربية ضالتها فى شخص أسقف روما الذى تحول كرسيه إلى بابوية لها السيادة العليا على الكنيسة فى مختلف بلدان العالم المسيحى الغربى.

http://kotob.has.it

والواقع أننا لا نعرف عن أساقفة روما فى القرنين : الأول ، والثانى أكثر من أسمائهم عند ما أخذت المراجع تشير إلى بعض البابوات الذين لعبوا دوراً فعالا فى توجيه سياسة الكنيسة مثل البابا داماسوس -Damasu ٣٦٦ — ٣٨٤م الذى عهد إلى «جيروم» ٣٣١ — ٤٢٠ م بترجمة الإنجيل إلى اللغة اللاتينية .

وكان خليفته البابا سيرى كيوس Siriclus ٣٨٤ - ٣٩٩م صاحب الهمة العليا فى تأليف المراسيم البابوية .

ثم اشتهر البابا ليو الأول ٤٤٠ — ٤٦١ الذى تم فى عهده الاعتراف بسيطرة البابوية على كافة الكنائس المحلية فى الغرب وهو الذى تبنى فكرة أن للمسيح طبيعتيه فى مجمع خليقيدونية سنة ٤٥١م .

• ثم قوى نفوذ البابوية وسلطانها السياسى فى عهد اللمبارديين بإيطاليا فتضاعفت ممتلكات الكنيسة نتيجة سعة النفوذ الكنسى فراح أساقفة إيطاليا ينهبون الأراضى ويتخذون لأنفسهم صفة الحكام العلمانيين ، وقد ساعدهم على ذلك عاملان :

الأول : الفوضى السياسية والاجتماعية التى سادت إيطاليا فى ذلك العصر

الثانى : أن صغار الملاك فى إيطاليا بحثوا عن سلطة قوية تحميهم من فوضوية النزاع القائم بين البيزنطيين واللمبارديين فلم يجدوا غير الكنيسة فسلموها أراضيهم على نحو ما ذكره الكانبون الأوربيون (موس) Moss ، تومسون Thpmpson . وكان البابا جريجورى الأول هو الصورة الطبيعية الواضحة لقوة نفوذ البابوية حتى إن حكومته فى روما لتقرب من الحكومة الدنيوية مراسا فى السياسة والإدارة والتبشير وقد استغل موارد البابوية المالية فى الأغراض التى تعود على العالم المسيحى بالخير وتدعم الكنائس لأنه أراد أن يشعر كل مسيحى بأن البابا أب روحى للجميع .

http://kotob.has.it

وقد تمسك البابا جريجورى الأول بسيادة الكرسى فى روما على بقية الكراسى الأسقفية فى الشرق والغرب ، وعمل على نشر المذهب الكاثوليكى فى أسبانيا ...

وقد أدى هذا الحال الذى وصلت إليه البابوية إلى الصدام أكثر من مرة فى العصور الوسطى .

• وقد بدأ الاحتكاك الأول بين قسطنطيوس (٦٤١ - ٦٦٨ م) ، والبابا مارتن الأول (٦٤٥ - ٦٥٥ م) ، وكان هذا البابا قد عقد مجمعاً فى روما سنة ٦٤٩ أعلن بطلان المرسوم الذى أصدره الامبراطور بتحريم المونو فيزيقيه (الطبيعة الواحدة) واضطهاد اتباعها فقبض على البابا مارتن الأول وحوكم ونفى إلى القرم حتى مات عام ٦٥٥ م .

ثم سارت العلاقة بين روما والقسطنطينية على عهد البابا جريجورى الثانى ٧١٥ - ٧٣١ م عند ما أخذ الامبراطور ليو الأيسورى يباشر سياسته اللا إيقونية فانتهزها البابا فرصة ليتخلص من سلطة الامبراطورية فى إيطاليا وليجعل سلطة البابوية الزمنية حقيقة ملموسة فى أواسط إيطاليا .

وأخذ جريجورى الثانى يقبح رأى الإمبراطور ليو الثالث فى أسلوب عنيف .

• ومات البابا جريجورى الثانى وخلفه البابا جريجورى الثالث ٧٣١ - ٧٤١ م وكان من أشد المتحمسين للإيقونية فأوقعه هذا التحمس فى العداء ضد الامبراطور البيزنطى ليو الايسورى فأصدر الامبراطور مرسوما بتحديد اختصاص البابوية فى القضاء ، كما فصل الأسقفيات الكائنة بجنوب إيطاليا عن سلطان البابوية .

• ثم تذبذبت سياسة البابوية بين التحيز للفرنجة أو اللومبارديين ، حتى ذبلت ورود عصر اللمبارديين وانتهت دون أن تؤثر فى البابوية شيئاً ، بل

http://kotob.has.it

غدت ممتلكاتها أقوى وحدة فى إيطاليا تمتد من البحر الأدرياتيكى شرقا حتى روما غربا .

ثم كان شارلمان الذى توج عام ٨٠٠ امبراطوراً واستطاع أن يستغل مكانته بوصفه حامى البابوية ففرض سيطرته على الكنيسة داخل امبراطوريته ويعين الأساقفة ويدعو إلى عقد المجامع الدينية ويتولى سياسة مجالسها ، وهو الذى يشرع القوانين للكنيسة ... الخ

ولما أرادت البابوية التخلص من قبضة شارلمان أرسل إلى البابا ليو الثالث ٧٩٦ م مرسوما يفهمه اختصاص البابوية بأنه لايتعدى الجانب الدينى وهو أن يساعد البابا الامبراطور برفع يديه إلى السماء والدعاء مثلما فعل موسى على نحو ماقاله أوليفير Oliver

مجمع اللاتران الأول عام ١١٢٢م

وتتلاحق الأحداث مداً وجزراً بين البابوية والامبراطوريين، وتتعاقب بين شك فى النوايا، وأحلام فى التوسعات العقارية حتى وقعت اتفاقية بين هنرى الخامس والبابا كالكتس الثانى عام ١١٢٢م وتسمى اتفاقية ورمز Worms ونص فيها على أن انتخاب الأساقفة ومقدس الأديرة خارج ألمانيا يكون وفق القانون الكنسى دون أى تدخل من جانب السلطة العلمانية ، أما فى ألمانيا فيكون اختيار الأساقفة عن طريق الانتخاب ، وللامبراطور أو مندوبه حق حضور عملية الانتخاب، كما ذكر ذلك فلايش Fliche .

ومن الواضح أن هذه الاتفاقية لم تحقق كل ما كانت تصبو إليه الكنيسة ولكنه على أية حال يمكن أن يعد نصراً جزئياً لم يحل النزاع نهائيا .

فما زال الصراع خفياً بين السلطتين الدينية والدنيوية ، ثم مات موقعا الاتفاقية الامبراطور هنرى الخامس فى سنة ١١٢٥م والبابا كالكستس الثانى سنة ١١٢٤م .

http://kotob.has.it

مجمع اللاتران الثانى ١١٣٩ م :

كان « كونراد الثالث » أول ملك من ملوك ألمانيا لايتوج إمبراطورا ويلاحظ أنه أضاع معظم جهوده فى الحملة الصليبية الفاشلة المعروفة بالحملة الثانية فأثر ذلك فى كيانه السياسى والاجتماعى بإيطاليا حتى أعلن البابا أنوسنت الثانى فى مجمع اللاتران عام ١١٣٩ م عدم ارتباطه باتفاقية ورمز Wrms ، وأن البابا له السيادة العليا على جميع الحكام العلمانيين الذين لايحق لهم التدخل فى شئون الكنسية .

ويعتبر هذا الشوط الدور الأول فى النزاع بين البابوية والامبراطورية .

• وانتهى الشوط الثانى من الصراع بالصلح بين الامبراطورية والبابوية فى أغسطس عام ١١٧٧ م ووافق فردريك الأول على رد جميع الأراضى المغتصبة من البابوية ، وتعهد الطرفان بمساعدة كل منهما الآخر ضد أى عدوان .

مجمع اللاتران الثالث عام ١١٧٩ م :

وانعقد فى هذه الظروف مجمع ليدرس مسألة انتخاب البابا وقرر : أن انتخاب البابا يكون بثلثى عدد الكرادلة .

• ثم كان الشوط الثالث فى النزاع بين البابوية والامبراطورية وكان سببها أن « فردريك الثانى » قد وعد البابا أنوسنت الثالث ١٢١٥ م بالقيام بحملة صليبية على الشرق الإسلامى ولكنه لم يف فطرده البابا وحرمه وأرسل مرسوما إلى الآفاق .

مجمع اللاتران الرابع ١٢١٥ م :

وتقرر فى هذا المجمع أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .

http://kotob.has.it

وأن العشاء الربانى يتحول إلى جسد ودم السيد المسيح ، وكل من يخالف ذلك يعدم ويلعن وتتوالى بعد ذلك عدة مجامع تدور كلها حول مشكلات خاصة بالكنيسة الغربية مثل مجمع ليون الأول ١٢٤٥ م ومجمع ليون الثانى ١٢٧٤ م ومجمع فينا ١٣١١ م حتى كان الانشقاق الكبير وكان مجمع عام ١٤١٤ — ١٤١٥ م المسمى بمجمع « كونستانس » .

مجمع كونستانس ١٤١٤—١٤٤٥ م Ths Great Schism :

(الانشقاق الدينى الكبير)

عندما انتقلت البابوية من مركزها فى روما إلى مدينة (أفينون) خسرت روما خسارة اقتصادية فادحة ، وسادت فيها الفوضى مما دفع أهلها إلى الإلحاح على البابوات أن يتركوا (أفينون) ويعودوا إلى مقرهم الطبيعى فى روما .

يضاف إلى هذا ما يقوله (فاينتر) Painter فى كتابه : «تاريخ العصور الوسطى » : « من الواضح أن إقامة البابوات فى (أفينون) حرمتهم من الجزء الأكبر من المالية التى اعتادوا الاعتماد عليها فى روما مما جعل البابوية فى مقرها بأفينون تلجأ إلى الحصول على موارد جديدة عن طريق فرض الضرائب » اهـ .

كل هذا جعل الجو يجذب البابوية نحو مقرها القديم فى روما فقام البابا جريجورى الحادى عشر ١٣٧٠ — ١٣٧٨ م برحلة إلى روما لمجرد الزيارة فقدر له أن يموت فيها قبل أن يشرع فى العودة من أفينون ، وهنا أدرك أهالى روما أن فرصتهم الذهبية قد حانت للضغط على الكرادلة لانتخاب أحد أبناء روما لمنصب البابوية وتم لهم ما أرادوا وانتخب أوربان السادس ١٣٧٨ — ١٣٨٩ م بابا روما .

غير أن الكرادلة الفرنسيين رفضوا نتيجة هذا الانتخاب فاجتمع

http://kotob.has.it

عدد منهم فى (فوندى) Fondi واختاروا كلمنت السابع ١٣٧٨ — ١٣٩٤م لمنصب البابوية على أن يقيم البابا فى (أفينون) .

وعلى هذا بدأ التصدع فى الكنيسة البطرسية الغربية الكاثوليكية وسمى هذا العهد بـ « الانشقاق الدينى الكبير » لوجود سلسلة من البابوات فى أفينون ، وفى روما على السواء .

وبدأ خطر هذا الانقسام بالتعصب الدولى الذى قسم العالم المسيحى الكاثوليكى إلى معسكرين :

. وقفت فرنسا وأسبانيا ونابلى وصقلية فى جانب بابا (أفينون) البابا كلمنت السابع .

. ووقفت انجلترا وألمانيا وهنغاريا وبولندا وأمراء شمال إيطاليا فى جانب بابا روما البابا « أوريان السادس » .

كما كان لهذا الانقسام خطر آخر هو : فقدان الإجماع على أحد البابوات فى أى بلد من مراكز البابوية (أفينون) أو روما .

كما أن التنافس بين الكرادلة كان عنيفا حول كرسى البابوية فى كلا البلدين مما فتح باب التجريح والتسفيد على حد ما يصفه (طمسون) Thompeon

وأدى ذلك إلى استنتاج تلقائى استخلصه مثقفوا أوربا يقول عنه « كيم » Cam :

وهكذا ظهر من المفكرين فى القرن الرابع عشر من نادوا بأن الكنيسة الحقة إنما تتألف من جمهور المسيحيين ، وأن التنظيم الكنسى وعلى رأسه البابا إنما هو من صنع البشر اهـ .

فى هذا الجو فكرت قلة من الأكرادلة الغيورين على مصلحة الكنيسة

http://kotob.has.it

فى حل لقضية تفكك البابوية فعقدوا مجمعا فى « بيزا » ١٤٠٩ م وقرروا عزل كل من بابا روما ، وبابا أفينون ، وانتخاب بابا جديد يحل محلهما جميعا ووقع الاختيار على البابا اسكندر الخامس الذى لم يلبث أن توفى فخلفه البابا حنا الثالث والعشرين ١٤١٠ — ١٤١٥ م فاحتدم الأمر وصار لدى الكنيسة ثلاث بابوات .

بابا روما .

بابا أفينون .

ثم : بابا ثالث فى مدينة بيزا .

وفى هذه الملابسات من الانقسام الشديد فى هيكل البابوية كانت هناك حركة اصلاحية قام بها « حنا هس » الذى تأثر بأفكار « حنا وكاف » الذى وصف الأساقفة بأنهم أتباع قياصرة لا أتباع الله على نحو ما ذكره « فيشر » فى كتابه تاريخ أوربا الجزء الثانى .

كان حناهس تابعاً لأستاذه وكاف فى وجوب سيطرة الدولة على الكنيسة ، وإنكاره معجزة التحول المادى فى قداس العشاء الربانى وإنكار أن لرجال الكنيسة قوة روحية خاصة ، وأن طاعة البابا واجبة مادام البابا سائرا وفق تعاليم الكتاب المقدس ، وأنكر صكوك الغفران ، ودعا رجال الكنيسة إلى البساطة والزهد . . فى هذه الظروف من الانقسام الكنسى البابوى ، ومن ثورة « حنا هس » اعتلى « سجسموند » ملك هنغاريا عرش الامبراطورية الرومانية (١٤١١—١٤٣٧) فأحس بوجوب وضع حد لهذا الانشقاق ومجابهة هرطقة « حنا هس » الذى يحاول فصل « بوهيمية » عن الكنيسة الكاثوليكية فدعا الملك سجسموند إلى عقد مجمع عام فى كونستانس واستصدر من البابا حنا الثالث والعشرين

http://kotob.has.it

قراراً بشرعيته ووافق بابا روما جريجورى الثانى عشر على إرسال مندوبين ، وامتنع بابا افينون بندكت الثالث عشر عن الاشتراك فيه .

وكان مجمع كونستانس الذى حضره :

ثلاثة بطارقة ، وتسعة وعشرين كاردينالا ، وثلاثة وثلاثون رئيساً للأساقفة ، ومائة وخمسون أسقفا ومائة من الديريين ، وثلثمائة من فقهاء اللاهوت كما ذكره « فاينتر » Painter .

وقد بدأ المجمع أعماله بمناقشة هرطقة حنا هس .

ولم يبدأ فى مناقشة الشقاق الدينى إلا عام ١٤١٥ م .

وكان من قرارات المجمع :

- إدانة بابا بيزا حنا الثالث والعشرين وعزله عن منصبه عام ١٤١٥م .
- استقالة البابا جريجورى الثانى عشر .
- عزل البابا أفينون بندكت الثانى عشر سنة ١٤١٧ م .
- عقد مجمع عادى للبحث فى اصلاح الكنيسة بعد خمس سنوات .
- عقد مجمع مسكونى كل عشر سنوات . مع جواز عقد مجمع ما فى أى وقت دون إذن البابا .
- إعدام حنا هس حرقاً ومعه جيروم البراهى الذى ناصره .

وحول القرار الأخير يقول المستر فيشر :

غير أن المجمع الدينى فى مدينة كونستانس بسويسرة الحالية أفتى بهرطقته وحكم عليه بالإعدام حرقاً بالنار بعد أن رفض « هس » النزول عن شىء من الأقوال المنسوبة إليه ، ومشى « هس » فى السادس من شهر يولية من تلك السنة - ١٤١٦ م إلى أحطاب إعدامه رابط الجأش ، فأشعل بموته نيران أول حرب من الحروب الدينية الطويلة التى جرى عليها إسم الحروب الهسية ، وهى التى امتدت فى أوربا إلى أواسط القرن السابع عشر الميلادى » ا هـ .

http://kotob.has.it

وحول نجاح المجمع فى قضية الإصلاح الدينى يقول فيشر كذلك :

« ... مجمع كونستانس ١٤١٤م هو المجمع الذى امتاز بسعة دائرة عضويته ، وسعة تمثيل الكرادلة الأوروبية فى جلساته بالقياس إلى مجمع بيزا ... هكذا انتهى الانقسام الدينى ، وغدا الكرسى البابوى شاغراً ، وبدا كأن فرصة ذهبية لاحت لإصلاح الكنيسة وفرض ما يبدو مفيداً ممكناً فرضه من القيود على سلطة البابا ، غير أن الفرصة ضاعت سدى إذ أضاعها مجمع كونستانس فى المفاضلة بين البدء فى إصلاح الكنيسة قبل انتخاب البابا ، أو انتخاب البابا قبل البدء فى إصلاح الكنيسة ؟ ثم قرر إرجاء الإصلاح رغم معارضة انجلترا وألمانيا ، فجاء هذا القرار معبرا عن الخطأ الذى تقع فيه غالبا أية جمعيـــة من الجمعيات العامة لا يكون للقيم أو الاعتبارات الخلقية فى مناقشتها ما ينبغى من التقدير ، غير أنه مع التسليم بأن إصلاح الكنيسة ، والبابوية شاغرة لا يمكن أن يكون إلا أمراً شاقاً عسيرا ، فمن الواضح أن القيام بذلك عقب انتخاب بابوى يجعل الأمر أكثر مشقة وعسراً ، ذلك أن وقوع اختيار المجمع على كردينال « آدو كولونا » السياسى الإيطالى وهو الذى تسمى بعد « مارتن الخامس ١٤١٧ — ١٤٣١م رفع إلى كرسى البابوية رجلا لم تلبث مصالحه السياسية أن جعلت منه مناهضاً خطيرا لفكرة المجامع وكان ديدنه إحباط الأغراض الدستورية التى توخاها مجمع كونستانس ، وهكذا انهارت خطة الإصلاح الكنسى العام ، أى أن مجمع كونستانس ... اقتصرت أعماله على اعدام « حنا هس » و « حنا جيروم » حرقا بالنار ومعنى ذلك كله أن مجمع كونستانس لم يستطع إلا أن ينزل عن فكرة الإصلاح الدينى المنشود خضوعاً للبابا مارتن الخامس الذى جعل همه الأول تدعيم إمارته الإيطالية » اهـ .

مجمع بازل ١٤٣١ م : « تحديد سلطة البابا »

صعد على كرسى البابوية بعد مارتن الخامس نبيل إيطالى آخر من مدينة

http://kotob.has.it

البندقية وهو « ديوجين الرابع » وكان كسلفه يمقت المجامع ويمقت الدعوة إلى إصلاح الكنيسة لأنها تقييد لسلطته المطلقة فى توزيع الوظائف والانعامات . وقد انعقد مجمع بازل كاستمرار لاجتماعات مجمع كونستانس للنظر فى اصلاح الكنيسة ،

غير أن أسبانيا وفرنسا بقيتا على كراهيتهما لفكرة الإصلاح ، ورأى يوجين الرابع أن مصلحته تتطلب منه الإتفاق مع ملوك الدول الأوربية لا مع مجمع كنسى فأصدر البابا يوجين أو أيوجنيوس الرابع ١٤٣١ — ١٤٤٧م أمراً بفضه ، ولكن الأعضاء رفضوا الإذعان وأعلنوا الاستمرار وأصدروا عدة قرارات إصلاحية منها .

- لا ينفض مجمع عام إلا بموافقة أعضائه .
- لا رأى للبابا فى مسألة وقع الخلاف فيها .
- ليس من حق البابا تعيين الأساقفة بل يكون عن انتخاب .
- عدم دفع رسوم عند التعيين فى وظيفة كنسية .
- إقالة البابا يوجين الرابع عام ١٤٣٩م وانتخاب البابا فيلكس الخامس خلفا له وهو شيخ أرمل ذو مال وله سبعة أولاد ، وكان ناسكا معتزلا للدنيا فى دوقيته أربعون عاما .

ولكن هذا المجمع تلقى ضربة قاصمه عند ما باع فردريك الثالث ملك ألمانيا حقوق الكنيسة الألمانية إلى البابا فيلكس الخامس مقابل تتويجه امبراطوراً على الدولة الرومانية المقدسة عام ١٤٤٥م وبذلك فقد انتصر البابا على المجمع إذ أعاد فردريك إلى البابا عام ١٤٤٨م معظم حقوق البابوية فى توزيع الوظائف بازل عام ١٤٤٩م بعد أن ظل قائما مدة طويلة فى قلة من الأعضاء وقلة من الجدوى كما استقال البابا الهرم فيلكس الخامس ، وانحرف بذلك سبيل الإصلاح الكنسى .

http://kotob.has.it

مجمع فرارا، وفلورونسا ١٤٣٨ — ١٤٤٢م :

لما نشطت العسكرية الإسلامية وطوقت القسطنطينية أراد الغرب المسيحى أن يتجمع ويتحد لطرد المسلمين ودحر جيوشهم ... وصادف فى ملابسات العمل العسكرى أن تولى حنا السادس حكم الامبراطورية البيزنطية ١٤٢٥م وظهرت محاولة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية فاضطر الإمبراطور إلى توقيع اتفاقية تنص على اتحاد الكنيسة الشرقية والغربية .

غير أن الكنيسة الشرقية لم تأخذ بهذا المرسوم بعد أن أعلن بطارقة الاسكندرية وأنطاكية وبيت المقدس سنة ١٤٤٣ م معارضتهم للمشروع[١].

مجمع ترنت ١٥٤٢ — ١٥٦٣ م :

لم تمض حركة « حنا هس » هباء بل اشتعلت نارا تتأجج وساعد على اشتعالها تفتح الفكر الأوربى فقامت عدة ثورات اصلاحية فكانت ثورة لوثر الدينية التى ساندتها حكومة ألمانيا والشعب الألمانى .

فى هذا الجو الثائر ضد رجال الكنيسة انعقد هذا المؤتمر من عام ١٥٤٢م حتى عام ١٥٦٣ م لبحث هرطقة لوثر وأشباهه وقرر المجمع ضمن ما قرر : عدم قبول آراء الثائرين بدعوة الإصلاح الدينى .

وهنا ولدت كنيسة جديدة هى كنيسة البروتستانت ومعناها كنيسة المعارضين .

مجمع روما عام ١٧٦٩م :

وتستمر المجامع الصغيرة المحلية تنعقد، وتستمر الظروف السياسية تجذب الكنيسة يساراً أو يميناً ، وأصوات الثائرين بالاصلاح تعج ... ولكن

(١) هذا المجمع انعقد أولا فى فرارا ثم نقل إلى فلورنسا وهو امتداد لأعمال مجمع بازل.

http://kotob.has.it

البابوية رغم كل هذا لها عقلها وقانونها فتعقد مجمعا فى روما لتبحث فيه أن البابا معصوم وحول هذا يقول الأستاذ نوفل بن نعمة الله بن جرجس :

قد نشأ فى ذلك انقسام فى الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوربا والشرق ، والذين خالفوا فى هذه العقيدة من أهالى أوربا سموا أنفسهم الكاثوليك القدماء اهـ .

وبذلك يستقر الأمر بين شاطىء المد والجزر : استقرار الموج المضطرب داخل شاطىء المحيط وترث الحياة الدنيا عن مجامع المسيحية ثلاث كنائس :

كنيسة الأرثوذكس .

كنيسة الكاثوليك .

كنيسة البروتستانت .

ولكل كنيسة نحلة وعقيدة .

http://kotob.has.it

الفصل الرابع

أولا : عقائد المسيحيين

ثانيا : ثورة الإصلاح

توجد بعض أوجه الخلافات العقائدية أو المتعلقة بالطقوس بين الكنائس المسيحية نتيجة للاختلاف فى وجهات النظر والتباين فى فهم أسرار الدين المسيحى .

زكى شنودة

ثم إن الفخامة والأبهية والزمنة التى ملأت البلاط البابوى ، واجتذبت إليه طوائف الفنانين والعلماء الإيطاليين والفرنسيين ، فضلا عن المحسوبية الشائنة التى أغدقت المناصب الكبرى فى الكنيسة على أقارب البابوات وأبناء أقاربهم ، وفضلا عن الأموال الكثيرة التى ابتزها الجباة البابويون للإنفاق على هذه المظاهر وعلى المشاريع السياسية البابوية فى إيطاليا ... كل ذلك أسخط العقول المتزنة فى جميع أنحاء أوروبا ، وجعل بعض النقاد الذين لم يعرفوا بشىء من التصون أو التقوى ينعتون رجال الدين بأنهم صيادون للذهب والفضة » .

فيشر

http://kotob.has.it

أولا : عقائد المسيحيين

جاء عيسى عليه السلام بملة قال عنها كاتبو الأناجيل :

« من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » الفقرة ١٧ من الاصحاح الرابع — متى .

وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرر بعبارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب .

٤/٢٣ متى

طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . ٥/٣ متى

وكانت هذه الدعوة موجهة إلى خراف بيت إسرائيل قال كاتبو الأناجيل:

« بل ذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » .

١٠/٦ متى

« فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة » .

١٥/٢٤ متى

« قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكباً على أتان وجحش ابن أتان » .

٢١,٥ متى

يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا » .

٢٣/٣٧ متى

فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول » . ٢٧/١١ متى

http://kotob.has.it

وكانوا يجثون قدامه ويستهزءون به قائلين : السلام يا ملك اليهود » .

٢٧/٢٩ متى

وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة : هذا يسوع ملك اليهود » .

٢٧/٣٧ متى

. غير أن هذه الملة حسب هذه النصوص التى يذكرها كاتبو الأناجيل قد بدلها الحواريون إلى نحلة جديدة هى :

عودة المسيح : قال فى أعمال الرسال الاصحاح الثانى :

سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم يترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فسادا ، فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود بذلك .

٢/٣١ أعمال الرسل

فليعلم يقيناً جميع بيت اسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحا » .

٢/٣٦ أعمال

. ثم نقلها بولس إلى :

نحلة ناسخة لما جاء فى اليهودية ، ووضع تفسيرات جديدة لفكرة البعث وحلول مملكة الله ، والختان ، والصلب على نحو ما ذكره شارل جنيير فى كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها .

. ثم جاءت المجامع وانقسام الكنائس فورث التاريخ المسيحى عديداً من العقائد التى لا يمكن جمعها ولا يمكن الربط بينها إلا إذا اجتمعت على اختلافها لحرب الاسلام كما رأينا فى مجمع فلورنسا عام ١٤٤٢م .

وسوف أعرض عقائد النحل الثلاث : الأرثوذكسية . والكاثوليكية . والبروتستانتية من كتاب الأستاذ زكى شنوده وأمثاله ثم أستضيف الأستاذ شارل جنيير ليشرح لنا بتحليله الدقيق أسرار هذه العقائد :

http://kotob.has.it

عقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المصرية :

قال الأستاذ زكى شنودة :

« الله الأوحد لاشريك له وهو الذى خلق العالم بقدرته » .

« وقد عرف المسيحيون من تعاليم السيد المسيح أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم هم : الآب ، والإبن ، والروح القدس .

وأن هؤلاء الأقانيم الإلهية هم طبيعة واحدة وذات جوهر واحد بسيط منزه عن التأليف والتركيب .

ويقول : وقد فهمنا من كلام السيد المسيح ... أن الأقانيم الثلاثة الذين فى الله وان اتحدوا جوهراً وطبعاً وذاتاً وصاروا واحداً إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الأقنومية فالآب ليس هو الابن ، والروح القدس ليس هو الآب ولا الابن ، غير أن لكل من الآب والابن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية ، وكل ماينسب إلى أحدهم من صفات اللاهوت الكاملة ينسب للآخر بمعنى واحد وعظمة واحدة ، وذلك ، لأن الطبيعة واحدة ولأن الأقاليم الثلاثة هم واحد دون تعدد أو تركيب أو تأليف وإلا كان فى الذات العلية ثلاثة آلهة وذلك ماتنكره المسيحية ...

وقد دعى الأقنوم الأول أباً أو والدا .

ودعى الأقنوم الثانى إبناً أو ولدا ، وليس المقصود بالولادة هنا خروج كائن من كائن أو الانتقال من اللا وجود إلى الوجود ، وإنما المقصود بها أن الأقنوم الأول هو بمثابة ينبوع أعطى الأقنوم الصادر عنه بطبيعته وجوهره كله فكان الأقنوم الثانى صورة كاملة للأقنوم الأول ومساويا له فى الطبيعة والجوهر .

ودعى الأقنوم الثالث : الروح القدس ، ليس لأن بينه وبين الأقنومين

http://kotob.has.it

الآخرين تمييزاً فى روحانية الجوهر لأنهم متساوون فى ذلك ، ولأن كلا من الأقنومين الآخرين يسمى روحا كذلك ، وانما لأعماله الخاصة به .

والروح القدس ، وإن كانت له طبيعة الآب وجوهره كالإبن إلا أنه لم يدع إبنا أو مولوداً ، بل يقال له : « روح منبثق » أن صادر عن الآب » وهذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة التى لا يمكن ادراك كنهها بالعقل البشرى وإنما ينبغى أن نؤمن بها كما وردت على لسان السيد المسيح إذ قال : ومتى جاء المعزى الذى سارسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق .

ألوهية المسيح :

والسيد المسيح هو الأقنوم من الثالوث الأقدس وهو مساو للآب والروح القدس فى كل الصفات الإلهية .

ألوهية الروح القدس :

الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس ، وهو مساو للآب والإبن فى الذات والجوهر والطبع وكل فضل اللاهوت ، وهو روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة ، ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والإبن .

أسرار الكنيسة :

الكنيسة فى الأصل هى جماعة من المؤمنين اعتادوا الاجتماع فى مكان واحد للعبادة كما أطلق اسمها على مكان الاجتماع وعلى الكهنة أيضا .

إن أسرار الكنيسة من أهم عقائد الإيمان ومبادىء الشريعة الجديدة وأركان العهد الجديد .

http://kotob.has.it

والسر هو عمل مقدس به ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة .

وأسرار الكنيسة سبعة :

١ — المعمودية : وهى سر مقدس به (نولد) ميلادا ثانيا بالماء والكلمة ولا يصح اجراء العماد إلا بواسطة الكاهن .

١ — الميرون المقدس : وهو سر ينال به المعتمد ختم موهبة الروح القدس والثبات فى الإيمان ، وبدونه تكون المعمودية ناقصة .

ومصدره : أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد السيد المسيح حين دفنه مع الحنوط الذى أحضرته النسوة ثم أذابوه فى زيت الزيتون وقدسوه فى علية صهيون وجعلوا منه دهنا مقدسا خاتما للمعمودية .

٣ — القربان المقدس وهو سر «الأفخارستيا» وهو سر جسد (ربنا) يسوع المسيح ودمه تحت عوارض الخبز والخمر وهو يتم أحياء لذكرى ذبيحة الصلب .

ومصدره : أنه فى العشاء الأخير أخذ خبزا وباركه وأعطى التلاميذ وقال : خذوا ، كلوا ، هذا هو جسدى ، وأخذ الكأس وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى .

٤ — الاعتراف : لما كان الإنسان الأول بعد تطهيره من الخطيئة بماء المعمودية لا يعتق مطلقا من نتائج الخطيئة الجديدة والفساد الإرثى الذى هو الميل الطبيعى إلى الشر . بل قد يجنح إلى الخطيئة تارة باختياره وطورا بالرغم منه لذلك أقيم سر التوبة ليكون بمثابة الدواء الشافى من الخطايا المقترفة بعد اقتبال سر المعمودية .

http://kotob.has.it

وهذا السر هو اعتراف الإنسان للكاهن بخطاياه وذنوبه ومعاصيه .

ومصدره : أن السيد المسيح أسس هذا السر إثر قيامته من بين الأموات.

٥ — مسحة المرضى : وهى سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس ويستمد له الشفاء من الله روحيا وجسديا .

ومصدره : مرقص الإنجيلى الذى قال « إن الرسل دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم » (مر ٦ : ١٣)

٦ — الزواج : وضع الله ناموسا يتم بموجبه عقد زواج شرعى بين الرجل والمرأة ليكون وسيلة لتجنب طرق الفساد ، وقد جعل السيد المسيح الزواج فوق كونه ناموسا طبيعيا سراً من أسرار الكنيسة .

ومصدره : قول المسيح « فالذى جمعه الله لايفرقه إنسان » (مت ١٩ :٦) ولا يصح الطلاق لدى المسيحيين إلا لعلة الزنا .

٧ — الكهنوت : وسر الكهنوت عمل مقدس به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب ويطلب من أجله فينال النعمة الإلهية التى ترفعه إلى درجات الكهنوت : الأسقفية ، القسوسية ، الشماسية .

ومصدره : السيد المسيح فقد وضع أساس الكهنوت ، إذ اختار الاثنى عشر رسولا ، ثم السبعين الآخرين وأعطاهم سلطات الكهنوت ، ومنها التعميد ، وتقديس القربان وغفران الخطايا ، وقد انتقلت هذه المواهب من الرسل إلى خلفائهم وقد قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس « لاتهمل الموهبة التى فيك المعطاه لك بالنبوة مع وضع أيدى المسيحية » .

(١ـ تى ٤ : ١٤)

http://kotob.

عقائد الكنيسة الكاثوليكية

هى كالعقائد الأرثوذكسية مع عدة فوارق :

تقول الكاثوليك بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد إحداهما لاهوتية ، والأخرى ناسوتية .

. وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن معا .

. وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية : أنه يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر تعتقل فيه النفوس التى لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة وتظل تعذب حتى تفى بما بقى عليها من الدين للعدل الإلهى وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت .

. وأن المغفرة حق من حقوق الكنيسة تعطيها لمن تشاء .

يقول الأستاذ زكى شنودة : ولذا راحت تبيع صكوك الغفران .

. وأن السيد المسيح أقام بطرس نائبا على الأرض ورئيسا على الرسل ورأسا للكنيسة وعلى ذلك فالبابا فى روما هو خليفة بطرس وهو إذن رأس الكنيسة من بعده وأن التعميد بالرش لا بالتغطيس .

. والمسح بالميرون المقدس يجوز تأخيره من التعميد للقاصر حتى يبلغ سن الرشد .

. ليس يلازم استعمال الخبز المخمر فى إتمام سر التناول بل يكفى فى ذلك الفطير .

. تحرم الكنيسة الكاثوليكية زواج الشمامسة والقساوسة كما تحرمه على جميع رجال الكنيسة .

. اعتقاد اتخاذ الأيقونات البارزة والمصورة .

http://kotob.has.it

. تحريم الطلاق فى جميع الأحوال حتى فى حالة الزنا .

. لا يمسح بالزيت المقدس إلا لمن شارف على الموت .

عقائد الكنيسة البروتستانتينية

. للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية .

. وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن معا .

. لا تؤمن بنظام الكهنة ولا بالبخور ولا بالهيكل ...

. الأعمال غير ضرورية للخلاص لأنها ليست علة التبرير كالإيمان بل هى الإيمان ونتيجة التبرير .

. لا تتقيد الكنيسة البروتستانتية إلا بالكتاب المقدس فقط .

. لا تؤمن بالأسرار السبعة للكنيسة .

. لا تؤمن بالصوم كفريضة ولا بالأعياد التى تقيمها الكنائس الأخرى .

. ليس للشهداء ولا للقديسين شفاعة وليست صورهم بمقدسة ولا معنى للصلاة على الصالحين وطلب الرحمة لهم .

. لا تؤمن الكنيسة البروتستانتيه بنظام الرهبنة .

. وترفض كذلك عقيدة أن السيد المسيح بعد موته ذهبت نفسه الطاهرة وهى متحدة باللاهوت إلى الجحيم ، وأخرجت آدم وحواء وجميع الأنفس المسجونة بطائلة الخطيئة الأصلية وماتوا على الرجاء وأصعدتهم إلى الفردوس .

. تعتبر الكنيسة البروتستانتية أن الأسفار المحذوفة وهى :

طوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، وابن سيراخ ، والمكابين الأول ،

http://kotob.has.it

والمكابين الثانى ، وبروخ ، وبعض قطع من سفرى استير ودنيال غير قانونية ، ولا يصح الاعتراف بها .

• الكهنوت درجتان فقط هما : القسوسية ، والشماسية ، وترى أن الأسقفية هى القسوسية ذاتها .

* * *

• تعليق شارل جنيبر على هذه العقائد :

(أ) ابن الله :

النتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى : أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر ، ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله ، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل ـ بالنسبة الى اليهود سوى خطأ لغوى فاحش وضرب من ضروب السفه فى الدين .

كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية ، إنها اللغة التى استخدمها القديس بولس ، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع .

ولقد اختلط الأمر فى فترة من الفترات على بعض المؤمنين الذين لم يكونوا على معرفة كبيرة باللغة الآرامية إذ أن تعبير (ابن الإنسان) فى هذه اللغة يعنى فقط : « إنسان » أو « رجل » فتهيأ لهؤلاء المؤمنين أن هذا التعبير الذى يلقونه أيضا فى مجموعة الحكم المعروفة بـ « اللوجيا » لابد وأن يحتوى على سر عميق ، وقد ربطوا بينه وبين النص المماثل من كتاب : دانيال ـ وهو النص الذى لم يفهموه أيضا ـ فقرروا : أن « ابن الإنسان » مرادف « مسيحى » خاص لكلمة « مسيح » وتحليل النصوص يؤكد خطأ الذين

http://kotob.has.it

ذهبوا هذا المذهب فى تأويل التعبير المذكور بل إن أغلب الفقرات التى يظهر فيها من الأناجيل يبدو أنها صدرت عن محررى هـــذه الأناجيل لا من عيسى .

أما تلك التى يرجح أنها مبنية على حديث صحيح له فلا تعد الأربع أو الخمس ، ولا يمـكن أن نصفها بأقل من أنها خاطئة أساسا فى ترجمتها للنص الأصلى ، ويجب إبدال تعبير « ابن الإنسان » فيها بكلمة إنسان » ا هـ .

ويقول :

ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قـد تصور نفسه (عبد الله) وتقدم الناس بهذه الصفة ، والكلمة العبرية (عبد) كثيرا ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعنى : « خادما » أو « طفلا » على حد سواء ، وتطور كلمة « طفل » إلى كلمة « ابن » ليس بالأمر العسير ، ولـكن مفهوم ابن الله نبع من العالم الفـكر اليونانى ا هـ .

ويقول :

ولو أراد ـ عيسى ـ ان يتخذ لقبا لاتخذ لقب « ابن دواد » المعروف بين بنى إسرائيل ، والذى كانوا يعتبرونه لقب المنقذ ... ولـكنه لم يفعل .

وهو كذلك لم يتخذ اللقب الذى يبدو أن (أنا جيلنا) ترى فيه أخص خصائص شخصيته ورسالته ألا وهو : « ابن الإنسان » أو على الأقل فهو لم يستخدمه فى معنى « المنقذ المنتظر » فاليهود فى هذا العصر كانوا يجهلون هذا المعنى لتعبير « ابن الإنسان » ا هـ

وإذا وضح أن عيسى لم يستخدم تعبير « ابن الله » ولا « ابن الإنسان » بمعنى المنقذ المنتظر فقد تحطم الثالوث وتحطم معه كل ما يترتب عليه من أسرار وعقائد .

http://kotob.ha

(ب) انهيار الثالوث :

وحول هذا يقول شارل جنيبير :

أن هذه النظريات الثلاث فى شخص عيسى تهدف إلى نتيجة واحدة هى الخروج بالمسيح عن نطاق البشرية بتقريبه من الله ، وتلك عملية عسيرة فى حد ذاتها ، حيث إن المسيحية قد أخذت عن الدين اليهودى الذى انشئت على أسسه فكرة التوحيد الغير قابل للجدل ، وإذا ما تقبلت القول بأن « السيد » هو حقيقة كائن سماوى فلا مناص لها فيما يبدو لنا من أن تجعله خاضعا لله تماما كما كان « المنقذ » فى الأسرار خاضعا للإله الأعظم .

وقبل أن يتجه التفكير المسيحى نحو مفهوم ثالوث الشخصيات الآلهية المتحدة فى جوهر فرد أى : فى الكون الإلهى بذاته .. قبل ذلك بزمن بعيد جرب الناس تركيبات عديدة مختلفة لم يترك الكثير منها سوى آثار غامضة مبهمة إلا أنه لم يكن قد طلب بعد من عامة المؤمنين أن يتعلقوا بأى منها بل لم يطلب منهم « الإيمان » إلا بفروض لا تحتم مجهـــودا فكريا يذكر ... اه .

(حـ) الصلب :

• ويقول شارل جينبير عن الصلب :

« ... ورأى بولس بوضوح أيضاً أن الاتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول « فضيحة الصلب » وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة — التى لم يكف الأعداء بطبيعة الحال عن الرجوع إليها — تفسيراً مرضيا يجعل منها واقعة ذات مغزى دينى عميق ، وأعمل الحوارى فكره فى هذه المشكله المزدوجة ، وذلك بطبيعة الحال حسب الاتجاه الذى رسمه له تجمع المهجر الهلينستى ووضع لها حلا كان له صدى بالغ المدى . . لقد

http://kotob.has.it

تجاهل فكرة عيسى الناصرى التى أغرم بها الاثنا عشر ، ولم يتجه إلا إلى عيسى المصلوب ، فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه فى الوجود وتمثل نوعا من التشخيص الروح إله تصوره رجلا ... رجلا سماويا احتفظ به الله إلى جانبه أمداً طويلا حتى نزل إلى الأرض لينشىء فيها حقاً بشرية جديدة يكون هو (آدمها) وقد عثر الحوارى على العناصر الجوهرية فى الأسرار — عثر عليها فى غالب الظن دون أن يبحث عنها ، وكأنها نتاج طبيعى لتفاعلات فى ذاكرته وفى عاداته الفكرية .. اهـ

● وإذا كان هذا رأى مسيو شارل الفرنسى فى فضيحة الصلب التى ابتدعها بولس فإن موقف مسيو شارل من تلاميذ يسوع واضح وصريح فى أن فضيحة الصلب تهيئوات تهيأها التلاميذ ، يقول :

ومن المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد فقدت الكثير من وضوحها فى ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل ، وأنها تأثرت فى مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة فى الشرق ، اهـ .

● وأما عن قيامة عيسى وبعثه بعد صلبه فيقول فيها مسيو شارل الفرنسى :

... وهنا نصل إلى أكثر مشاكل التاريخ المسيحى غموضاً وإبهاما فقد تلاقى هؤلاء الحواريون بالجليل بين أحضان ذلك الإقليم الذى يعرفونه والذى عاشوا فيه مع أستاذهم ، وظنوا أنهم رأوه هناك ثم أيقنوا أنه بعث من بين الأموات .

تلك هى الوقائع أما تفاصيلها فليس لدينا بها علم ، ولم يكن للأساطير بد من أن تحاول تفسير الوقائع ، فصنعت منها نسيجا بالغ التعقيد والغموض اختلط فيه العجب العجاب من الأحداث الخيالية المستحيلة وتعذر بعد ذلك

http://kotob.has

استخلاص الحقيقة منها لتضارب النصوص وتباين رواياتها ، وإن روايات الإنجيل التى وصلت إلينا والتى تتعلق يبعث عيسى لتبدو المؤرخ الناقد نوعا من الإنشاءات التى لا تنسجم عناصرها ، فقد بنيت على روايات مبهمة وتفاصيل متعارضة ، ثم على « حكايات » قديمة من تلك التى تعود عليها العالم الشرق .. ولكن .. ما هو أساس هذه المسألة ..؟ إذ لابد وأن يكون هناك شىء بالذات قد أثار الحديث عنها ؟ .

أساسها فيما يبدو — على أرجح الاحتمالات — رؤيا رآها بطرس تلتها رؤى جماعية .

وتلك ظاهرة لها أمثلة أخرى فى تاريخ الأديان . ا هـ

وهكذا ينهار البعث الذى حلم به طويلا التهيؤ المسيحى وإذا انهارت فكرة الصلب وفكرة البعث فقد انهار بالتبع لذلك القول بالفداء وما يترتب عليه عن الغفران والعشاء الربانى .

ويكون مسيو شارل جنيبير الفرنسى المسيحى قد قدم للعلم حقيقة واعية بهذا البحث التحليلى المحايد فنصر عيسى ابن مريم وهذب الشوائب التى حكيت حول رسالة عيسى عليه السلام بأفضل مما فعله حنا هس ومارتن لوثر [١] .

• وأما الأستاذ زكى شنودة فإنه — دون أن يدرى أو يقصد — فقد نسف العقائد المسيحية كلها إذ قال : توجد بعض أوجه الخلاف العقائديه أو المتعلقة بالطقوس بين الكنائس المسيحية نتيجة للاختلاف فى وجهات النظر والتباين فى فهم أسرار الدين المسيحى ...

---

(١) تركت الحديث عن فرق المسيحية قديما وحديثا اكتفاء بما وضحته فى كتابى : أضواء على المسيحيه طبع الدار الكويتية ١٩٦٨ م .

http://kotob.has.it

ثانيا — ثورة الاصلاح

ارتبط نمو الكنيسة وسعة نفوذها فى العصور الوسطى بظاهرتين :

الأول : ازدياد سلطه البابا على رجال الأكليروس .

الثانية : ازدياد تدخل رجال الكنيسة فى الحياة العلمانية .

وقد ترتب على ذلك عديد من الآثار اللاأخلاقية منها : أن الأساقفة كانوا أسوة سيئة فسرعان ما أصبحوا من رجال الإقطاع بل إن وظائفهم نفسها غدت اقطاعية كما أدى زواجهم إلى انصرافهم نحو جمع الثروة ليورثوها أبناءهم على نحو ما ذكره (اديم) idem .

يقول ايرى Eyre : خرج الأساقفة عن دائرة اختصاصهم الدينى إلى المشاركة فى الحروب وعقد المجالس القضائية وجمع الضرائب والمكوس الاقطاعية لا داخل أراضيهم الخاصة فحسب بل فى أراضى النبـــلاء المجاورين أيضاً .

• فقام من أجل إصلاح ذلك الفساد صوت فى منتصف القرن العاشر من منطقة « اللورين » التى أسفرت عن بناء كنيسة قرب «نامور» سنة ٩١٤ قام بإنشائها « جيرارد » ثم سارت الحركة بطيئة ومع ذلك فقد قاوم رجال الكنيسة هذه الحركة غير أن هذه الحركة عاصرت حركة أخرى تسمى حركة كاونى سنة ٢١٠ .

واستمرت موجات الاصلاح للكنيسة تترى فى كل جيل وقرن حتى ظهرت حركتا : الكاتاريين ، والوالدنيين فى جنوب فرنسا ولكن البابوية تمكنت من القضاء عليهما .

• وكانت الرغبة ملحة فى إصلاح الكنيسة فظهرت هيئة الفرير (الرهبان أو الإخوان) فى حركة الإخوان الفرنسسكان :

http://kotob.h

والدومينكان ، فى القرن الثالث عشر وكانت تهدف إلى حياة البساطة وحماية الكنيسة من الهرطقة وتدعيم البابوية عن طريق الأتباع المخلصين غير أن المستر فشر يرى أن هذه الحركة انغمست كذلك فى النقائص يقول :

ثم لم يلبث الفرنسسكانيون والدومنيكانيون أن أصبحوا من أهل الثروة بجر عليهم ذلك ماتجره الثروة على أصحابها من أخطار ، ولم ينته القرن الثالث عشر الميلادى حتى أضحى الأخوان الفرير موضع الاتهام بالترف والبخل والجشع ، ولم تكن هذه هى الوحيدة ... اه .

* ثم ظهر حنا وكلف Johnwyclif الذى عكف على وضع حلول للعلاقة بين السلطتين العلمانية والكنيسة ، ووصل إلى : أن الرب وحده له ملك السموات والأرض ، وأن جميع الصالحين لهم حق فى ملكية الأرض وأن هذه الملكية حق مشاع عام بينهم لأن الملكية الفردية إنما جاءت نتيجة لخطيئة آدم وعلى ذلك لا يصح أن تتردى الكنيسة فى هذه الخطيئة .

وكانت عاقبته أن طرد هو وأتباعه من « اكسفورد » واعتزل بقية حياته فى قريته حتى مات عام ١٣٨٣ م

* ثم كان حناهس الذى هاجم صكوك الغفران عندما أراد البابا حنا الثالث والعشرين شن حرب على ملك « نابلى » وراح يبيع صكوك الغفران لتسهم فى مساعدته على تكوين حملة عسكرية وقف حناهس يهاجم هذه البدعة ونادى بأنها ليست من الدين فى شىء ، وادعى حناهس أن أوامر البابا فى هذا الصدد تعتبر ملغاة لأنها تتعارض مع تعاليم المسيح .

وكانت نهاية حناهس أن ألقى عليه القبض عام ١٤١٤ م وحكم عليه مجمع كونستانس بالاعدام حرقا وتم اعدامه عام ١٤١٥ م وأعدم بعده أحد مشايعيه جيروم البراغي .

http://kotob.has.it

• وكان آرزم ١٤٦٥ — ١٥٣٦ م مستنيراً فوجه دعوته إلى العقلاء والمفكرين فدعاهم إلى قراءة الكتب المقدسة وفهمها والتوصل إلى العقيدة من مصادرها الأولى ، وكان آرزم صديقا للبابا « ليو العاشر » وكان محل إعجاب البابا فالتزم آرزم بالتؤدة وحافظ فى دعوته على قداسته البابوية وظل الأمر على مأدبة الوداد حتى ظهرت مقالة لوثر فرفض البابا ليو العاشر جمع أفكار أرزم .

• تومس مور Thomas Maure ١٤٧٨ — ١٥٣٥ م

وهو إنجليزى مسيحى ثائر على طقوس الكنيسة لكن فى هدوء فهو يعلن أن سيادة البابا واجبة مع وجوب اصلاح الكنيسة .

• مارتن لوثر Marten Luther ١٤٨٣ — ١٥٤٦ م

كانت له ميول دينية فانجذبت به إلى حظيرة الكنيسة بعيداً عن دراساته الجامعية فى القانون . ثم دفعته عواطفه الدينية إلى أن يحج إلى روما لتحل عليه البركات من البابا وكان فى ذهنه صورة مرسومة لكمال النقاء والطهر الذى سيشاهده فى البابوية ، والعطف والحنان والرفق والخشوع والخضوع الذى ينسكب من إيمان القساوسة ، غير أنه مالبث عندما وطأت قدمه أرض روما حتى اصطدمت مشاعره وآماله بخيبة أمل كبرى ... فقد وجد مدينة ماجنة خليعة ، ونفوساً مدنسة ، وطرقاً محاطة بالريب والاستهانة بالدين وجرأة كبيرة على ارتكاب الخطايا .

لقد وجد الملائكة الذين تخيلهم قديسين ورهبانا قد انغمسوا فى شهوات بهيمية شيطانية فانفعلت مشاعره والتهب وجدانه وصاحت نفسه اللوامة بأن هذا ليس هو دين عيسى ... وأخذ يدعو إلى الاصلاح فى ألمانيا .

فنادى بعدة مبادىء أهمها .

http://kotob.has

• أن صكوك الغفران دجل ، وأن الذنب لا يغفر إلا بالندم والإقلاع عن المعاصى ، وكتب منشورات يطالب فيها الكنيسة بإلغاء بيع صكوك الغفران وتعليقها على أبواب الكنائس فغضب البابا وأرسل إليه ليحاكم أمام محاكم التفتيش فأوصاه بعض الأمراء بعدم الذهاب وأصدر البابا غيابياً قراراً بحرمانه .

• عزل رجل الدين إذا لم يؤد واجباته كاملة .

• البابا هو كبير المرشدين وليس خليفة السيد المسيح .

• زواج القساوسة ورجال الدين أمر ضرورى لإصلاح نفسية رجال الاكليروس .

• كل مسيحى له الحق فى فهم الكتاب المقدس دون الرجوع إلى رجل الكنيسة ، ولا صلاة إلا بلغة تكون مفهومة .

• العشاء الربانى تذكار لما قام به المسيح من فداء الخليقة ، أما مايقال من استحالته إلى دم وجسد المسيح فهو خرافة .

• لارهبنة البتة ، ولا يجوز استعمال الصور .

وعلى هذه المبادىء قامت الكنيسة المعارضة أو الكنيسة البروتستانتية .

ومع تأسيس هذه الكنيسة فإن موجة الإصلاح مازالت تسير ورجالها فى كل بلد ينادون بالإصلاح والتغيير ومنهم زونجلى : وهو سويسرى ولد عام ١٤٨٤ وتوفى عام ١٥٣١ م وكان ينشر فى سويسرا نفس الأفكار التى كان يدعو إليها لوثر ومن قبله حناهس ، وكلفن .

وكان «كلفن» الفرنسى الذى ولد عام ١٥٠٩م وهو يعتبر المؤسس للتنظيم الكنسى البروتستنتى ويرى أن المسيح لا يحضر العشاء الربانى لا بشخصه ولا بروحه ، ويعتبر كلفن مساعد لوثر فى نشر مبادىء البروتستانت فى فرنسا.
والسؤال الآن هل وقفت هرطقة الهراطقة عند هذا الحد ؟

http://kotob.has.it

أم ستظل روح النقد والإصلاح مستمرة حتى ينزل المسيح ويكسر الصليب ويحرم الخنزير ؟

أما الكاتب الروسى دستيفسكى فيقول :

« إن السيد المسيح لو عاد إلى الأرض فى طوفة عابرة ونزل بأشبيلية فى أبان سطوة التفتيش فوعظ الناس وصنع المعجزات وأقبل عليه الضعفاء والمرضى والمحزونون يلثمون قدميه ويسألون العون والرحمة ... وأنه ليمضى بين الشعب يضفى عليه حبه وحنانه ويبسطون له شكاياتهم ومخاوفهم إذا برئيس ديوان التفتيش يعبر بالمكان ويتأمل إليه والشعب هنيهة ثم يعهد إلى الحراس ويأمرهم أن يعتقلوه ويودعوه حجرة السجناء فى انتظار التحقيق ...

وفى المساء يذهب المفتش الأعظم إلى الحجرة ويقول للرسول الكريم : « إنى أعرفك ولا أجهلك ولهذا حبستك .. لماذا جئت إلى هنا ... لماذا تعوقنا وتلقى العثرات والعقبات فى سبيلنا ... ؟؟

ثم يقول له :

إنك كلفت الناس ما ليس لهم به طاقة ، كلفتهم حرية الضمير ، كلفتهم مؤونة التمييز ، كلفتهم أن يعرفوا الخير من الشر لأنفسهم ، كلفتهم أوعر المسالك فلم يطيقوا ما كلفتهم وشقيت مساعيهم بما طلبت منهم ... والآن وقد عرفنا نحن داءهم وأعفيناهم من ذلك التكليف وأعدناهم إلى الشرائع والشعائر .. تعود إلينا لتأخذ علينا سبيلنا وتحدثهم من جديد بحديث الاختبار وحرية الضمير ؟؟ اهـ

فهل ستستمر ثورة الإصلاح ؟ وإلى أى مدى ؟؟ !

http://kotob.ha

أهم مراجع هذا البحث

١ — المسيحية : نشأتها وتطورها مسيو شارل جنيبير

٢ — تاريخ الأقباط الأستاذ زكى شنودة

٣ — تاريخ أوربا : العصور الوسطى هـ . ا . ل فشر

٤ — تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم

٥ — الكنيسة المصرية ميشيل جرجس

٦ — خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية شحادة خورى نقولا خورى

٧ — أقباط ومسلمون دكتور جاك تاجر

٨ — تاريخ الكتاب المقدس دكتور بوست

٩ — الأصول والفروع القس بوطر

١٠ — تاريخ الأمة القبطية يعقوب نخلة

١١ — قصة الحضارة ويل ديورانت

١٢ — محمد الرسالة والرسول دكتور نظمى لوقا

١٣ — سوسنة سليمان نوفل نعمة الله جرجس

١٤ — إنجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة

١٥ — الأناجيل [العهد القديم ، والعهد الجديد] طبع لندن

١٦ — القرآن والمسيحية البابا شنودة

١٧ — تاريخ أوربا العصور الوسطى ، دكتور سعيد عاشور

١٨ — إظهار الحق ، رحمة الله الهندى .

http://kotob.has.it

الباب الثاني

موقف المسيحيين الذين أسلموا

الفصل الأول : رسام مسيحي من فرنسا يدخل الإسلام

الفصل الثاني : قسيس من أندونيسيا يعتنق الدين القيم

الفصل الثالث : نجار وباحث مسيحي من صعيد مصر يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

«إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والامم، زد على ذلك أن المسلمين يحملون لعيسى في نفوسهم التبجيل والتعظيم في حين أن أنصار المسيح يمطرون محمداً وابلا من اللعنات والسخطات الأمر الذي يدعونا إلى الدهشة والغرابة ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالعفو والإحسان»

«القس ميشون»

http://kotob.has

الفصل الأول

مسيو اتين دينيه

Etienne Dinet

كان رجلا فرنسياً ذا قدر كبير فى التصوير والرسم . ولوحاته النفيسة القيمة تزدان بها جدران المعارض الفنية فى فرنسا وأوستراليا .

وله فى متحف لوكسمبرج بباريس عدة صور شهيرة منها لوحة باسم (غداة رمضان) . وله كذلك لوحات فى معبدى (يو) و (سدنى) .

هذا الرسام العالمى أعلن إسلامه عام ١٩٢٧م بالجامع الجديد بمدينة الجزائر فى احتفال مهيب رأسه مفتى الجزائر ووزير العدل التونسى آنذاك وجوقة من كبار علماء الجزائر وأدبائها وأعيانها وتجارها ...

فلماذا ترك هذا الرسام المشهور العالمى المسيحية ودخل فى الإسلام ؟

هل هى الرغبة فى الشهرة ؟

أو هل هى الرغبة فى المادة ؟

إن شيئاً من ذلك لايصح أن يكون دافعاً له على الدخول فى الإسلام لأن الرجل ذا صيت ذائع طبقت شهرته آفاق العالم الأوربى ، ووصل إلى درجة من التقدير الاجتماعى قد لا يصل إليها ند له ، فقد دوّن معجم « لاروس » أعمال المسيو دينيه ، كما جاءت سيرته فى : معلمة « هاشيت الفنون الجميلة » .

وهو ثرى لأن مهنته مع شهرته تدر عليه الربح الكثير السجساج .

http://kotob.has.it

إذن فقد دخل فى دين الله الحنيف وأسلم وجهه لله لعامل آخر فما هو؟[1].

كان دينيه فناناً يتصور الخلود بدقة لاتتأتى لغير ذى الشعور الفنى ويتمنى الخلود ويريده ويعمل جاهداً لتكتب لوحاته فى سجل الخلود ... وبالطبع دفعته هذه الروح لمحاولة الكشف عن المصير الأبدى وما فيه من الخفايا .

لقد كان يفكر فى مصيره الأخروى كما كان يفكر فى لوحاته ، وكان يحاول أن يبلغ الذروة فى اللوحات . وكان يحاول كذلك أن يبلغ الذروة فى مصيره الأخروى .

لقد تغلب بفنه على القلق الذى يساوره فيما يتعلق بمجده الدنيوى ، وأحس من هذه الجهة ببعض الطمأنينة .

ولكن ما العلاج لطبيعته الدينية القلقة ؟

إن العلاج هو فى البحث والتأمل والتفكير فى الكون وفى النصوص المقدسة ، وفى العقائد التى يدين بها مجتمعه الذى ولد وتربى بين جنباته .

وتوأ فكر مسيو ايتيين دينيه فى المسيحية ذلك الدين الذى يعتنقه بالوراثة عن أبويه وعن مجتمعه ، كما فكر فى البابا ذلك البشر الذى وصف نفسه بالعصمة ، وتأمل فى عقائد الكنيسة : الصلب والفداء ، التثليث ، الغفران . . . الخ.

ووجد أن الشروح الدينية المسيحية تقول :

إن المسيح ابن الله ، وقد صلب ليطهر بنى البشر من اللعنة التى حلت بهم بسبب خطيئة آدم .

---

(١) راجع ترجمته الوافية فى كتاب : أوربا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود ، وأشعة خاصة بنور الإسلام للمسيو أتين دينيه

http://kotob.has

وفكر : إنه صلب ليفتدى البشر ثم هو ابن الله؟

هو الله وهو بشر ؟ وهو إله ... !!!

وأحس برأسه تدور وبصره يزيغ فلا يكاد يرى بارقة أمل فى أن يهتدى إلى الحق فى كل ذلك ، وهل فى ذلك من حق ؟

ولم ييأس ... فراح يعيد قراءة الأناجيل من جديد محاولا جهده العثور على طلبته ، ولكنه يرى فيها مايتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل فضلا عن الصورة التى تريد المسيحية أن توحى بها.

• فمن أقوال المسيح التى فيها حطة واحتقار لأمه العذراء ما صدر عنه فى عرس « قانا » .

« وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك ، ودعا أيضاً يسوع تلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر ؟ قال يسوع مالى ومالك يا امرأة! يوحنا الإصحاح ١٢

• ومن أقواله التى تحمل فى طياتها اللعنة على شجرة تين لم تحمل ثمرها ، لأنه لم يكن موسم تين :

فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء لعله يجد فيها شيئاً ، فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقا ، لأنه لم يكن وقت التين فتعجب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمراً إلى الأبد ، وكان تلاميذه يسمعون»

مرقص الإصحاح ١١

• ومن أقواله الدالة على كرهه الغريب :

وإذا امرأة كنعانية خارجة من التخوم صرخت إليه قائلة : ارحمنى ياسيد يابن داود ، ابنتى مجنونة جداً ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال :

http://kotob.has.it

« لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »

متى الإصحاح ١٥

• ومن أقواله التي توجب كراهية الأقرباء :

« إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون تلميذاً   لوقا الإصحاح ١٤

• ومن أقواله التي فيها اعتراف بالجهل:

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن ، إلا الآب »   مرقص الإصحاح ١٣

• ومن أقواله الدالة على الخوف والحزن :

« نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا ها هنا واسهروا معي ، ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا : يا أبتاه إن أمكن فلتبعد عني هذه الكأس»   متى الإصحاح ٢٦

• ومن أقوله الدالة على التفريق والبغض :

« جئت لألقي ناراً على الأرض فماذا أريدلو اضطرمت ولي صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل ، أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض كلا أقول لكم ، بل انقساما لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة : ينقسم الأب على الابن ، والابن على الأب ، والأم على البنت ، والبنت على الأم» .

لوقا الاصحاح ١٢

• ومن أقواله الدالة على الزهو والتكبر :

«لولم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيري لم تكن له خطية ، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي »   يوحنا الإصحاح ١٥

http://kotob.ha

« ومن أقواله التى تعبر عن اليأس بالموت من عذاب الجسم ذلك وهو مصلوب : « صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلى إيلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى » . « متى الاصحاح ٢٨ »

ثم يعلق مسيو دينيه على هذه النصوص بقوله :

(ا) والواقع أنه فى حالة يأسه الأخير لم يتوجه إلى « أبيه » وإنما إلى إلهه وربه كى لا يتركه ، على أن هذه الجملة بذاتها — وهى من الجمل النادرة التى ترجمت بنصها الذى نطق به يسوع ذاته — لا تبيح بأى حال اقتراف الغلطات المتكررة الموجودة فى ترجمة الأناجيل اليونانية .

(ب) أما ونحن نعظم المسيح ونحترمه ونرفعه مكانا عليا فلا نسمح لأنفسنا بالاعتقاد بصحة هذه الأقوال وأمثالها وهى لا تصح نسبتها إلى أحد الأنبياء فما بالك بنسبتها إلى « رب » فقد وضعوا بين أيدينا أكبر حجة على أن عيسى ليس إبنا لله وأنه نفسه لم يدع هذه الدعوى .

القرار :

وكان الوصول إلى هذه الحقيقة صدمة لآمال مسيو دينيه فتوجه إلى دراسة مصدرية الأناجيل وصحة نسبتها إلى عيسى أو الوحى ووصل إلى النتيجة التالية :

(١) « أما أن الله سبحانه وتعالى قد « أوحى » الانجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذى لا شك فيه أن هذا الانجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو أنه قد أبيد .. ولهذا جعلوا مكانه توليفات أربع مشكوك فى صحتها وفى نسبتها التاريخية ، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية وهى لغة سامية ؟ لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود » اهـ .

http://kotob.has.it

ويتقدم مسيو دينيه بنقد لاذع لعقلية كاتبي الأناجيل فيقول :

(ب) « ثم الأناجيل ... ألم يدخل عليها التنقيح والتهذيب في كثير من المواضع التي لم تعرف بعد[1] ، ولم أغفل رجال الأناجيل ثلاثين عاما من حياة المسيح دون أن يذكروا لنا عنه فيها شيئاً إلا ما اختص بالسنين الثلاث الأخيرة ... ؟

وأمر آخر فات رجال الأناجيل ؛ ذلك ؛ أنه مع عظيم خطر هذه الثلة في سني حياة المسيح ، فإن الأناجيل لم ينلها التنقيح الواجب الدال على المهارة والذكاء لأن واضعيها وهم قليلو الخبرة بعلم النفس لم يدركوا أن ما يصح ذكره على لسان نبي لا يصح أن يقال على لسان ابن الله وإلا كان الأمر غريبا شاذا نابيا ، على أن هذا هو ما قد حصل، فقد جاءت في أناجيلهم كلمات كثيرة على لسان المسيح يعجب المرء لصدورها ممن كان في منزلته ... »

ورأى في النهاية بعد البحث والنظر الدقيق الجاد أن الكاثوليكية لا تتحمل البحث والمناقشة وقد أظهرت الأدلة العديدة : الأخلاقية والتاريخية والعلمية واللغوية والسيكولوجية والدينية ... أن الكاثوليكية ملأى بالأغلاط الواضحة .

وثار شعوره الديني ثورة نفضت عنه كهوف التقاليد المسيحية وأعلن رفضه المسيحية واتجه للبحث عن طمأنينة لمشاعره الدينية في جو آخر ليس مسيحياً ...

الإيمان :

لقد انتقل إلى الجزائر وهناك التقى بالشيخ سليمان ابراهيم وجيه علماء

---

(١) راجع رأى مسيو شارل جنيبر فيما يتعلق بالأناجيل في الفصل الثالث من الباب الأول من هذا الكتاب ص ١٦٩.

http://kotob.ha

الإسلام بالجزائر فتعلم العربية وقرأ القرآن ووجدت نفسه الظامئة برد الطمأنينة فى سورة الإخلاص ففرحت نفسه بهذه المنحة العظيمة ووضحت عقيدة التوحيد أمام بصيرته فى مقارنة كتبتها ريشة الخبرات والمحاولات الجادة الطويلة على نحو ما جاء فى رسالته : أشعة خاصة بنور الاسلام ، قال فيها :

الإله :

الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يتخذ فيه الإله شكلا بشرياً أو ما الى ذلك من الأشكال .

أما فى المسيحية فإن لفظ (الله) تحوطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن فى السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال فن تجاعيد فى الوجه الى لحية بيضاء مرسلة مهملة تثير فى النفس ذكرى الموت والفناء .

ونسمع القوم يصيحون « ليحيي الله » فلا نرى للغرابة محلا ولا نعجب لصيحتهم وهم ينظرون الى رمز الأبدية الدائمة وقد تمثل أمامهم شيخاً هرما قد بلغ أرذل العمر ، فكيف لا يخشون عليه من الهلاك والفناء ، وكيف لا يطلبون له الحياة ؟

ــ كذلك (يا هو) الذى يمثلون به طهارة التوحيد اليهودى فهم يجعلونه فى مثل تلك المظاهر المتهالكة ... وكذلك تراه فى متحف الفاتيكان وفى نسخ الأناجيل المصورة القديمة .

ــ أما (الله) فى دين الإسلام الذى حدث عنه القرآن فلم يجرؤ مصور أو نحات أن تجرى به ريشة أو ينحته ازميل ، ذلك ، لأن (الله) لم يخلق الخلق على صورته ، وتعالى سبحانه لم تكن له صورة ولا حدود محصورة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ولم يكن له كفوا أحد ... » ا هـ .

http://kotob.has.it

وأسلم لله المسيو ايتين دينيه وحمل اسما اسلاميا جديداً « ناصر الدين » .

وحسن إسلام ذلك الفنان العالمي فدرس الحياة العربية الجزائرية وفهمها فهما صحيحا ، وألف عدة كتب عن العرب وعن الإسلام منها :

(١) حياة العرب .

(٢) حياة الصحراء .

(٣) الشرق كما يراه الغرب .

(٤) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) الحج إلى بيت الله الحرام .

(٦) السراب .

(٧) ربيع القلوب .

(٨) أشعة خاصة بنور الإسلام .

نصيحته إلى أوربا والمستشرقين :

وفي العقد السابع من عمره عام ١٩٢٩ م توفى ناصر الدين بعد أن ترك للإسلام حجته على المسيحيين وأوصى الرجل أن يدفن فى جو عربى إسلامى فى (بو سعادة) بالجزائر .. كما ترك من خلفه نصيحة لأوربا قال فيها :

إن الشرق لم يضمر للغرب الإساءة ، وإن الغرب يخطىء إذ يظن أن الشرق لا يستحق العناية ، مع أن الشرق قد عرف كل دخائل الغرب وأنه مع ذلك لا يحمل له إلا السلامة » .

وتصيحة أخرى للمستشرقين هى :

إذا شاء المستشرقون أن تكون جهودهم مثمرة فلينصرفوا عن اضاعتها فى محاربة المنقول الذى هو أسمى من أن يوازيه شىء . إلى شرح هذا المنقول واحيائه بدرس نفسية العرب درسا عملياً غير سطحي » ا م .

http://kotob.ha

رحم الله ناصر الدين دينيه وبعثه مع الصديقين والشهداء والصالحين .

وبذلك تظهر حقيقة الخط الفاصل بين :

ثوره حنا هس على أسرار الكنيسة .

ثم ثورة لوثر على صكوك الغفران ...

دون أن يستطيع الخروج من دائرة كفره إلى دائرة الإيمان الطليق .
فقد ارتبك حنا هس فى تجهيزه جيوشه لتثبيت آرائه ضد الكنيسة .

وارتبك لوثر فى نزعته العرقية ضد البابوية فلم يفك عنقه من ربقة المسيحية الباولسية .

وارتبك شارل جنبير الفرنسى فى ربقة الحيـــاة العلمانية فلم يعلن خروجه عن المسيحية التى أظهر فسادها بتحليله التاريخى لمصادرها وشروحها ورجالها .

أما الفنان العالمى الذى وسع فنه متاحف العالم فقد أرضى مشاعره الدينية ـ مع أنه ليس فيلسوفا مثل لوثر ولامدعيا الإصلاح مثل حنا هس ، ولا متخصصاً فى تاريخ مقارنة الأديان مثل شارل جنبير ـ ولكن الشعور الصادق والوجدان المتدين النقى ساقه إلى فيض النور ، وحقيقة التوحيد فدخل دينيه فى دين الله : الإسلام الحنيف .

http://kotob.has.it

الفصل الثاني

انطونيوس مقار

Antonius Maukar

قسيس من أرخبيل الملايو بأندونيسيا

أنبطونيوس مقار : راهب من رهبان جزر الأرخبيل بأندونيسيا تخرج من كلية اللاهوت وصل قسيساً وبنى كنائس وأدخل فى المسيحية فى عام واحد ألفى رجل وامرأة من المسلمين فى أندونيسيا .

هذا القسيس الناجح يخرج من عقائد المسيحية ويدخل فى الإسلام فلماذا ؟

لو كان فاشلا : لكانت العلة فى خروجه من المسيحية أنه فاشل ولو كانت الشهرة : فقد بلغت شهرته أن اختير بعد تخرجه ونجاحه فى نشر المسيحية مبشراً ليواجه الثورة الإســـلامية فى مدينة جوجاكارتا العاصمة القديمة لأندونيسيا .

إذن لماذا دخل القسيس الأندونيسى انطونيوس دين الإسلام .

يحكى هو بنفسه قصة إسلامه فى كتابه باللغة الأندونيسية :

لماذا أسلمت Apa Sebabsaya Ber Agama Islam .

تاريخ وتربية :

يقول :

فى يناير ١٩٢٤م سافرت حملة بحرية هولندية من ميناء «بيتوخ ميناهسن»
Bitung Minahasan

وكان فى هذه الحملة العسكرية الهولندية ضابط برتبة مايور ، يسمى جوهن فريدريك John Fredrik .

http://kotob.has

ولم تلبث الحملة طويلا بعد وصولها إلى جزيرة سافاروا Saparua بمنطقة جزر مالوكو الوسطى Malumu Tengam حتى مرض الضابط مرضا خطيرا احتاج إلى طبيب متخصص فى علاج هذا النوع من المرض ، واحتاج كذلك إلى ممرضة متخصصة فى تمريض صاحب هذا النوع من ذلك المرض الخطير .

وكانت هناك ممرضة راهبة مشهورة جدا فى التمريض لهذا النوع الخاص اكسبتها حياة الرهبنة حباً وتفانياً وشجاعة فى ممارسة التمريض مع أصحاب هذا المرض الخبيث .

وكانت جوهنا لاتوبريسا Johanna Latuberissa هى الراهبة الكاثوليكية النابغة التى أشرفت على تمريض الضابط مايور جوهن .

وشفى الضابط وخرج من سرير المرض إلى بوارج الحملة العسكرية بعد أن ترك حبلاً من الود الخفى يربطه بالممرضة الشجاعة جوهنا ...

ولم تقو جوهنا على جاذبية الحب الذى تكنه للضابط جوهن فاندفعت فى ثورة عشق عارمة تخلع ثيابها البيضاء الديرية لتلبس ثوب الزفاف الأبيض كزوجة للمايور جوهن ... وكانت أسرة كاثوليكية سعيدة أنجبت سبعة أولاد ذكورا كنت أنا رابعهم فى عام ١٩٣٣م ، وفى أنا وحدى وضعت أمى آمالها لأكون راهباً Pastur مجددا فيها أملها الذى ضاع من قبل[1].

وعندما كنت طفلا بدأوا يلقوننى تعليمات روحية ويعلموننى أن هذه التعاليم لايجوز مناقشتها ... وقد غرسوا فى نفسى عقيدة التثليث الكاثوليكية ... وكان صوتاً خفياً يرفضها ... ثم ألحقت بمدرسة سافريوس Saverius فى قرية توندانو Tondano وتدرجت فى مدارس التعليم حتى التحقت بمدرسة الرهبان فى الفترة مابين ١٩٥٣ — ١٩٥٨) .

(١) سوف نترجم هذه القصة إن شاء الله كاملة .

http://kotob.has.it

وظيفته :

وتخرجت ... والحقت بوظيفة فى الكنيسة بمدينة سورابايا Surâbaya بجاوا الشرقية لمدة عامين ثم حولت إلى مدينة سمارغ Semarang بجاوا الوسطى حيث أدخلت فى المسيحية ألفين وبنيت كنيسة ، وكانت مهمة التبشير هى : إدخال المسلمين فى المسيحية الكاثوليكية ، وكانت وسائلنا المادية لهذا التبشير كثيرة وضخمة ...

ولما وقعت أحداث جوجاكارتا عام ١٩٦٠ Jak Jakarta انتدبت للعمل فيها لمواجهة الثورة الإسلامية وانحصرت مهمته فى نقطتين :

الأول : تنظيم الكنيسة لمواجهة خطر المسلمين .

الثانية : العمل على تنشيط التبشير الكاثوليكى .

وكنت كالنحلة أطوف القرى والغابات تطوافا صباح مساء ، وقدر لى فى يوم أن ألتقى بأحد علماء المسلمين - الذين كان يجب على أن أضع لهم خطة تربكهم وتحيل نشاطهم إلى داخل أنفسهم - وكان ذلك العالم هو الحاج منور خليل - يرحمه الله - وتبادلنا الأفكار وعرضت عليه العقيدة الكاثوليكية بكل أسرارها ... ولكن الشيخ كان ممتلئاً باليقين والثقة والعلم ففاجأنى بما لا دراية لى به إذ أننى أحفظ كالببغاء هرطقات حفظتها دون أن أستعمل فكرى . لقد قال لى الشيخ فى اللقاء الأول به :

هذه عدة أناجيل بعضها باللغة الانجليزية ، واللغة الهولندية ، واللغة الأندونيسية ، والأخرى باللغة العربية - وجعل الرجل يقرأ منها جميعا ويترجم ويفسر ويوضح مع اتساع الأفق وإدراك للخفايا وكان يستعين فى أدلته ضدى بل ضد ما أدعوه إليه بمعلومات مدونة فى دائرة المعارف البريطانية ، وكتب التاريخ المدونة باللغة الانجليزية .

http://kotob.has.it

وظل الرجل هكذا يتنقل فى شروحه ومناقشاته كأنما يقطف أوراق الورود فى صبح ندى ، وأنا أشعر كأنما كل أمراض الرأس قد حلت فى رأسى ... وكنت أشعر أن إيمانى يتهافت كما تتهافت أشعة الشمس عند الغروب فى يوم كثيف السحاب ...

وفى اللقاء الثانى بعد أسبوع تقريبا عدت إلى الشيخ أسأله أن يوضح لى ما قالته دائرة المعارف فى جرأة من أن التثليث إنما هو صنعة بولس Paulus ثم طلبت منه استعارة الجزء الذى يعالج قضية التثبت Trinitas للاطلاع عليه.

ولقد أدهشنى كثيرا ماقرأته عن الدكتور دافيدستراوس Dr, D, Strans ذلك العالم المسيحى ١٨٤٤ م فى كتابه Das Lebens Jesus « اضطراب حياة عيسى » :

إن اليهود والمسيحيين يشعرون أن ليس هناك دين قادر على إقامة الأدلة على الألوهية مثل الديانة اليهودية والمسيحية ...

وإذا كان هذا هو رأى اليهود والمسيحية فنحن نريد أن نفحص هذه الدعوى فقد تكون هذه المشاهدات المذكورة قد رأتها عين مغشوشة[1] الرؤية إذ لم يستطع تاريخ الأناجيل إثباتها يقينا ، ولو أنه من المفروض أن كاتبى الأناجيل لايتورعون عن إدخال بعض الأخبار المزورة فيما يتكسبون عن طريق الدهاء والمكر فيما يصورونه لأنفسهم كأنهم شاهدوه عيانا ... غير أن تاريخ الأناجيل عاجز عن إعطاء هذا الدليل ... الخ .

شك :

وفى اللقاء الثالث مع الشيخ منور خليل رحمه الله كنت أحمل فى صدرى

---

(١) يتفق هذا الرأى مع رأى شارل جنبير راجع ص ٩٠ من هذا الكتاب

http://kotob.has.it

ثورة عارمة على الدوجمانزم Dogmatis التبعية العمياء وعدم المناقشة حسب الشعار الموروث (أنا أو من بذلك لأن ذلك غير معقول) .

وكانت مهمتى هذه المدة مع الشيخ أن يقدم لى الرشد والنصيحة للخروج من أزمتى النفسية التى أعانيها ... وبعد انتهاء اللقاء عدت إلى منزلى وأنا أغلى كالمرجل فوق النار وقررت أن أطلب إجازة وأسافر لأبحث عن مصدرية عقيدة التثليث Trinitas وأصل العقائد الكاثوليكية .

البحث :

وسافر إلى جزيرة بالى Bali وإلى معبد الهندوكية قصدت تو نزولى وطلبت الالتحاق بهذه الديانة فقال لى الكاهن Biksu لا بد من امتثال عدة أوامر هى :

١ — حلق الرأس بالموس .

٢ — ارتداء الثياب البيضاء لمدة لا تقل عن ثلاثة شهور .

٣ — تقبل تعاليم الديانة دون مناقشة .

فأدركت أن هناك مساواة بين التعاليم فى الديانتين الهندوكية والكاثوليكية .

النتائج :

وواصلت الدراسة لمدة ثلاثة شهور فحصل لدى مقارنة تامة بين التثليث الكاثوليكى ، والتثليث الهندوكى كالآتى :

الديانة الهندوكية	الديانة الكاثوليكية المسيحية
براهما Brahmah	الآب
فيشنو vishnu	الابن
سيفا Siva	روح القدس

http://kotob.ha

ووصلت كذلك إلى أن كل ماقيل : من العشاء الربانى والغداء ... الخ .
ليست من تعاليم المسيح ولكنها تنبع من ثقافة دينية هندوكية .

كما وصلت إلى أن كريستوس « المسيح » محرفة عن كاريستانا الله الابن
فى الثالوث الوثنى :

وشنو	الله الآب
كاريستانا	الله الابن
ديفا ناكى	الأم

وإذن ففكرة يسوع ابن الله متساوية مع فكرة كاريستانا ابن وشنو ،
فأدركت تماما أن التعاليم الهندوكية هى مصدر تعاليم الكنيسة الكاثوليكية
وسألت نفسى هل أتبع المصدر « الهندوكية » ؟

ورد على سؤال عميق فى أعماق نفسى : إنها ديانة لا تعرف لها واضعا
أكثر من أنها تعترف بقائد أومرشد Reformator فلم أفضل الهندوكية على
الكاثوليكية ، ونظرت فى البروتستانتية فوجدتها كذلك تتفق مع كلتا
الديانتين فى منطق التثليث والتبعية العمياء Dogmatis ، ووجدت كذلك أن
لوثر Luther وتوماس مور Thomas Maure لم يكن كل منهما مخلصا فى ثورته من
أجل الحق والدين الصحيح بقدر ما كان يريد أن يخدم ألمانيا ولهذا فهو لم يوفق
للحصول على العقيدة السليمة .

مع الشباب الكاثوليكى :

وفى خضم هذه التيارات التى أعيشها دعانى شباب الكنيسة الكاثوليكية
لتبادل وجهة النظر فيما يتعلق بالتثليث ... وكانت ندوة ممتعة ملخصها :

١ ـ أن الواحد إذا تكرر ثلاث مرات أصبح ثلاثة بلغة الحساب
وهى أدق اللغات معايير ... ولكن فى بعض الأحايين تكون الثلاثة واحدا
فكيف يحدث ؟

http://kotob.has.it

آه ... سوف يقال هذا سر من أسرار الكنيسة Rumus لايجوز مناقشتها .

والسؤال الآن لماذا لاتجوز مناقشتها ؟ ومن قال هذا ؟ وما دليله ؟ ويمكن أن يكون الجواب : السبب هو هذا فقط منذ الأبد حتى الآن ... ! فليس هناك من يجرؤ على حل هذه الرموز ، وتفسير تلك الطلاسم .

ويمكن الرد بأنه لايجرؤ لعدة أسباب منها :

أنه جاهل لايعرف .

أو أنه غير شجاع إن كان يعرف .

أو أنه ... أو أنه ... الخ .

٢ — أن الثلاثة إذا اجتمعوا فى شىء واحد يحويها جميعها صار لها اسم واحد .

فالدخان الأندونيسى الذى نشربه الآن فى هذه الندوة Rokok-Keretek مكون من ثلاثة أقانيم وهى :

* أقنوم الورق
* أقنوم القرنفل
* أقنوم التمباك

ولكنها كلها يقال لها « سيجارة » ، وإذا فرقنا أجزاء هذه السيجارة إلى ورقة ، ودخان ، وقرنفل ... ما جاز لنا أن نطلق اسم السيجارة على أى أقنوم منها ولا جاز لنا أن تقول عن القرنفل أن له خصائص الدخان ، ولا عن الورق أن له خصائص القرنفل . فلكل أقنوم خاصيته التى يتميز بها عما سواه

http://kotob.ha

ثم قلت للشباب هل تعارضون فى هذا ؟ فأجابوا لا ... فقلت وكذلك نحن نفرق بين الخبز وصانعه فهل يمكن أن يطلق على الخبز أنه صانع وعلى الصانع أنه خبز ؟ فقالوا : لا ... طبعا لايمكن ، فقلت فلم نقول بالتثليث : الآب والابن ، والروح القدس .

فإن خالق البشر لابد وأن يسمو بصفاته وأفعاله وذاته عن كل مايشبه البشر

وانتهت هذه الندوة وقد تركت الشباب على نحو من حالى ... ورمض لى عند العودة إلى البيت أن اعتنق مذهب الأدفنت Advent فهو يقول بالإله الواحد الذى لاشريك له ، وأن عيسى رسول الله ، وأن الأحكام الشرعية مصدرها التوراة والإنجيل فحسب ... ثم بان لى أن هذا المذهب لايمكن قبوله لأنه مجهول الواضع ... وبين العهد القديم ، والعهد الجديد تناقض بين .

فالعهد القديم يحرم عبادة شىء سوى الله .

والعهد الجديد يجعل كل الصلاة ليسوع وروح القدس والتماثيل .

والعهد القديم يوجب الختان .

والعهد الجديد يحرم الختان (هكذا رأى انطونيوس) .

ولهذا فإننى رفضت مذهب الادفنت لأنه مشترك مع هذه المصادر فى اضطراب الشرائع والعقيدة .. !

الشعور بالإلحاد Achels

ظلت هذه المعارك النفسية تصارعنى حتى عام ١٩٦٢ م حتى خرجت منها بقلب فارغ فوطنت نفسى على أن اعتنق موقف العناد والمنتقد لكل هذه العقائد الأربعة : «الكاثوليكية ، البروتستانتية ، الهندوكية ، الأدفنت

ولاح لى طيف خيال : أن أضع أنا دينا جديدا خليطا من هذه التجارب ... ولكن الصوت الخفى الذى كان ينادينى من أعماق نفسى : إننى أطلب دينا يرضى الله عنه .

http://kotob.has.it

قل إن الهدى هدى الله :

وعند الشعور بلحظة الضياع رجعت إلى القرآن الكريم — باللغة الانجليزية — ذلك الكتاب الذى أهدانيه الشيخ منور خليل وقرأت سورة البقرة آيات : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » ٢١ - البقرة .

لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ... ٢٥٦ البقرة

فأحسست بأن هذا النداء كأنه يطلبنى من زمن بعيد ويدعونى لأعرف ربى بإرادتى وعقلى دون إكراه أو ضغوط ... أو تعصب ... ولهذا أسلمت وجهى لله رب العالمين[1].

(١) لماذا أسلمت للأخ المسلم انطونيوس الناشر المجلس الأعلى الإسلامى للدعوة الإسلامية فى سومطرة الشمالية بأندونيسيا .

http://kotob.has.it

الفصل الثالث

الشيخ محمد زكى الدين الطهطاوى

بحار مصرى صعيدى أرثوذكسى
شهد ألا إله إلا الله

(١) كثير من أبناء مصر البارين من الأقباط بحثوا فى العدل الدينى ... وكثير من عقلائهم الذين هداهم الله فشرح صدرهم للإسلام فأسلموا .

ومن الذين أسلموا القسيس (سالفا) المبشر بالإرسالية الألمانية السويسرية المسلم الصادق الأخ الأستاذ إبراهيم خليل أحمد :

* الذى تخرج فى أسيوط من الكلية الأمريكية عام ١٩٤٢م
* وحمل دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية المسيحية بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م
* وعين قسيساً راعياً لكنيسة باقور بأسيوط عام ١٩٥١م
* ثم قسيساً أستاذاً للعقائد والإسلام بكلية اللاهوت بأسيوط سنة ١٩٥٣م
* ثم عين قسيساً مبشراً بالإرسالية الألمانية السويسرية فى أسوان عام ١٩٥٤م إلى عام ١٩٥٥م

ولقد حسن إسلامه وتكاد ترى دلائل الإيمان بادية فى وجهه الصادق وهى تشع عليك من روحانية الإسلام نوراً مطمئناً

كتب هذا الأخ المسلم الكريم كتاباً قيما حول موضوع :

(محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن)

وهو كتاب جدير بالقراءة لأنه يوضح الأسباب التى جعلت ذلك القسيس الداعية الأستاذ فى اللاهوت الكنسى يعتنق دين الإسلام ومع

http://kotob.has.it

معزته على وحي له فلم أشأ أن أنقل آراءه مكتفياً بآراء القسيس الأندونيسي ليكون لدينا في الاستشهاد على ضعضعة دين بولس أدلة من آراء علماء الفن المشهورين ، والقساوسة المتبحرين ، ثم العامة من الناس ... الذين يشكلون السواد الأعظم المغلوب على عقله وفكره ... وأن كل ذلك يلتقي مع كبار الباحثين من العلماء المتخصصين في دراسات مقارنات الأديان مثل مسيو شارل جنبيير .

(ب) ولهذه العلة ذاتها لم أر أن ألخص الحقائق العلمية التي وصل إليها الأخ الأستاذ محمد مجدي مرجان به في كتابه القيم الرائع : الله واحد أم ثالوث

• الذي أثبت فيه أن أصحاب الثالوث مختلفون على ثالوثهم ، وأن الثالوث له وظيفة تختلف فيها أقانيمه .

فالآب : مصدر العدل .

والإبن : مصدر الرحمة .

والروح القدس : مصدر النعمة .

• وأن العقل وهو أسمى ما أودع الله في الإنسان من ملكات وأعز ما يعتز به الناس وهو ميزان التفرقة بين الحق والباطل هذا العقل إذا عرضنا عليه قضية الثالوث فلا شك أن الفشل سيكون حليفه في كافة المحاولات مهما بذل من مجهودات . لأن الثالوث شيء لم تأت به الرسالات ولا الأنبياء ولا يمكن للعقل أن يفهمه .

• وأن هذا الثالوث المسيحي متشابه من كل وجه مع الثالوث المصري .

الإله أوسيري : ويسمى الآب أو الوالد .

الإله هور : ويسمى الإبن أو الكلمة .

الإله ايس : وتسمى الأم أو الوالدة .

http://kotob.has.it

• وكذلك فهو متشابه من كل وجه مع الثالوث الهندى ،

• وأن القديس بولس رسول المسيحية يتغير ويتلون ويتحلون مع كل اتجاه : يدعى لليهود أنه يهودى ، وللوثنيين أنه وثنى ، وللملحدين أنه ملحد ...

• وفى نهاية المطاف يثبت أن الله واحد ، وأن دين الله الذى حمله الأنبياء جميعاً هو الإسلام[1] .

(ج) ولكن الشيخ محمد زكى الدين الطهطاوى أثقل وزناً فى التدليل على صدق البحث ونبل الغاية لأنه فقير ، فهو نجار رقيق الحال وقد هداه الله إلى الإسلام لكثرة ما اطلع وطالع فقد كان شغوفاً برجال الكنيسة يتبعهم هنا وهناك ويتتلمذ على شروحهم ودروسهم بروح دينية متطلعة إلى الحق نهمة إلى سابق المعرفة ... ثم وجد نفسه وسط بحر لجى فلما خرج كان قد وصل إلى شاطىء آخر غير الشاطىء الذى نزل منه ، وكان ذلك الشاطىء هو دين الإسلام .

ولقد اتى رجل عنتا بدخوله الاسلام وما تقدم له واحد بمساعدة، ويوم أن قابلته فى طنطا عام ١٩٦١ م شكا إلى ؛ ولما حاولت مساعدته قوبلت من المسئولين عن الاسلام بعنت مثله ورفعت حاله إلى من أظن فيه تحمساً لدين الله ولكن خطابى بعد لم يرد عليه إن كان قد وصل ... ومازال الرجل على حالته فقيراً معدماً ولكنه ما زال كذلك حنيفاً مسلماً .

ولهذا آثرت أن أعرض آراءه هنا لأنه أثقل وزنا فى كفتى ميزان الشهادة إذ أنه رغم فقره لم يتزعزع ولم يئن رغم شدة حاجته وهوانه على الناس حتى المسلمين ...

---

(١) الله واحد أم ثالوث : دار المنا للطباعة ، الناشر دار النهضة العربية .

http://kotob.has.it

كيف أسلمت ؟

يقول الشيخ زكى الدين الطهطاوى فى كتابه : « المنارات الساطعة فى ظلمات الدنيا الحالكة » .. وبعد ، فإن إسلامى لم يأت طفرة واحدة ولم يكن إبن يوم وليلة ، بل كان نتيجة بحث وتنقيب بغية الوصول إلى الحقيقة فاطلعت على القرآن الكريم بعد دراستى للتوراة والانجيل ، وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثى فى هذه الكتب من الحقائق التى هدتنى إلى الصراط المستقيم ، أرجو بها الرضوان من رب العالمين ، وأقدمت على طبع هذه العجالة خدمة لغير المسلمين قبل أن تكون للمسلمين عسى أن يهتدى بها الضالون ولا يرتاب المرتابون .

وقد جمعت فى هذه الرسالة العاجلة ... بعضاً من أبواب البشائر برئيس العالم .

وحجر الزاوية — المقصود به خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم — وبعضاً من باب دحض فرية الصلب وتحقيق وقوع الشبه والرفع ... ليخرج القارىء بنتيجة ظاهرة ويتحقق مما وصلت إليه ، إذا تخلى عن التعصب والتحزب الممقوت فاذا تصفحت عجالتى هذه بروية وإمعان ، وضح الحق لديك بالبرهان وظهر جليا للعيان وجدت نفسك منساقا إلى اليقين ، فالعاقل إذا لاح له الحق تبعه وثبت عليه فالانسان مجبول على حب الخير وطلبه والرغبة فى نيله بكل رخيص وغال ، والانسان مكلف أن يبحث عن أقرب طريق يوصل للخير ولنيل ذلك يجب أن يتخلى عن التحزب الأعمى الممقوت والعصبية العنصرية ، ويضع كل ما كان عليه آباؤه وأجداده على بساط البحث والتنقيب فاذا من الله عليه بمعرفة الحق قام فسارع مبادراً إلى إتباعه والعمل به ولو كان فى ذلك مفارقة الوالدين والأولاد والمال ، بل الدنيا والنفس ، قال السيد المسيح عليه الصلاة والسلام « من يحب نفسه يهلكها ، ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية »

http://kotob.has.it

آراء الشيخ محمد زكى الدين :

(ا) استواء جميع الناس فى نفخ الروح كآدم وعيسى .

قال تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه » كما قال تعالى فى آدم « خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، كما قال فى سفر التكوين اصحاح ١ عدد ٣ « وقال الله ليكن نوراً فكان نورا » ، وقال مزمور ٣٣ عدد ٦ « بكلمة الله صنعت السموات » .

. لذلك خاطب الله أهل الكتاب بالعلوم لهم والثابت فى كتبهم فقال : « وكلمته ألقاها إلى مريم » وهى الكلمة التى صدرت عنها جميع العوالم قال فى سفر التكوين إصحاح ٢ عدد ٧ « ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية » قال تعالى مبيناً خلق آدم « خلق جميع ذريته ونسله » وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسلة من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه » وبمعنى هذا قال سفر زكريا اصحاح ١٢ عدد ٢ « يقول الرب باسط السموات ومرسى الأرض وجابل روح الإنسان فى داخله » .

وقد أطلقت التوراة والإنجيل على سيدنا جبريل كلمة روح ، وروح الله والروح القدس كما سماه بذلك القرآن الكريم .

قال فى سفر العدد فى التوراة ١ اصحاح ١١ عدد ٢٩ قال سيدنا موسى : « ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم » .

وقال سفر القضاة اصحاح ١٦ عدد ١٢ « وحل روح الله على داود » .

. كما قرر إنجيل لوقا أن الروح القدس نزل على الأنبياء المعاصرين لسيدنا عيسى عليه السلام فقد حل على سيدنا زكريا فى اصحاح ١ عدد ٦٧ وعلى سيدنا يحيى فى عدد ٨٠ ، وقال فى اصحاح ٢ عدد ٢٥ عن رجل اسمه سمعان « والروح القدس كان عليه » .

http://kotob.has.it

• كما عبر القرآن الكريم أيضاً عن وحى الله وكلامه بكلمة روح كما قال بذلك الإنجيل والتوراة أيضاً ، قال تعالى « يلقى الروح من أمره عن من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ... » إلخ .

(ب) لماذا كان عيسى من غير أب :

يقول الشيخ زكى الدين :

١ — ليكون ذلك دليلا على البعث .

٢ — ليكون دليلا على ذهاب النبوة من بنى اسرائيل .

٣ — ليكون دليلا على نسخ شرعهم .

٤ — ليكون إيذاناً بقرب شروق شمس سيد العالمين وخاتم الأنبياء .

• قال إنجيل لوقا اصحاح ١ عدد ٧٢ « ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس القسم الذى حلف لإبراهيم أبينا أن يعطونا أننا بلا خوف منقذون من أيدى أعدائنا نعبده بقداسة وبر ، جميع أيام حياتنا » .

يشير إلى أن أمته محمد صلى الله عليه وسلم ستخلف شعب إسرائيل لأن الآباء هنا معناه الأعمال والانقاذ هنا انقاذ اليهود من نير الفرس والرومان وجعلهم أحراراً فى إقامة شعائرهم.

وقوله « القسم الذى حلف لابراهيم أبينا » يفسره سفر التكوين اصحاح ١٨ « وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع الأمم » ولم تتبارك أمم الأرض إلا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه الرسول العام لكل الناس يقول الله تعالى :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

« وما أسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا » .

• وكان دليلا على البعث فى مواجهة إنكار اليهود للبعث قال فى إنجيل لوقا

http://kotob.has.it

اصحاح ٢٠ عدد ٢٧ « وجاء إليه الصدوقيون الذين يقولون ليس قيامة » ... لهذا خلق الله عيسى عليه السلام فى هذا الزمن من غير أب ليكون دليلا محسوساً لهم على البعث مسايراً بذلك قواهم العقلية وما تعودوه من الخوارق التى بدونها لا يؤمنون قال الله تعالى :

« إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم » .

• وكان علامة على زوال النبوة من بنى إسرائيل .

فقد جعل الله ولادة عيسى من امرأة فقط دليلا محسوساً على إحياء النبوات والرسالات فى ذرية إسماعيل ، وقد وضح سيدنا حزقيائيل بالتوراة اصحاح ١٧ عدد ٣٢ نهاية النبوة فى بنى اسرائيل فقال « إنى أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة ورفعت الشجرة الوضـــيعة ، وأيبست الشجرة الخضراء وأفرخت الشجرة اليابسة أنا الرب تكلمت وفعلت » .

وقوله : وضعت الشجرة الرفيعة : أى أنه أزال شرف الشجرة التى كانت رفيعة القدر بالنبوة يعنى أولاد سيدنا إسحاق ويعقوب .

وقوله : ورفعت الشجرة الوضيعة ، أى رفع شجرة سيدنا اسماعيل وهم : ذريته بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم وقوله : وأيبست الشجرة الخضراء : أى انقطعت النبوة من بنى إسرائيل ونسخت شريعتهم .

وقوله : أفرخت الشجرة اليابسة : كناية عن تكوين دول وممالك وتكون أمة قوية عظيمة .

وذلك كله بمعنى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع

http://kotob.has.it

أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما»

(ب) عيسى لم يصلب :

القرآن الكريم يصرح بأن الذى قتل وصلب شبيه لسيدنا عيسى عليه السلام « وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

والأناجيل تنص على مثل هذا :

قال إنجيل لوكا إصحاح ٤ عدد ٢٩ « فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه أسفل ، أما هو فجاز فى وسطهم ومضى » .

وقال انجيل يوحنا اصحاح ٨ عدد ٥٩ « فرفعوا حجارة ليرجموه ، أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً وسطهم » .

وفى اصحاح ١٠ عدد ٣٩ « فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من بين أيديهم » .

ومن أراد أن يستزيد فليراجع .

متى اصحاح ١٧ عدد ٢

مرقص « ٩ « ٢

« « ١٦ « ١٢ ، ١٤

لوقا « ٩ « ٢٩

« « ٢٤ « ١٥ ، ١٦ ، ٣١

يوحنا « ٢٠ « ١٤

« « ٢١ « ٤

والقائلون بالصلب تخبطوا ،

http://kotob.has.it

فاليهود حين أرادوا قتل المسيح لم يكونوا متحققين من شخصيته حتى استأجروا من يدلهم عليه وأعطوه أجرا على ذلك مقدماً ثلاثين درهما من الفضة ، وازداد شكهم بعد القبض عليه حتى استحلفه رئيس الكهنة فى جمع من العلماء باسم الله الحى سائلا : « أنت المسيح ؟ فقال : أنت تقول » وإنجيل لوقا يقول أنهم سألوه قائلين : « إن كنت أنت المسيح فقل لنا ؟ فقال لهم ، « إن قلت لكم لاتصدقونى وإن سألت لاتجيبونى ولا تطلقونى » .

(د) الرفع :

وضحت الأناجيل كيفية الرفع فى إنجيل متى اصحاح ٤ عدد ٦ ولوقا اصحاح ٤ عدد ١٠ يقولون :

مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكى لاتصدم بحجر رجلك .

ونثبت هنا بعضاً من أقوال الأناجيل عن نجاة عيسى ورفعه :

ذكر فى إنجيل متى اصحاح ١٧ عدد ١ ، ٨

مرقص اصحاح ٩ عدد ١ ، ٨

لوقا اصحاح ٩ عدد ٢٨ ، ٣٦

حادثة الرفع والتجلى ، وقداختلفوا فى نقلها كما تناقضوا فى غيرها فخلطوا الحقائق ببعض الأباطيل فتغيرت المعالم وضاعت الحقائق .

ولم يذكر هذه الحادثة إنجيل يوحنا بل أشار إلى الرفع فى اصحاح ١٢ عدد ٢٨ عند طلب النجاة « فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضاً » أى أن الله أجاب طلبه .

(ه) حكمة الرفع :

ليكون دليلا ظاهراً على زوال شرعهم ورفع النبوة والكرامة عنهم

http://kotob.has.it

أى - بنى إسرائيل - .

وليس رفع عيسى بدعاً فقد رفع من قبل سيدنا إدريس المسمى (أخنوخ) نص سفر التكوين اصحاح ٥ عدد ٢٤ « وسار أخنوح مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه» وكذلك سيدنا الياس بالعربية (إيليا) فى سفر الملوك الثانى اصحاح ٢ عدد ١١

وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار ففصلت بينهما فصعد « إيليا » فى العاصفة إلى السماء .

وقد تنبأ سيدنا زكريا بأن السيد المسيح يكون مماثلا لسيدنا الياس فى إنجيل لوقا اصحاح ١ عدد ١٧ « ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته » أى أن سيدنا عيسى مرسل أمام سـيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بآيات مماثلة للمعجزات التى صنعها سيدنا الياس المبينة فى سفر الملوك الأول اصحاح ١٧ إلى آخره .

(و) رأيه فى بولس ومستحدثاته : يقول :

ومن عجيب ماصنع اليهود أن أثيما منهم اسمه شاول (شالوم) حارب المسيحية فقتل المؤمنين وأذى الحواريين ولما لم يقض على النصرانية بهذا الاضطهاد ولم يفلح فى رد المؤمنين عن الحق الذى آمنوا به عمد إلى حيلة[1] تمكنه من هدم الدين من أساسه والقضاء عليه فتظاهر بأنه من اتباع المسيح ويسمى (بولس) وجعل يضلل الناس فى عقائدهم كما جاء فى سفر الأعمال اصحاح ٩ عدد ٢٠ « وللوقت جعل يكرز - أى يعظ - فى المجامع المسيحية بأن هذا هو ابن الله » .

وزيادة فى إغواء الناس وتضليلهم ادعى أن مايحدث به تلقاه عن المسيح

(١) راجع الفرض الذى فرضناه فى ص ١٠٣ من هذا الكتاب .

http://kotob.has.it

برؤية ذكرها فى سفر الأعمال ثلاث مرات فى اصحاح ٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، وذكرها فى كثير من رسائله مفتخرا بها كما قال فى رسالة غلاطية اصحاح ١ عدد ١١ « وأعرفكم أيها الأخوة أن الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح »

فوصف السيد المسيح بأنه ابن الله أولا .

ثم نفى عنه كونه إنسانا ثانيا .

وكلامه يشهد عليه بالكذب لأنه لم يجتمع بالسيد المسيح حتى يتلقى عنه بل ولم يجتمع بالحواريين إلا بعد ثلاث سنين[1] ليتعرف بهم ومكث خمسة عشر يوما اتصل فيها ببطرس والحوارى يعقوب فقط ، وبعد أربع عشرة سنة لما ذاعت تعاليمه المغايرة لتعاليم السيد المسيح عليه السلام دعوه ليحاجوه ويقضوا على الفتنة فى مهدها — ذكر ذلك فى رسالة غلاطية اصحاح ١ ، ٢ — فحضر مع برنابا وقد أثبت سفر الأعمال فى الاصحاح ١٥ عدد ٢٩ أن بولس تشاجر مع برنابا قال اصحاح ٢ عدد ٢ « إنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين — الحواريين — ولكنه ندد بهم وكذبهم فى عددى ٤ ، ٥ قال « الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة » ثم تابع هجومه على الحواريين فى عدد ٦ فقال : « وأما المعتبرون أنهم شىء مهما كانوا لافرق عندى ، الله لا يأخذ بوجه إنسان » ، وجهر بمعاداة خليفة السيد المسيح — بطرس — فى انطاكية لما حصل بينهما خلاف فى اجتماع أورشليم فى عدد ١١ قال : « ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما » وفى عددى : ١٣ ، ١٤ رماه ومن معه من الحواريين بالرياء والزيغ فقال :

---

(١) راجع رأى شارل جنيبر ص ٩٧ ، ٩٨ من هذا الكتاب .

http://kotob.has.it

ورأى معهم باقى اليهود أيضا حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم ، لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا فلماذا تلزم الأمم أن تتهودا » .

الحواريون لا يقولون بالصلب :

وبهذه المناسبة نقول للذين يؤمنون بالصلب ، إن الحواريين : بطرس ، ويوحنا ، ويعقوب ، ويهوذا لم يذكروا أبدا فى رسائلهم كلمة صليب .

بولس يدعى الرسالة :

لم يكتف بولس بهذا بل ادعى الرسالة فقال فى رسالته الأولى لأهل كورنثس إصحاح ٩ عدد ١ « ألست أنا رسولا ، ألست أنا حرا ، أما رأيت يسوع المسيح ربنا ؟ ألستم أنتم عملى فى الرب » ؟ بل إنه تعالى حتى فضل نفسه على السيد المسيح فبينما يقرر أن سيدنا عيسى عليه السلام رسول خاص يدعى أنه هو قد بعث رسولا عاما يقول بولس فى رسالته لأهل غلاطية إصحاح ٢ عدد ٤ « فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فى أيضاً للأمم » يعنى أن بطرس خليفة سيدنا عيسى ورسالته لليهود فقط — أهل الختان — أما هو فرسالته إلى الأمم جميعاً مع أن سيدنا عيسى قرر أنه لم يرسل إلى الخراف بيت إسرائيل الضالة .

ثم انقلب بولس يحارب الحواريين والمؤمنـــين فقال فى رسالته لتيطس إصحاح ١ عدد ١٠ « يوجد كثيرون متمردون يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ولا سيما الذين من الختان يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتا بجملتها معلمين ما لا يجب » .

والعجيب أن يتنكر بولس لرسالة الختان وأهل الختان ولرسالته مع أن سفر التكوين جعله عهدا جاء فى إصحاح ١٧ عدد ١٠ « وهذا هو عهدى

http://kotob.has.it

الذى تحفظونه بينى وبينكم وبه نسلك من بعدك — يختن منكم كل ذكر فتختتنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهدى بينى وبينكم فيكون عهدى فى لحمكم عهدا أبديا ، وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكث عهدى ، والمخاطب هنا سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

الشرقيون يكفرون ببولس :

ولما رأى الناس يومذاك هذا التناقض من بولس كفروا به ولم يتبعه أحد من أهل البلاد الشرقية ونص على ذلك فى رسالته الثانية لتيموثاوس — أحد أتباعه — اصحاح ١ عدد ١٥ « أنت تعلم هذا أن جميع الذين فى آسـيا ارتدوا عنى » ولكن البلاد الغربية خدعت بزخرف قوله .

ومن هنا نستطيع أن نفهم سر العداء بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية وأن نفهم كذلك سبب اضطهاد الرومان الأقباط وحرقهم الأديرة والمخطوطات وقتلهم البطارقة والأساقفة والرهبـان حتى سمى عصرهم بعصر الشهداء .

* * *

لهذا ولغيره من التحليل الطويل فى المنارات دخل النجار المصرى الصعيدى الأرثوذكسى دين الإسلام ، وهو رجل فقير جداً ولم يجد زهاء عدة عقود مضت من الزمن يداً إسلامية تمتد إليه بإحسان ... فدل بذلك على أنه دخل فى دين الله عن اعتقاد راسخ وإيمان ثابت ، ويقين مطمئن وأنه لا يبتغى من وراء اسلامه جزاء من المسلمين ولا شكورا .

وبهذا كان هذا المسلم النقى فى مصف المسلمين من أمثال :

ناصر الدين الفرنسى .

http://kotob.has.it

وانطونيوس الأندونيسى

ومحمد مرجان المصرى .

وإبراهيم خليل المصرى .

وتلك القلة الممتازة التى رضى الله عنها وأرضاها بنعمة الإيمان والإسلام .

وكان الشيخ محمد زكى الدين الطهطاوى أصدق فى بحثه من يراع الدكتور نظمى لوقا الذى دس على المسلمين سمه فى عسل حسبه شرابا شهيا فى رسالته : « محمد الرسالة والرسول » التى لم يبتغ بها إلا أنه يثرى من وراء المسلمين مجداً وسمعة ومالا ...

* * *

وهكذا نلتقى أقلام المخلصين فى البحث العلمى من الذين لم يسلموا من المسيحيين المتعصبين أمثال شارل جنيبير الفرنسى ، وزكى شنودة المحامى المصرى ونظمى لوقا المصرى ، وشحاده خورى الفلسطينى .

مع أقلام الحق من المسيحيين الذين اسلموا ... يلتقون جميعا فى أن :

* عيسى رسول بشر وبعث برسالة خاصة إلى بنى إسرائيل .
* وأن الحواريين بدلوا ملة عيسى إلى نحلة .
* وأن بولس وضع ديناً جديداً نسبه إلى المسيح عليه السلام وأسماه « المسيحية » وفصلها عن الملة الأم التى جاء بها موسى وكملها الله بعيسى .
* وأن المسيحيين ما زالوا فى هرطقات حول العقيدة وأسرار الكنيسة .
* وأن الذى يهتدى إلى الإسلام إنما هو الذى يمنحه الله نعمة التوفيق .

http://kotob.has.it

أهم مراجع هذا البحث

١ — محمد الرسالة والرسول : دكتور نظمى لوقا

٢ — مائة دليل على أن المسيح عبد الله ورسوله :

الأستاذ محمد بكر المحامى

٣ — محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن .

الأستاذ إبراهيم خليل أحمد

٤ — الله واحد أم ثالوث : الأستاذ محمد مجدى مرجان

٥ — المنارات الساطعة فى ظلمات الدنيا الحالكة :

الشيخ محمد زكى الدين النجار بطهطا

٦ — إظهار الحق : الشيخ رحمة الله الهدى

٧ — المسيح فى الأناجيل الأربع : الأستاذ فتحى عثمان

٨ — حياة المسيح : الأستاذ عباس محمود العقاد

٩ — محاضرات فى النصرانية : الشيخ محمد أبو زهرة

١٠ — مقارنات الأديان : الشيخ محمد أبو زهرة

١١ — أشعة خاصة بنور الإسلام : ايتين دينيه

١٢ — لماذا أسلمت (باللغة الأندونيسية) : انطونيوس مقار

١٣ — أضواء على المسيحية : متولى يوسف شلبى .

http://kotob.has.it

الباب الثالث

تعالوا إلى كلمة سواء ...

أولا : موقف القرآن من قضايا المسيحية

ثانياً : لقاء الأقباط فى مصر مع العرب والإسلام

« إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحما » حديث صحيح رواه الحاكم والطبراني فى الكبير » .

http://kotob.has.it

أولا ــ موقف القرآن من قضايا المسيحية

هل ستبقى حقيقة عيسى غامضة تتنازعها الأهواء بالنفى والإثبات أو بالحقيقة والأسطورية ؟

هل ستبقى مريم العذراء البتول محفوفة بالشك الذى أثاره اليهود ؟

هل سيبقى مولد عيسى وصلبه محاطا بالخرافات ؟

هل ستبقى عقيدة التوحيد فى مجامع الكنيسة المنشقة مثـــل لعبة « شد الحبل » .

هل ستظل البشرية تتلق عقيدة التوحيد من الكهان والقساوسة الذين لا يملكون سندا من الوحى . . . ؟

يقول الله تعالى :

« وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ــ بغياً بينهم ــ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » (١٤ ــ ١٥ الشورى)

يقول الكاتب الأوربى « ج هـ . دنيسون فى كتابه : « العواطف كأساس للحضارة » : فى القرنين الخامس والسادس الميلادى كان العالم المتمدين على شفا جرف هار من الفوضى ، وأن العقائد التى كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها . . أما النظم التى خلقتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام . . . وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله واقفة تترنح

http://kotob.has.it

وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب ، وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذى وحد العالم جميعه يعنى : محمدا صلى الله عليه وسلم » .

وسورة البينة تقرر عدة حقائق يقول الله تعالى :

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ، رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة » (١ - ٣ البينة)

والحقيقة الأولى فى هذه السورة : أن بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت ضرورية لتحويل الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين عما كانوا قد وصلوا إليه من الضلال والاختلاف .

والحقيقة الثانية : أن أهل الكتاب اختلفوا فى دينهم عن علم بغياً وحسدا لا عن جهل وغموض .

والحقيقة الثالثة : أن الدين عند الله واحد فى أصله وقواعده .

والحقيقة الرابعة : أن شر البرية هم الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين الذين استمروا على كفرهم بعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنهم ليعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإذا كانت معرفة الوالد لولده لا تحتاج إلى دليل فإن معرفتهم ببعثة سيدنا محمد جلية واضحة لا تحتاج كذلك إلى دليل . . . ومع الأدلة التى ساقها الله لهم فما زالوا على كفرهم وشركهم . . ولهذا وصفهم الله بالحكم القاسى أولئك هم شر البرية »

وانطلاقا من هذه القاعدة فإننا سنعرض موقف القرآن الكريم الذى أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتوضيح القضايا التى ضل فيها الكافرون من المشركين وأهل الكتاب :

http://kotob.has.it

(ا) موقف القرآن من عيسى :

* الحمل به :

« إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » (٤٦ ـ آل عمران)

* ولادته :

« فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً » .

(٢٣ — ٢٤ سورة مريم)

* رد اتهام العقوق :

« وبراً بوالدتى ، ولم يجعلنى جباراً شقيا » (٣٢ — سورة مريم)

* رسالته :

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم : أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » (٤٩ — آل عمران)

وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد … فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (٦ — الصف)

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

http://kotob.has.it

فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب أليم» .

(٦٣ — ٦٥ الزخرف)

« ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون » .

(٧٥ — المائدة)

* الصلب :

وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما » (١٥٧ - ١٥٨ — النساء)

— تنص الآية على أن عيسى لم يصلب وإن سعى اليهود بخدع أوفهم إلى هذا .

— وتنص الآية على أن التشبيه وقع على المصلوب الذى هو ليس عيسى .

— وتنص الآية على أن الله رفعه إليه ، أما كيف رفع هل مات أولا ثم رفع ، أو رفع ابتداء وهو حى .... إن البحث فى هذا الموضوع غير مجدى لأن الأدلة على كلا الاحتمالين معدومة ، وإنما الذى يجب أن يتصوره المسلم أن الرفع كان فى كنف « إن الله كان عزيزا حكيما » .

* حقيقة عيسى :

« إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل »

(٥٩ - الزخرف)

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين» (٥٨ ، ٥٩ سورة آل عمران)

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (٣٤- مريم)

http://kotob.has.it

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا » (١٧٢ - النساء)

* موقف عيسى من دعاوى المسيحيين :

« وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ، أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال : سبحانك ، ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » (١١٦ — ١١٧ المائدة)

لقد كفر الذين قالوا إن الله هـــو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » (٧٢ — المائدة)

(ب) موقف القرآن من مريم البتول :

* منبتها :

« فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب

(٣٧ آل عمران)

تكريمها :

« وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين»

(٤٢ — ٤٣ آل عمران)

http://kotob.has.it

عفتها :

«والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين» (٩١ – الأنبياء)

ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين» (١٢ – التحريم)

* رد اتهام اليهود لها :

فأتت به قومها تحمله، قالوا : يامريم ، لقد جئت شيئاً فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا ... فأشارت إليه ... قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال : إنى عبد الله آتنى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا» (٢٧ – ٣٣ مريم)

(ج) تصحيح العقيدة عند أهل الكتاب :

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل .

(٧٧ – المائدة)

يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا» (١٧١ – النساء)

http://kotob.has.it

(د) تقسيم أهل الكتاب إلى طائفتين :

ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » . (١١٣ — آل عمران)

ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

(٧٥ — آل عمران)

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » . (١٤٦ — البقرة)

(ا) الذين آمنوا من أهل الكتاب :

الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرءون بالحسنة السيئة ، ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين » (٥٢ — ٥٣ القصص)

.. ذلك بأن منهم قسسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، ومالنا ألا نؤمن بالله وماجاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين »

(٨٢ — ٨٤ — المائدة)

http://kotob.has.it

(ب) الذين كفروا من أهل الكتاب .

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ... » الآية

(٧٢ — المائدة)

« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم »

(٧٣ — المائدة)

«وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون »

(٣٠ — ٣١ — التوبة)

تعليق :

إذا كان القرآن قد قسم أهل الكتاب إلى قسمين :

(ا) الذين أسلموا وآمنوا وصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(ب) الذين عاندوا واستمروا على الكفر والضلال .

فانه لا ينبغي أن تنسحب الأحكام التي جاءت لواحد من هذين القسمين على الكل .

فقوله تعالى : « منهم أمة قائمة آناء الليل وهم يسجدون » خاص بالذين آمنوا .

وقوله جل شأنه : « ولتجدن أقربهم مودة » خاص بالذين فاضت أعينهم لما سمعوا الحق وآمنوا . . . ولا ينسحب حكم من هذا القسم على الكافر .

http://kotob.has.it

أما قوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ... الخ فهو حكم منسحب على أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا » .

وعلى هذا فليس من حق الأنبا شنودة أسقف التعليم أن يتحدث عن أهل الكتاب فى القرآن الكريم تحت عنوان « نظرة القرآن إلى النصارى » ويستفيض فى إبراز جانب الذين آمنوا من أهل الكتاب ويجعل ذلك حكما عاما على كل أهل الكتاب حتى الذين كفروا منهم .

أقول ليس من حقه هذا لأمرين :

الأول : أنه جعل القرآن أساساً للخلاف بين ماهو عليه من فهم وبين دين الله الحنيف إذ يقول : « وأخيراً : فليس معنى كل ماقلناه أن القرآن والمسيحية شيء واحد . كلا فهناك خلافات جوهرية منها : التثليث ، والتجسد ، والفداء ، ولاهوت المسيح ، وصلبه ، ومنها أسرار الكنيسة ، ومنها القرآن نفسه وأشياء أخرى كثيرة »[1] .

الثانى : أنه لم يتناول الموضوع علمياً فأخفى موقف القرآن من الذين كفروا من أهل الكتاب . فكان بحثه عاطفيا لاحيدة فيه ، وكان شقه مائلا فلم يستطيع إلا أن يقول فى آخر كلامه « إن الخلاف جوهرى بينه وبين القرآن الكريم ، وهو بهذا يعاند العلم والحقائق التى توصل إليها كبار المحللين من علماء المسيحية المتخصصين فى مقارنة الأديان .

من هم أهل الكتاب :

فى كتابنا : أضواء على المسيحية استعرضنا الجواب على هـذا السؤال كفهم شخصى لنا ، أما هنا فننقل ماذكره الإمام الشافعى فى كتابه الجليل :

(١) راجع مجلة الهلال عدد ديسمبرسنة ١٩٧٠ ، والكتيب المسمى : القرآن والمسيحية مطبعة المجد ـ محرم بك ـ الاسكندرية

http://kotob.has.it

الأم ، قال : أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال عطاء : ليس نصارى العرب بأهل كتاب إنما أهل الكتاب بنو إسرائيل والذين جاءتهم التوراة والإنجيل ، فأما من دخل فيهم من الناس فليسوا منهم »[1] .

ويدل عليه وله : آيات من القرآن الكريم تحدد أن عيسى رسولا إلى بنى إسرائيل خاصة وأن رسالته محددة بقوم وزمن معين حتى يأتى من بعده أحمد صلى الله عليه وسلم .

وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ، ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . . . الآية ٦ — الصف .

والأناجيل المنسوبة إلى كاتبيها تقرر ذلك ، فالمرأة الكنعانية جعلت تلاحق يسوع وتطلب إليه أن ينقذ ابنتها وهو لم يرد عليها ، حتى توسل إليه التلاميذ فقال لهم :

— « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » ١٥/٢٥ متى

وتأتى المرأة الكنعانية وتسجد طالبة منه العون فيقول لها :

« ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » ١٥/٢٦ متى . فغير بنى إسرائيل ليس لهم علاقة بعيسى ولا بالإنجيل ولا بالتوراة تأسياً بفعل يسوع نفسه .

وإذن فما نقله الإمام الشافعى عن علماء المسلمين له وجاهته العلمية والدينية لأنها رسالة خاصة فى شعب خاص فى زمن خاص ، فمن دخل معهم فقد أقحم نفسه فيما لايجب عليه واقحامه لايدخله فيهم فى نظر الدين — على الأقل عندنا نحن المسلمين . . . فتنبه يا أخى .

---

(١) كتاب الأم جـ ٥ ص ٦ كتاب النكاح : باب نكاح حرائر أهل الكتاب .

http://kotob.has.it

(ه) موقف أهل الكتاب من الإسلام والمسلمين :

« ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

(١٠٥ — البقرة)

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير » . (١٠٩ — البقرة)

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ... الآية .

(١٢٠ — البقرة)

« ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ... » الآية . (١٤٥ — البقرة)

« ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون » . (٦٨ — آل عمران)

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » . (٣٢ — التوبة)

«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»

(٨ — الصف)

« وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

(٥٨ — المائدة)

(و) علاقة المسلمين بأهل الكتاب .

* لا جدال :

« لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ،

http://kotob.has.it

وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » . (٤٦ — ٤٧ العنكبوت)

• لا طاعة لهم ولا بطانة منهم ولا ولاية :

« يا أيها الذين آمنو إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » . (١٠٠ — آل عمران)

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء — إلا أن تتقوا منهم تقاة — ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير » . (٢٨ — آل عمران)

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » ... الآية .

(٢٨ — المجادلة)

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » .

(٥٧ — المائدة)

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتكم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » . (١١٨ — آل عمران)

• المعاملة بالمثل :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلون فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين .

http://kotob.has.it

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »
الآية ٨ — ٩ الممتحنة

* جواز نكاح العفيفات من الكتابيات بشرط :

قال الشافعى فى كتاب الأم :

ويحل نكاح حرائر أهل الكتاب لكل مسلم لأن الله تعالى أحلهن بغير استثناء — وأحب إلى لو لم ينكحهن مسلم — أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج عن أبى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن نكاح المسلم اليهودية والنصرانية فقال « تزوجناهن زمان الفتح بالكوفة مع سعد بن أبى وقاص ونحن لا نكاد نجد المسلمات كثيراً ، فلما رجعنا طلقناهن وقال : فقال لا يرثن مسلما ولا يرثونهن ونساؤهن لنا حلال ، ونساؤنا عليهم حرام[1] اهـ .

فالنص فيه شرطان :

الأول : « زمان الفتح » ومعناه أن الزواج من الكتابية مشروط بأن تكون الغلبة للإسلام ، فشرط الزواج من الكتابية أن تكون هناك حكومة مسلمة ترعى الأسرة المسلمة وتكون الكتابية من ضمن رعايا هذه الدولة .

الثانى : لا نكاد نجد المسلمات كثيراً : فكأن الزواج من الكتابية كان لعلة عدم وجود نساء مسلمات ومع تحقق هذين الشرطين زمن سعد بن أبى وقاص فإن الصحابة قد طلقوا الكتابيات اللاتى تزوجوهن وعلى هذا يفهم

---

(١) الأم الجزء الخامس ص ٦

http://kotob.has.it

ما فعله سيدنا عمر رضى الله عنه وصار قياسا فقد روى الطبرى عن شقيق قال :

تزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر : خل سبيلها فكتب إليه : أتزعم أنها حرام فأخل سبيلها ؟ فقال لا أزعم أنها حرام ولكن أخاف أن تعاطوا المومسات منهن »[١] .

وهذا هو الذى جعل الإمام الشافعى يقول : وأحب أن لم ينكحهن مسلم » .

فإذا كان هذا فى الصدر الأول وللاسلام قوة ومناعة ودولة ، والأخلاق لها مناخ يساعد على العفاف والطهر ... فكيف بعصرنا الحاضر والمسلمون فى شتات من أمرهم وفى تمزق على أنفسهم والأخلاق فى كل صوب يخطط لها اليهود والنصارى للإفساد والضياع على نحو ما نشاهده من حركات الوجودية ، والهيبيز Hippish ... إلخ ، لعل الحكم كما رآه ابن عباس رضى الله عنه فقد حرم الزواج من الكتابية التى لم يدفع أهلها الجزية فقد روى الطبرى بسنده عن ابن عباس قال :

من نساء أهل الكتاب من يحل لنا ، ومنهم من لا يحل لنا ثم قرأ « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ومن لم يعط الجزية لم يحل لنا نساؤه ، قال الحكم : فذكرت ذلك لابراهيم فأعجبه .

---

(١) راجع تفسير الطبرى ، وابن كثير ، وأحكام القرآن للجصاص ، وأحكام القرآن للصابونى ، وكتاب منهج السنة فى الزواج للدكتور الأحمدى أبو النور .

http://kotob.has.it

وقد احتج أبو بكر الجصاص لرأى ابن عباس بقوله تعالى :

«لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم،أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون» (٢٢ — المجادلة)

وإذا كان الصحابى الجليل عبد الله بن عباس يرى أن نكاح الكتابية مشروط بدفع الجزية ، وأن الحربية لا يصح الزواج منها أبداً وذلك فى الزمان الأول . فان عصرنا الحاضر قد فسد حتى صارت كل كتابية حربية لأنهـا إما من قوم هو محاربون للإسلام ووطنه وإما من قوم يظاهرون أعداء الإسلام .

ومن ناحية أخرى فاذا كان ابن عباس يشترط فى الزواج من الكتابية أن تدفع الجزية فان ابن عمر رضى الله عنه جعل المشركة والكتابية سيان فى التحريم عفيفة كانت أو فاسـقة حرة كانت أو أمة ، فقد روى البخارى بسنده عن نافع : أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال:

إن الله حرم المشركات على المؤمنين ، ولا أعلم من الإشراك شيئا أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى ، وهو عبد من عباد الله » .

وهو الذى نميل إليـــه حيث قد عرفنا ان رأى الأئمة فى مفهوم أهل الكتاب خاص باليهود الذين نزل إليهم التوراة والإنجيل فقط ومن دس نفسه فيهم فليس من أهل الكتاب فى نظرنا نحن المسلمين .

وليس هذا تعصب ولا تزمت فان أحكام الله وشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يجب أن نأخذ الحظ الأوفر من العناية لأن فى الحفاظ عليها حفاظ على الدين والوطن ومصالح المسلمين بل ومصالح غير المسلمين على السواء.

http://kotob.has.it

وإذن فقد وضح المراد من قوله تعالى :

«اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

(٥ — المائدة)

• حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . (٣٣ — النور)

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » (٢٨ — الفتح)

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٩ - الصف)

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون (٢٩ - التوبة)

• الدعوة إلى كلمة سواء :

فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وأن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » (٢٠ - آل عمران)

« يا أهـــل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون (٢٢ — تعالوا)

http://kotob.has.it

يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون »
(٧٠ — ٧١ آل عمران)

قل يا أهـــل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ، والله شهيد على ما تعلمون » .

قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون » (٩٨ - ٩٩ آل عمران)

يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له والد ، له مافى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا »
(١٧١ - النساء)

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » (١٦ - المائدة)

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ، أن تقولوا ما جاءنا من بشـــير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شى قدير » (١٩ - المائدة)

قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم (٦٨ - المائدة)

قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » (٧٧ - المائدة)

http://kotob.has.it

وكذلك أنزلناه إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون » (٤٧ ـ العنكبوت)

قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم والله لايهدى القوم الظالمين (١٠ ـ الأحقاف)

قل يا أهل الكتاب : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » (٦٤ ـ آل عمران)

http://kotob.has.it

ثانيا ـ لقاء الأقباط فى مصر بالعرب والإسلام

أيهما أولى فى عرف العقل والعواطف والمجاملة وصلة الرحم أن يكون أقباط مصر منحازين لدين قام به نفر من اليهود الذين كانوا يشكلون عداوة للمصريين منذ عهد فرعون أو أن ينحازوا إلى العرب والإسلام الذين يرتبطون به برباط النسب والمصاهرة ؟

يقول زكى شنودة :

دخلت المسيحية فى مصر على يد مرقص الرسول فى منتصف القرن الأول ، ومرقس الرسول هو يوحنا الملقب بمرقس أحد الإنجيليين الأربعة وأصله من اليهود ... والتاريخ المصرى يعـــرف تماما علاقة المصريين Egyptian باليهود إنها علاقة العداء وسببه موروث فى الدم فاليهود من سلالة اسحق بن ابراهيم وأمهم سارة .

والعرب من سلالة إسماعيل بن إبراهيم وأمهم هاجر المصرية فليس بين المصريين واليهود رحم ولا نسب ولكن الرحم والنسب موجودة بين المصريين والعرب لأن العرب من سلالة هاجر المصرية ، وبمقتضى النزعات العاطفية ، والميول الفطرية التى جبل عليها الإنسان أن ينحاز إلى قوم له بهم صلة كما يقرر علم النفس الاجتماعى ذلك .

ولقد كان المقوقس عظيم القبط فى عصر رزينا عاقلا إذ أحس بوشائج الصلة بين العرب والقبط فى مصر فأرسل إلى النبى صلى الله عليه وسلم مارية القبطية هدية خالصة له عليه الصلاة والسلام ردا على كتابه الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه فيه إلى الإسلام ،

http://kotob.has.it

فما أحوج العقلية القبطية فى مصر إلى جدية التفكير فى موازين العلاقة بينهم وبين دين أصله خاص باليهود وحمله إليهم واحد من اليهود ، وليس بينهم وبين اليهود تاريخيا إلا البغضاء أما فى الإسلام فقد أوصانا النبى صلى الله عليه وسلم بالأقباط خيرا فقال عليه الصلاة والسلام :

« إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما » .

وإننا لمحافظون على هذه الوصية خضوعا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم واحتراما منا لعواطف التبعية للرحم والنسب والمصاهرة وإعزازا لجدتنا هاجر المصرية التى خلد الله مسعاها بين الصفا والمروة ، وسقى الله ببركة ولدها إسماعيل الناس ماء زمزم .

وإنا لمحافظون على هــــذه الوصية تكريما لمارية القبطية أم إبراهيم ابن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يفى بالعهد إلا الذين ناداهم الله فى كتابه العزيز : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (١ - المائدة)

ولا ينقض العهد إلا الذين ينتكسون فى نزعات الشيطان .

وإنا لنمد أيدينا إلى أقباط مصر الذين كانت منهم جدتنا وكانت منهم مارية أم إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم وتدعوهم .

إلى كلمة سواء بيننا ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ...

فهل هم مستجيبون ؟

والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد خاتم الأنبياء جميعا والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

انتهى عصر يوم الجمعة بمدينة القاهرة :

فى ١٧ من صفر الخير سنة ١٣٩٥هـ ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٥م

دكتور رءوف شلبى

http://kotob.has.it

من مراجع هذا البحث

١ – القرآن الكريم
٢ – تفسير أبو السعود
٣ – « الخازن
٤ – « ابن كثير
٥ – « الطبرى
٦ – « الألوسى
٧ – تفسير فى ظلال القرآن
٨ – كتب السنة البخارى ومسلم والجامع الصغير
٩ – كتاب الأم للإمام الشافعى
١٠ – الاختيار شرح المختار فى الفقه الحنفى
١١ – منهج السنة فى الزواج الدكتور الأحمدى أبو النور
١٢ – أحكام القرآن للجصاص
١٣ – آيات الأحكام للشيخ محمد على السايس
١٤ – أحكام القرآن محمد على الصابونى
١٥ – نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين الشيخ محمد الخضرى بك
١٦ – السيرة الحلبية
١٧ – السيرة لابن هشام تحقيق الإبيارى ، وشلبى
١٨ – القرآن والمسيحية الأنبا شنودة

http://kotob.has.it

انتهى الجزء الأول بعون الله وحوله ومشيئته ويليه إن شاء الله تعالى
الجزء الثانى وموضوعه موقف علماء الإسلام من نحلة المسيحية

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفهرس

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

للمؤلف

(ا) كتب باللغة العربية :

١ ـ الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها . مجمع البحوث

٢ ـ بشائر النبوة الخاتمة . مجمع البحوث

٣ ـ الجهاد فى سبيل الله . (دار التراث العربى)

٤ ـ الاسلام فى أرخبيل الملايو . مطبعة السعادة

٥ ـ ندوة للشباب فى شهر رمضان مجمع البحوث

٦ ـ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء . ط/ أول

٧ ـ أضواء على المسيحية (الكويت) ط أولى

(ب) كتب باللغة الملاوية .

١ ـ فى ساحة قصر الامام الغزالى . (مجمع اللغة الماليزى)

٢ ـ إلى المسيحية . (فوستاك انترا كوالا لومفور)

٣ ـ أسس العمل الاقتصادى . (مركز البحوث الاسلامية بماليزيا)

وتطلب جميع الكتب من مكتبة الأزهر للطبع والنشر والتوزيع

١٣٠ جوهر القائد أمام جامعة الأزهر

http://kotob.has.it

تصحيح أهم الأخطاء التي وقعت سهوا

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٨	٦	البدائين	البدائيين
١٠	قبل الأخير	تعليوم	تعلمتهم
١٦	١٢	اتبع	تبع
١٨	٣	والشمال	والشمائل
١٨	٥	وبهم	ربهم
١٩	٤	إبراهيم واسحاق	إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
٢٠	قبل الأخير	المتوكلون	المؤمنون
٢١	٢٩	إليك	إليه
٢٢	الأخير	من رب	وما رب
٢٣	١	بينها ن	بينهما إن
٢٧	١٤	فهم	منهم
٢٩	١٤	يبغون ولله	يبغون وله
٣١	١٩	الأولى	الأولين
٤١	١٢	يؤيه	يأويه
٤٦	٢٣	فكوه	فكرة
٥٢	٦	قالى	قال
٥٥	١٩	الجزية يد	الجزية عن يد
٥٧	١٧	خاطب الدين	خاطب الله
٥٧	قبل الأخير	أفراجا	أفواجا
٥٧	الأخير	وسنغفر	واستغفره

http://kotob.has.it

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٥٧	١٨	يرنض	يرفض
٦٤	قبل الأخير	لافلافهم	لاحلافهم
٦٥	١١	أهواهم	أهواءهم
٨٤	٨	تبافيبا	تباينها
٨٦	٢	لجموعة	فجموعة
٨٦	٦	نقل	قتل
٨٧	٦	دعوه	عودة
٩٠	٧	توضح	يوضحان
٩٠	٨	بها	بهما
٩٨	قبل الأخير	ليوفقوا	ليوافقوا
١٠٠	٤	سو دفع	هو دفع
١٠٠	٩	دخول	لحلول
١٠٣	٦	العزه	العثرة
١٠٤	١	التاء	الطاء
١٠٥	١٤	الذى	الذين
١١٥	١١	فهمها	فهمها
١١٧	١٣	لميلاد	للميلاد
١١٧	١٣	نحتله	نحلته
١٢٤	١٢	تقصع	تقطع
١٣٣	١٨	أتضا	السير آرثر فندلاى
١٣٩	١٦	بالنفى	بالنص

http://kotob.has.it

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٣٩	١٩	ومعنى	وما معنى
١٣٩	٢٠	العقلى	الفعلى
١٤٠	٦	هاج	حاج
١٤٠	٦	أن الأنبياء	أو الأنبياء
١٤٨	١٧	داخل وجلس	داخل الدار وجلس
١٥٥	الأخير	ابنا لله	ابنا مساويا لله
١٥٧	١٥	بأن الانجيل	بأن يجعل الانجيل
١٧٣	٨	الآمل	الآمل
١٧٩	٣	فى قيمة	فى إنكار قيمة
١٨٠	١٣	يديه من يديه	يديه من التوراة
١٩٠	٣	كتات	كتاب
١٩٤	٧	صنه	صنفه
١٩٦	١٦	دعوتها	دعوتهما
٢١٩	١	نقل إلى المسيحية	نقل المسيحية
٢١٩	١٦	ابن الطريق	ابن البطريق
٢٢٠	١٧	الاجماع	الاجتماع
٢٣١	١٥	تابح	تابع
٢٣٨	١٢	الإتمان	الإيمان
٢٣٨	١٦	أداوه	أداة
٢٤١	١٠	فما	فيما

http://kotob.has.it

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٦	٧	البابا	الامبراطور
٢٥٥	١٠	طبيعتيه	طبيعتين
٢٦٠	١٥	والتسفيد	والتسفيه
٢٦٠	السطر الأخير	الأكراد له	الكرادلة
٢٦٤	٣	انفقد	انعقد
٢٦٤	١١	للبا	للبابا
٢٦٤	٢١	الوظائف بازل	الوظائف ، وانفض مجمع بازل
٢٦٦	٧	شاطىء	شاطئي
٢٧١	٤	أن	أى

http://kotob.has.it